الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي بغرداية

معهد: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية

ملخص مذكرة شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث

أعضاء لجنة المناقشة :

أ.د حساني مختار ..... رئيس اللجنة

أ.د عمار بن خروف ..... مشرف مقرر

د بوسليم صالح ..... مشرف مساعد

د توفيق دحماني ..... عضو مناقش

د سعيود إبراهيم ..... عضو مدعو

إعداد الطالب:

عطلي محمد الأمين

إشراف:

أ.د/عمار بن خروف

السنة الجامعية: 2011-2012م /1432- 1433هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

اهدي هذا العمل المتواضع إلى والدي العزيزين: أبي وأمي

وكل أفراد عائلتي وأصدقائي وزملائي أدامهم الله...

وإلى كل من يجاهد بعلمه وقلمه في سبيل إعلاء راية الدين الوطن...

كلمة الشكر

أتقدم بجزيل الشكر إلى :

الأستاذ المشرف :عمار بن خروف على نصائحه وتوجيهاته وحلمه وصبره حتى إتمام هذا العمل .

كما اشكر الأستاذ :صالح بوساليم على متابعته لمراحل انجاز هذه المذكرة.وشكرا جزيلا إلى كل من ساهم معي لإنجاح هذا العمل من بعيد أو من قريب

قائمة المختصرات الأجنبية:

-**C**.**M**.: **C**ahiers de la **M**éditerranée, Nice.
-**C**.**M**.: **C**ahiers de **T**unisie, Tunis.
-**J**.**A**.: **J**ournal **A**siatique, Paris.
-**R**.**A**.: **R**evue **A**fricaine, Alger.
-**R**.**H**.: **R**evue **H**istorique, Paris.

-R.H.M.: **R**evue d'**H**istoire **M**aghrébine, Tunis. Provence.
-R.T. : **R**evue **T**unisienne, Tunis.

-T:Tome

-N°: Numéro

-RA: Revue **A**fricaine

-ENAL:Entre **P**rise **N**ationa**l**e **A**lgérienne de **L**ivres

قائمة المختصرات العربية:

- م و ن ت: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع

- م ت م: المجلة التاريخية المغربية.

- ص: صفحة

- ط: الطبعة

- ج: الجزء

مقـــــــــــدمة

يعدّ موضوع البحرية الجزائرية في تاريخ الجزائر العثمانية موضوعا جوهريا؛ ممـــا جعله محورا لعديد من الدراسات الأجنبية، وقد حاولت تلك الدراسات تشويه الوجـــود العثماني بالجزائر، وتجريده من محتواه الإيجابي، من خلال تصوير نشاط البحرية الجزائريـــة، أنّه نشاط قرصنة و لصوصية بحرية، هدف من خلاله النظام، إلى تعزيزه للحصول علـــى المزيد من الغنائم، وقد وصفت لنا تلك الدراسات الجزائر على أنّهـــا مجـــرّد مســـتعمرة عثمانية، جلّ مؤسساتها مسخرة للجباية، لكن الأمر فيه خلط وتشويه وتزوير لأحـــداث تلك الفترة، التي لابدّ لها من نقد وتحقيق وتمحيص.

ولعلّ هذا ما دفعنا لخوض غمار هذه الدراسة، لنيل درجة الماجستير في التـــاريخ الحديث، تحت عنوان: " **نشاط البحرية الجزائرية في القرن الســـابع عشـــر وأثـــره في العلاقات الجزائرية الفرنسية** "، ويمكن القول أنّ موضوع هذه الدراسة يعـــدّ موضـــوعا سياسيا واقتصاديا، وحتى اجتماعيا ودينيا.

و الحقيقة أنّ دواعي اختياري لهذا الموضوع عديدة أذكر منها:

1- أنّ هذا الموضوع يستمدّ أهميته من كونه شكّل همزة وصل بـــين شـــعوب ضـــفتي المتوسط، ويعتبر في الوقت ذاته من أهم العناصر التاريخية التي ساهمت في بناء العلاقات بين الضفتين، خلال ما سمي بالعهد العثماني، وهذا ما دفعنا للخوض في ثنايا هذه الدراسة .

كما أن هناك دوافع أخرى وقفت خلف اختياري للموضوع أذكر منها:

2- إنّ موضوع البحرية الجزائرية في العهد العثماني، وبالتحديد مابين 1500و 1830، موضوع كان محل اهتمام الباحثين الغربيين والمحليين، بحيث لا تخلو المصـــادر والمراجـــع المختصة بالفترة الحديثة، من الحديث عن البحرية الجزائرية، و دورها في بنـــاء اقتصـــاد الجزائر، والحفاظ على سيادتها، وهذا ما دفعني للبحث في أهم مظهر من مظاهر القـــوة، الذي عرفته الجزائر في الفترة الحديثة.

3- إنّ موضوع البحرية الجزائرية في الفترة الحديثة، اقترن بتسمية القرصنة، هذه التسمية التي يخلط الكثيرون بين مفهومها ومفهوم اللصوصية، وبعد أن وقفت على عديد من الآراء حول ذلك، أردت أن أدلي بدلوي في الموضوع، وأحاول تصحيح ما ورد حولها من تشويه.

4- إنّ موضوع البحرية عموما في الحوض الغربي للمتوسط، حظي بأهمية كبيرة لدى المؤرخين، باختلاف أجناسهم وأديانهم، ما وفر مادة علمية مهمة حول الموضوع، وهو ما شجعني لخوض غمار هذه الدراسة؛ لوفرة المادة العلمية، خاصة الأجنبية منها.

أخيرا إنّ تحفيزات الأستاذ المشرف، ونصائحه، كانت أيضا دافعا عزّز الثقة في النفس لدراسة الموضوع.

- الهدف من هذه الدراسة:

إنّ الهدف من هذه الدراسة؛ هو الخوض في تفاصيل البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر الميلادي/ الحادي عشر هجري. ودورها في العلاقات بين الجزائر وفرنسا، بغية الكشف عن خبايا البحرية الجزائرية، وبعدها الجهادي، و دورها البالغ الأثر في توجيه العلاقات بين الجزائر وفرنسا، خاصة في القرن السابع عشر، الذي يعتبر مرحلة التفوق البحري للجزائر بلا منازع، لعلّي بهذا العمل أقدّم عملا مفيدا، يساهم ولو بقدر قليل؛ في تعزيز البحث التاريخي حول الموضوع.

– الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

نظرا لأهمية هذه الفترة في تاريخ العلاقات بين الضفتين بوجه عام، والعلاقات بين الجزائر وفرنسا على الخصوص، فإن البحث يعالج فقط فترة القرن السابع عشر، وهي أهم فترة تاريخية للبحرية الجزائرية في العهد العثماني، وإن بدت هذه الفترة قصيرة، إلا أنها

تعتبر من أهم فترات الجزائر في العهد العثماني، خاصة نتيجة تطور البنى و الهياكل السياسية والعسكرية للجزائر، ويكفي أن فترة ازدهار البحرية الجزائرية وأزهى فتراتها، كان خلال القرن السابع عشر، وتحديدا حتى النصف الأول منه.

أما **الإشكالية المطروحة** في هذه الدراسة، فتتعلّق بالبحث للإجابة عن التساؤلات التالية:

هل تعتبر البحرية النامية في الجزائر خلال العهد العثماني، وليدة قدوم الإخوة بربا روس؛ أم أن نواتها الأولى تعود للفتح الإسلامي؛ وليست بالشيء الجديد على سكان الجزائر؟.

ما هو مفهوم القرصنة؛ وما علاقتها بالنشاط البحري للجزائر في القرن السابع عشر؟ وهل كان لهذا النشاط بعد جهادي ؟ وما هو تأثيره على العلاقات الخارجية للجزائر و تحديدا مع فرنسا؟

– الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع المقترح بحثه:

تجدر الإشارة إلى أنّ موضوع البحرية الجزائرية، موضوع مهم، والدراسات التي حظي بها،كانت هي الأخرى مهمة، ومن أهم تلك الدراسات التي اعتمدت عليها شخصيا، لكي لا أصدر أحكاما بالتعميم، على ما جاء في هذا البحث، نجد دراسات الأستاذ **المنور مروش** في مجال القرصنة، خاصة كتابه "القرصنة الأساطير والواقع"، وهي دراسة قيمة، وجادة وهامة ليس لموضوع البحرية فقط، وإنما لتاريخ الجزائر العثماني عموما، وكذا كتاب **الأستاذ مولاي بلحميسي** رحمه الله، حول "تاريخ البحرية الجزائرية"، إضافة لمراجع أخرى تتفاوت أهميتها، كدراسات الأستاذ **نصر الدين سعيدوني**"الجزائر في التاريخ، العهد العثماني"، و حوليات مهمة مثل: الأندلسيون المورسكيين بمقاطعة الجزائر، حوليات جامعة الجزائر، **و يحي بوعزيز** علاقات الجزائر

الخارجية مع دول و ممالك أوربا (1500-1830)، ودون أن نغفل الأهمية الكبيرة لدراسات الأستاذ **جمال قنان** في كل كتاباته، خاصة كتاب "معاهدات الجزائر وفرنسا 1619-1830"، وكذا كتاب "نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث".

وما تجدر الإشارة إليه أن موضوع النشاط البحري للجزائر، وبالرغم من الاهتمام الذي حظي به من طرف المؤرخين، إلا أنّ هناك جانبا كان لابد أن يسلّط عليه الضوء، وهو ما تعلق بالنشاط في حدّ ذاته، وواقعه بين القرصنة والجهاد، كما أنّ جل الدراسات تناولت الموضوع كجزء من تاريخ الجزائر في العهد العثماني، وليس كموضوع مستقل، أما موضوع العلاقات الجزائرية الفرنسية، فلا يمكن حصر الدراسات التي تناولته، ومن أهم ما شدّني من دراسات أجنبية، كتاب:" **القرصنة المغاربية في المتوسط، في القرنين السادس عشر والتاسع عشر**"، لصاحبه: "**رولاند كورتينا**" « **Roland Kortina** »، وهو مرجع مهم، خاصة في العلاقات الخارجية للجزائر وفرنسا.

وأشير إلى أنّ هناك دراسات كثيرة حول الموضوع، لا يمكن حصرها، إلاّ أنّه من غير الاعتراف بالاجتهاد والإبداع، أن لا نذكر، مذكرة الماجستير للأستاذة **عائشة غطاس** رحمها الله، الموسومة بـ: " العلاقات الجزائرية الفرنسية في القرن السابع عشر، وهي دراسة جد قيمة حول الموضوع.

– المنهج المتبع في الدراسة:

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة، حاولت استقصاء أحداث المرحلة، من مختلف المصادر المهمة بالنسبة لهذه المرحلة، واعتمدت على **المنهج الوصفي التحليلي**؛ فاعتمدت على الأول في وصف البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر، من عدد السفن وأنواعها، والأوضاع المؤثرة بالإيجاب والسلب فيها. **والمنهج التحليلي** في تحليل ما توثق لدي من

مادة علمية، وخاصة في تحليل المفاهيم التي وردت حول مفهوم القرصنة من الناحيتين المحلية والغربية، وتحليل العلاقات بين البلدين في القرن السابع عشر.

– الخطة المعتمدة في الدراسة:

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، و أربعة فصول، وخاتمة:

أما **الفصل الأول** وهو بمثابة فصل تمهيدي مدخلي، فقد خصّصته للبحث في الظروف العامة لبداية النشاط البحري للجزائر، بعد وصول الأتراك العثمانيين للجزائر، وتحديدا في القرن السادس عشر.

وفي **الفصل الثاني**: تمحورت الدراسة حول مفهوم القرصنة البحرية، وواقعها كنشاط بحري للجزائر بين اللصوصية والجهاد، لأخلص إلى أمر مهم، وهو تخليص النشاط البحري الجزائري، و ما أصابه من تشويه في المعنى، وإبراز البعد الديني الجهادي فيه، خاصة في القرن 16 م وفي مطلع القرن 17.

خصّصت **الفصل الثالث** لوصف البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر، وعوامل قوّتها ثمّ تدهورها.

و أمّا **الفصل الرابع**: فقد خصّصته للعلاقات الخارجية للجزائر، وتحديدا مع فرنسا، وتأثير النشاط البحري للجزائر، في التّقارب والتباعد بين البلدين.

ثم ختمت دراستي **بخاتمة**، ضمنتها كلّ ما توصلت إليه من نتائج حول الموضوع، و أتبعتها بملاحق تتضمن جداول، و رسائل و صورا، و قائمة مفصّلة للمصادر والمراجع والفهارس.

– التعريف بأهم المصادر والمراجع الخاصة بالدراسة:

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: لابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، في سنة 712هـ /1311م، كان هذا المؤلف على قيد الحياة،تحقيق ومراجعة محمد إبراهيم الكتاني،أربعة أجزاء، طبع الرباط، المغرب 1985م،اعتمدت خاصة الجزء الأول وفيه مادة هامة عن تاريخ البحرية المغاربية، وخصوصا تأسيس البحرية المغاربية في عهد موسى بن نصير،ونجد فيه معلومات قيمة عن الأسطول المغاربي،وجهاده في الحوض الغربي للمتوسط، ولاسيما في الجزائر، وقد استفدت منه في الفصل الأول المدخلي.

- المقدمة:ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت 808هـ /1406م،اعتمدت على النسخة التي راجعها الدكتور: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة،2001، والفائدة التي جنيناها من هذا المؤلف القيّم، أفادتنا كثيرا خاصة فيما تعلق بأمر الغزو البحري في الحوض الغربي للمتوسط، وبداياته خاصة في مدينة بجاية، وأمدّنا بمعلومات مهمة حول نشاط القرصنة في المتوسط، كما أنّ الدّارس لأمر النّشاط البحري في المتوسط لابد عليه أن يرجع لهذا الكتاب القيّم.

- مجهول :مفاخرالبربر،دراسةوتحقيقمحمديعلى،المجلسالأعلىللأبحاثالعلمية،الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي .أفادني من خلال وصفه للسفن،وما أفادنا به في اهتمام المرابطين بالأسطول، والقرصنة البحرية في مضيق الزقاق للعبور إلى الأندلس.

- المسالك والممالك: البكري أبو عبيد الله ت 487هـ 1094 /م ،تحقيق أدريان فان ليوفنو أندريفيري،الدار العربية للكتاب1992، وأفادنا بمعلومات مهمة حول النشاط البحري في العهد الحمّادي، وخاصة ما تعلق بإنتاج السفن،نجد فيه معلومات قيمة عن الخطوط البحرية التي تربط البلاد المغربية بالأندلس،ودور التجار المغاربية في الوساطة التجارية بين تجارة البر و البحر.

- الكامل في التاريخ: لابن الأثير عز الدين أبو الحسين علي بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيبان 630هـ /1232م،اعتمدت على نسخة دار

الفكر بيروت،1978ونسخة دار الكتاب العربي،تحقيق عمر عبد السلام تـــدمري1417 هـــ 1997/م واستقصيت منه معلومات مهمة؛ حول نشاط الأسطول المغربي وجهاده.

- **السعي المحمود في تنظيم الجنود** لابن العنابي محمد بن محمود: ، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، وأفادنا هذا المصـــدر القيم، في إبراز البعد الجهادي للنشاط البحري، خاصة لما توفّر عليه من أحاديث وآيات، في فضل البحر وركوبه والجهاد على لججه.

– المقالات والرسائل الجامعية:

1- المقالات المتخصّصة:

– محفوظ قداش : الجزائر في العهد التركي، في ، مجلة الأصالة، العد،52، مطبعة البعث، الجزائر، ديسمبر 1977، وهي مقالة مهمة أفادتنا كثيرا، خاصة لنظرتها الشمولية، التي أعطت لنا فكرة عن كل الجوانب التي لها علاقة بالوجود العثماني في الجزائر؛ مثل القرصنة والأسرى.

– إبراهيم سعيود: القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة– القرصنة الايطالية نموذجا– في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 11، المطبعة العربية 11 رجب 1432هـــ/ جوان 2011م، غرداية، الجزائر، حيث قدّمت لنا تصورا لمفهوم القرصنة مـــن خـــلال طرحها الموضوع وفق مقاربة تاريخية واجتماعية في نفس الوقت، من خلال طرح فكـــرة توارث هذا النشاط، عند أسرة آل دوريا.

– أرزقي شويتام:" التنافس الدولي في البحر المتوسط، خلال القرنين، 18-19م، وموقف الجزائر منه"، في ، مجلة حولية المؤرخ، تصدر عن اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد، 3-4، الجزائر، 2005. تحتوي هذه المقالة على معلومات مهمة حول إستراتيجية الحوض الغربي للمتوسط، واهم القوى الناشطة فيه خلال القرنين 18و 19.

- السيد عبد العزيز سالم: بحوث إسلامية، " وسائل الدفاع في العصور الوسطى"، في مجلة الجيش، عدد 82، 1958. أفادتنا هذه المقالة في الفصل الأول المدخلي، من خلال ما ورد فيها من معلومات جدّ قيمة حول النشاط البحري في العصور الوسطى، خاصة الدويلات الإسلامية.

- حنيفي هلايلي: التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- العدد 24- دار الهدى للطباعة، عين مليلة ديسمبر، 2007. أفادتنا هذه المقالة كثيرا، خاصة في الفصل الثالث، من خلال تنظيم الرياس ورتبهم، ونشاطهم.

- ناصر الدين سعيدوني: الأندلسيون المورسكيين بمقاطعة الجزائر. (دار السلطان)، أثناء القرنين السادس عشر و السابع عشر، حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، الجزائر 1993. وقد أفادتنا هذه المقالة كثيرا في دور الأندلسيين في تنمية النشاط البحري الجزائري.

2-الرسائل الجامعية:

- خليفة إبراهيم حمّاش: العلاقات بين الجزائر والباب العالي(1798-1830)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الحميد عبد العال، 1988. تحتوي على ببليوغرافيا مهمة حول الموضوع، وأفادتنا في العلاقات بين الجزائر الباب العالي، من خلال موقف الدولة العثمانية من العلاقات الجزائرية الفرنسية.

- عائشة غطاس: العلاقات الجزائرية الفرنسية في القرن 17، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، وهي رسالة قيمة ؛ شكلت لنا دربا من دروب البحث، خاصة من خلال مادتها الببليوغرافية، التي اعتمدنا على ما توفر منها. كما لا تقتصر هذه الرسالة على العلاقات السياسية، بل تبحث الجانب الاقتصادي والتجاري.

– المراجع العربية والمعرّبة:

- **صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، لنور الدين عبد القادر، مطبعة البعث قسنطينة، وهو مصدر مهم حول تاريخ الجزائر عموما، و العثماني خصوصا، بالرغم من معالجته أحداثا متفرقة، إلا أنه يقدم معلومات خام للدّارس و المتفحّص لها يجد فيها ما يفيد، وقد أفادنا هذا المؤلف في ما تعلق بمصطلح القرصنة والغزو في البحر، وبداية النشاط البحري للجزائر، خاصة في وصفه للنّشاط البحري عند أهل بجاية.

- **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**: لمحمد مبارك الميلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، وهو مرجع مهم لتاريخ الجزائر لا يمكن الاستغناء عنه، خاصة لما يقدّمه من معلومات مهمّة حول الفترة السابقة للعهد العثماني، وقد أفادنا في دراسة الأوضاع العامة للمغرب الأوسط قبل وصول الأتراك العثمانيين

-**القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط**: آرشيبالد لويس: ترجمة أحمد محمد عيسى، و مراجعة محمد شفيق غربال، طبع القاهرة، 1981، وأفادنا كثيرا في تحديد أهم القوى البحرية الفاعلة في حوض البحر المتوسط، يحتوي هذا المؤلف على معلومات قيمة حول البحرية، ولكن لابد من مراعاة أمر النزعة الذاتية للكاتب بالرغم من ما يظهر على هذا الكاتب من اعتدال في كتابه.

- **معاهدات الجزائر مع فرنسا(1619- 1830)** لصاحبه جمال قنان والكتاب مهم جدا في العلاقات الجزائرية الفرنسية، ويجعل بين يدي القارئ معاهدات الجزائر وفرسا مابين 1619 و 1830، والكتاب عبارة عن نصوص معاهدات بين البلدين وتعليقا ت حولها، وقد أفادتنا كثيرا.

- **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني**: للمنور مرّوش استعملت الجزء الثاني: **القرصنة الأساطير والواقع**، وهو مؤلف ضخم حول النشاط البحري في عزّ أيامه، وفي فترات تراجعه، وهذا الكتاب يعتبر خلاصة ما ألفه الكاتب في المجال، كما أراد من خلاله إخضاع النشاط البحري للواقع، والابتعاد عن الأحكام الأسطورية؛ التي عمّرت طويلا حول البحرية الجزائري، في العهد العثماني تحديدا، وحسم أمر الفترة الزمنية التي عرفت بالعصر الذهبي لها. وقد قدّم لي هذا الكتاب معلومات جدّ قيمة؛ لأن معظمها انتقاه المؤلف من وثائق مصدرية، حتما كالوصول إليها أمرا صعبا، خاصة كون أغلبها أجنبية، جمعه من أرشيفات الدول الأوربية.

-**سيرة المجاهد خير الدين بربروس**: تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الله حمادي، يناول هذا الكتاب سيرة المجاهد خير الدين، ويسلط الضوء على أهم المحطات التاريخية التي مرّ بها خير الدين، منذ وصوله الجزائر، وإلى غاية انتقاله إلى تركيا، وقد قدّم لنا هذا الرجع معلومات مهمة حول بداية

النشاط البحري للجزائر في القرن 16، وسياسة خير الدين البحرية، في بداية تثبيته للوجود العثماني للجزائر، ولا نغفل دور المحقق الذي قدّم بدوره معلومات هامة حول أحداث غير واضحة، وعرّف لا أماكن و شخصيا، مهمة وردت في هذا المؤلف، وعلى العموم الكتاب مهم لأي دارس لتاريخ الجزائر في حكم الأتراك، وتحديدا في القرن 16.

-**العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، في القرن العاشر هجري /السادس عشر ميلادي**، لعمار بن خروف، بالرغم من كون الكتاب يعالج العلاقات بين الجزائر والمغرب إلا أنّ الأمر المهم ، هو المادة الببليوغرافية الهائلة، والتي ساهمت في فتح أبواب البحث لنا، كما لا يفوتني أن أشير إلى ما قدمه لي من معلومات هامة حول مساهمة الأندلسيين في النشاط البحري للجزائر.

– المصادر باللغة الأجنبية:

-DAN, (P.) **: Histoire de la barbarie et de ses corsaires**

تاريخ البربر وقراصنتهم للأب دان، مصدر مهم لتاريخ الجزائر العثمانية، بالرغم من كون الكاتب رجل دين، لا يمكن أن تخلو كتاباته من النزعة الدينية، إلاّ أنّه يحتوي الكتاب على معلومات قيمة، فيما يخص التاريخ السياسي العام للجزائر، وخاصة ما تعلق منه بالنشاط البحري للجزائر و قراصنتها، وقدّم لنا الكتاب معلومات مهمة حول، حول السفن وأعدادها وغنائم البحرية الجزائرية فالقرن السابع عشر، بالرغم من استعمالنا للنسخة الأصلية للكتاب، أي المحملة من الانترنت، وبالرغم من صعوبة العمل عليها، إلا أنها أفادتنا كثيرا.

-Haedo. Diego.de : **histoire des rois d'Alger**.

تاريخ ملوك الجزائر **لهايدو** Haedo ، مصدر مهم **فهايدو** قدّم لنا معلومات مهمّة حول تاريخ الجزائر خاصة في النصف الأول من القرن السادس عشر، وأمر تأسيس البحرية الجزائرية في عهد خير الدين. كتاب تاريخ ملوك الجزائر لا يقتصر على تدوين أوضاع الحكم في الجزائر، إلى غاية 1581، بل يعطينا صورة عن المجتمع الجزائري والأسرى والقرصنة البحرية، فهو إذا مصدر مهم لتاريخ الجزائر في القرن السادس عشر.

– المراجع باللغة الأجنبية:

- Moulay Belhamissi : **Histoire de la marine algérienne 1515-1830**

تاريخ البحرية الجزائرية لمؤلفه مولاي بالحميسي رحمه الله، الكتاب يتناول تاريخ البحرية الجزائرية في الفترة الزمنية الممتدة من 1515إلى 1830، وقدم معلومات مهمة

عن البحرية خاصة فيما يتعلق بالسفن و الغنائم و الريّاس، وقدّم هذا الكتاب لنا معلومات مهمة وقيمة، وساعد بشكل مباشر في إنجاز هذا البحث.

-Braudel, F: **La Méditerranée et le Monde méditerranéen à l'époque de Philippe II.**

تاريخ البحر المتوسط و العالم المتوسطي، في عهد فيليب الثاني، مرجع قيّم جدا لصاحبه **فرناند بروديل**، أكبر مؤرخ فرنسي في القرن العشرين (1902م-1985م) كتابه يعتبر أطروحة قدّمها بعد سنين الأسر التي قضاها عند الألمان، في الحرب العالمية الثانية، الأطروحة تتألف من حوالي 1300 صفحة مع الخرائط والصور والكتاب دراسة شاملة حول تاريخ البحر المتوسط، وأهميته الجغرافية والحضارية، و الاقتصادية، وتناوله الكاتب على أساسه أحد أهم المؤثرات في العلاقات بين الضفتين، ساهمت معلومات هذا الكتاب بشكل كبير في إنجازنا هذا العمل، خاصة في استقصاء أهمية البحر المتوسط، وتأثيره في العلاقات بين الضفتين، والمرجع معرب كذلك.

-Roland Courtinat**:La piraterie barbaresque en méditerranée, XVIe-XIXe siècle**

القرصنة البربرية في البحر المتوسط القرن 16-19، مؤلف مهم، نشر العام 2003، يتألف من 13 فصلا، وتناول مواضيع مهمة في تاريخ الجزائر أهمها: بداية تأسيس إيالة الجزائر، و الأزمة المتربة عن تحطيم البينون، وتناول أمر القرصنة والأسر، وعرّج على العلاقات الفرنسية الجزائرية، وتأثير القرصنة فيها، كما تضمن صورا مهمّة، كصور السفن و سوق النخاسة لبيع الأسرى، وعلى العموم هو مؤلف مهم بالرغم من تناوله لأحداث متفرقة، وحتى متباعدة زمنيا، و غلبت عليها العموميات و الأحكام الآنية، إلاّ أنّ الكتاب ساعدنا كثيرا كون مواضيعه تتماشى مع البناء العام للبحث.

- **أمّا عن الصعوبات** التي واجهتني في هذه الدراسة:

- لا يخفى أن أي عمل إلاّ وتعترضه مجموعة من الصعوبات، وهذا ما يزيد من أهميته، ولعلّ أهم الصعوبات التي اعترضتني، تكمن في صعوبة الحصول على المصادر المتعلقة بالموضوع، خاصة الأجنبية منها، مما جعلني اعتمد تقريبا بشكل كلّي على نسخ الكتب على جهاز الكومبيوتر، و الذي يتعب الدارس كثيرا.

- يعتمد البحث التاريخي في الفترة الحديثة، على المصادر والمراجع الأجنبية، خاصة الفرنسية منها، وهذا ما دفعنا إلى الترجمة طول مراحل البحث، وقد أخذت مني الوقت و الجهد معا.

- ومن الصعوبات الأخرى ضيق الوقت، وصعوبة التوفيق بين العمل والبحث، خاصة لمّا حاصرتني الآجال المحددة لإنجاز هذا البحث، من طرف الإدارة، والتي أثرت على مردود العمل عامة، وانعكست سلبا عليه.

- إنّ الالتزام بالعمل في الثانوية، وما ترتب عليه من واجبات، وتزامنه مع البحث، كلفني جهدا مضاعفا لتحقيق هدفي في إنهاء هذا العمل، الذي طمحت لأن يكون متميزا، دون إضاعة حق التلاميذ، وإتقان رسالتي التربوية، والتي نرجو من الله أن يتجاوز عنّا ما بدر منّا من تقصير، خارج عن نطاق إرادتنا.

- إنّ وفاة الأستاذة عائشة غطّاس، يعتبر أكبر صعوبة تلقّاها هذا البحث، حيث أشرفت على العمل في بدايته.

كما لا يفوتني توجيه الشكر للأستاذ المشرف **عمار بن خروف**، على قبوله الإشراف على هذا العمل، وعلى نصائحه السديدة، وآرائه الثاقبة، وصرامته في العمل، وجدّيته في ما تعلق بالبحث، والحمد لله الذي أكرمنا فرصة الدراسة عنده والنهل من علمه.

كما أقدم شكرا جزيلا للأستاذ الفاضل **أبو سليم** على توجيهاته ونصائحه، ورحابة صدره، وصدق رسالته العلمية، بالرغم من ارتباطاته الإدارية، والعلمية التي لم تثنيه عن تقديم دعمه المعنوي، والعلمي.

وفي النهاية أوجه **الشكر** لكل من ساعدني من قريب ومن بعيد، وأخص بالذكر الأستاذة **عائشة غطّاس** قبل وفاتها رحمها الله، أشكرها على الروح التي بعثتها في داخلي لحب البحث والتفوق، أشكرها على تعليمي معنى التأني في إصدار الأحكام.

كما أشكر من ساعدني في الجانب التقني لإنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر الأخ عطاء الله مجادي، والأستاذ أحمد نقوبه في جمع المادة وتحليلها، وصديقي آيت وعلي صفيان على دعمه المتواصل، بالرغم من اختلاف ميدان عملينا، وأتوجه في الأخير بالشكر لطاقم المكتبة الوطنية بالحامّة، على كل ما قدموه، وكذا الطاقم الدراسي في مؤسسة عملي بالثانوية، خاصة السيد المدير، والسيد الناظر، على صبرهم وتفهمهم. وأخيرا أتمنى أن يساهم هذا البحث ولو بالشيء القليل في إثراء تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، و أن يساهم في خدمة البحث العلمي.

آفلو : 16 رمضان 1432هـ

الموافق لـ:16 أوت 2011.

الطالب: عطلي محمد الأمين

الفصل الأول(المدخلي):

الظروف العامة لبداية النشاط البحري الجزائري في العصر الحديث.

المبحث الأول:

- **تأثير البحر المتوسط و موقع الجزائر في العلاقات بين الضفتين.**

1- البحر المتوسط كمؤثر جغرافي و حضاري واقتصادي في العلاقات بين الضفتين

2- المغرب الإسلامي والجزائر الموقع والأهمية الإستراتيجية

المبحث الثاني:

- **الوضع السياسي العام في المغرب الإسلامي ودوره في بعث النشاط البحري للجزائر في القرن 16.**

1- الأوضاع السياسية العامة في المغرب الإسلامي

2- الأوضاع السياسية العامة في الجزائر (المغرب الأوسط)

الفصل الأول(المدخلي)

مقدمة الفصل:

البحر المتوسط بحر داخلي يربط بين ثلاث قارات من قارات العالم، ويشكل بذلك أهمية جغرافية واقتصادية، وحضارية كبيرة جدا، و لا يمكن إحصاء كل الدراسة التاريخية حول العلاقات بين دول ضفافه، التي ساهمت بشكل مباشر في تطوير الأساطيل البحرية، للدول المطلة على سواحله، وذلك بغية السيطرة والهيمنة على منافذه التجارية.

و الجزائر إحدى أهم دول الحوض الغربي للمتوسط، التي كان لها بصمة تاريخية في المجال البحري في المنطقة، حظيّت باهتمام العديد من المؤرخين، و تعرّضت نظير هذا الاهتمام إلى تشويهها و ربطها باللصوصية، في عهد الأتراك العثمانيين. لكن نشاط البحرية الجزائرية في شمال إفريقيا، لا يرتبط بوصول الأتراك العثمانيين في مطلع القرن السادس عشر، بل يعود إلى مرحلة العصور الوسطى؛ وتحديدا منذ وصول الإسلام، ومرورا بالكيانات السياسية التي مدّت نفوذها على جغرافية الجزائر، خاصة الحمادية و الموحدية و الزيانية، وبقية الدويلات الأخرى، حتى وإن كان نشاطها البحري أقلّ تأثيرا، مما يبيّن عمق هذا النشاط في واقع أنظمة شمال إفريقيا السياسية، و مدى أهميته الإستراتيجية في حساباتهم.

لكن النشاط البحري للجزائر في العصر الوسيط عرف تراجعا كبيرا، خاصة في العهد الأول من القرن 10هـ/16م. بعد انهيار دولة الموحدين، الذي ساهم في زيادة حجم التحرشات الأوربية على سواحل الجزائر، وخاصة الإسبانية منها، حيث أدى هذا الضعف إلى سقوط المرسى الكبير ووهران و بجاية، وباقي الموانئ كدلّس والجزائر، وأصبح لها سلطة واسعة على سواحل الجزائر، مما اضطر دولة الزيانيين إلى إمضاء معاهدة مع الإسبان في سنة 1512، اعترفت فيها بسلطة إسبانيا على سواحل الجزائر، مما يدل على ضعف كبير في قوة الكيانات السياسية في شمال إفريقيا عموما، والجزائر خصوصا.

وهذا ما دفع إلى ضرورة بعث هذا النشاط من جديد، لوقف الهجمات الأوربية، ووضع حد لتحرشاتهم وتطلعاهم الاستعمارية، خاصة في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وهذا ما دفعنا للتساؤل، حول الظروف التي ساهمت في بعث النشاط البحري للجزائر في هذا الزمن تحديدا، وفق الخطة المبينة للبحث في هذا الفصل المدخلي.

المبحث الأول:

تأثير البحر المتوسط و موقع الجزائر في العلاقات بين الضفتين

1- البحر المتوسط كمؤثر جغرافي و حضاري واقتصادي في العلاقات بين الضفتين:

ليست البحار سوى امتدادا لليابسة، و الاثنان يشكلان عالم الإنسان على هذا الكوكب وهما وإن اختلفا في الطبيعة والدور والمكان عند الإنسان، إلا أنهما يتكاملان لخدمته و تحقيق أهدافه، وبالرغم من ما تبدو عليها البحار؛ من أداة فصل بين اليابسة هنا وهناك، فلقد نجح الإنسان ومنذ أقدم العصور إلى جعلها أداة وصل لا فصل، وهي ليست حواجز إنما هي طرق صالحة، لمن توجد لديهم وسائل الانتقال إليها وفيها [1]

وقام المصريون منذ القدم ببناء السفن وركبوها في الأنهار و البحار[2] ، و اكتشف الإنسان أن البحر ليس فقط طريقا للاتصال بين الأمم والحضارات، بل لابد منه للحرب والتجارة وللعداوة والصداقة ولإيقاع الضرر وتبادل المنافع. [3]

وهذا الدور الكبير للبحار اكتشفه الإنسان منذ القدم بالممارسة والتدريج، خاصة لدى الحضارات المطلة على البحار، وباتت السيطرة على تلك البحار، هدفا أساسيا لتجارتها، ولفرض نفوذها وهيمتنها على الآخرين، وما زالت البحار إلى يومنا هذا تؤدي الدور نفسه، وتحتل المكانة عينها، ومن أهم هذه البحار بحرنا المتوسط.

أ- جغرافيته:

البحر المتوسط أو الأبيض المتوسط، بحر داخلي يربط ما بين أهم ثلاث قارات في العالم؛ أوربا و إفريقيا وآسيا، ويمثل حوضا يجمع عددا لا متناهي من القوميات، واللغات، و الثقافات،

---

[1] لويس آرشيبالد: **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط**، ترجمة محمد أحمد عيسى، يقدم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية ص 14.

[2] سعاد ماهر: **البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية**، دار الكتاب العربي، مصر، ص، 15.

[3] لويس آرشيبالد: **المرجع السابق**، ص 14.

المطلة على ضفتيه الجنوبية والشمالية، يتصل المتوسط بالمحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق، في الحوض الغربي منه، ويمثل مسطحا مائيا مهما جغرافيا، وحضاريا، لا يضاهيه في ذلك أي بحر داخلي على الإطلاق. [1]

و البحر المتوسط مكان مميز منذ العصور القديمة، و الوسطى، مكانته مميزة على سائر البحار، فعلى ضفافه قامت أهم الحضارات، والإمبراطوريات، فالآشوريون، والبابليون، والفينيقيون، والفراعنة، والفرس، واليونان، والرومان، والبيزنطيون، و البرابرة، و القوط، والفرنجة، واللومبارد، خاضوا غماره، فكان هذا البحر في العصور السابقة الأولى؛ الأهم بين سائر البحار كلها [2] و قد تغير اسم البحر المتوسط حسب علاقته بالأرض، و بالشعوب التي عاشت على ضفافه، فالمصريون القدامى نظرا للموقع الذي كان يحتله سموه البحر الأعلى[3]، وكذلك السومريون ينسبوه بالنسبة لبلادهم، و في الإنجيل أطلقت عليه أسماء مختلفة، فهو البحر الفلسطيني، و البحر الكبير، و سماه هيرودوتس [4] الذي جاب مياهه "البحر الكبير " أما أفلاطون و مؤرخين من الإغريق ذكروه بتسمية البحر الهيليني، و البحر الداخلي، أما التسمية اللاتينية أصطلح عليه بحر الروم، و أطلقه العرب كذلك كإبن خلدون في مقدمته [5]و الإدريسي في مؤلفاته ،

---

[1] محمد إبراهيم حسن: **دراسات في جغرافية أوربا وحوض البحر المتوسط**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1999، ص، 28-50.

[2] اللجنة المغاربية للتاريخ الإسلامي: **الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي**، ندوة دولية، سلا، المغرب، ماي ، جوان،1997، ص 22

[3] مختار السويفي: **أم الحضارات، ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان**، تقديم: جاب الله علي جاب الله، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، ص، 19.

[4] هيرودوتس: مؤرخ إغريقي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (**484 ق.م – حوالي 425 ق.م**)، عرف بأبو التاريخ معروف بفضل كتابه "تاريخ هيرودوتس"، الذي يصف فيه أحوال البلاد والأشخاص التي لاقاها في ترحاله، حول حوض البحر الأبيض المتوسط..**أنظر**: موقع ويكيبيديا: يوم 22 ماي 2011 على الساعة: 15:43.

[5] إبن خلدون: **المقدمة، ج1**، مراجعة الدكتور: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ص، ص، 68-102.

و أطلق عليه الرومان بحرنا" MARI NOSTRA "و هكذا حتى أصبح يعرف بالبحر الأبيض المتوسط[1].

و طول القرن السابق للفتح العربي لبلاد الشام و مصر، كان المتوسط يعرف ببحر الروم، وأصبحت دولة الروم [2]، و هو الاسم الذي أطلقه العرب على الدولة البيزنطية، وريثه الإمبراطورية الرومانية التي سقطت على أيدي البرابرة، في صراع عسكري دائم مع الإمبراطورية الفارسية، و هو ما زاد من حدة الصراع على المتوسط.[3]

ب- الأهمية الحضارية و الجغرافية:

البحر المتوسط غني عن التعريف به، و بأهميته منذ القدم، و يكفي قول "ابن خلدون" ،"... الساكنون بسيف هذا البحر و سواحله و عدوتيه[4]، يعانون من أحواله، ما لا تعانيه أمة من أمم البحار..."[5]، ولما نتكلم عن الأهمية القصوى التي يكتسيها هذا البحر، في الصراعات الجغراستراتيجية، قديما و حديثا.ونشير إلى أن المتوسط يتحكم عبر مداخله في خطوط الملاحة البحرية الداخلية إلى الحوض عامة، سواء تلك القادمة من العالم الجديد و إفريقيا الغربية، و الشرقية أو الشرق الأدنى و الأوسط، أو المتجهة نحو الشرق الأقصى عبر قناة السويس.[6] وأصبح يشكل البحر المتوسط، تاريخ شعوب وحضارات، قامت عل ضفتيه وأسست أهم حضارات التاريخ الإنساني.

---

[1] حسونة المصباحي: **البحر المتوسط حسب بريدراج ماتفيجيفيتش**، في مجلة العرب الثقافية، الخميس 31 جويلية 2008، ص، 9.

[2] القرآن الكريم: سورة الروم

[3] لويس: **المرجع السابق**، ص14.20.51.

[4] عدوته الجنوبية: (كما فسرها إبن خلدون بنفسه) بلاد البربر كلهم من سبته إلى الإسكندرية، إلى الشام، و عدوتيه الشمالية بلاد الأندلس و الإفرنجة و الصقالبة و الروم إلى بلاد الشام أيضا.

[5] ابن خلدون عبد الرحمن: **المقدمة، ج1**، المصدر السابق، ص، 311.

[6] رجاء العودي عدوني: **الجهاد البحري المشترك بين إفريقيا و المغرب الأقصى بين القرن الثالث عشر و القرن السادس عشر ميلادي** في مجلة اللجنة المغربية للتاريخ البحري، سلا ماي – يونيو 1997 المغرب ص 109

وأصبح يشكل البحر المتوسط، أحد أهم حلقات التاريخ القديم والحديث، وارتبط تاريخه بتاريخ بقية البحار،وفي هذه الأهمية يقول **بروديل** في كتابه" البحر المتوسط والعالم المتوسطي": "... لا يمكن معرفة تاريخ العالم والبحار الداخلية، دون معرفة تاريخ البحر المتوسط..."[1] و مما زاد خصوصية هذه المنطقة و أهميتها، وفرة الموانئ و المرافق و المخابئ المنتشرة على طول سواحلها، و كما لا يخف أن الموانئ التي انتشرت على ضفتي البحر المتوسط، شكلت مركزا هاما للتجارة، و التبادل الاقتصادي. بين شعوب أغلبها غربية.

شكل البحر المتوسط منطقة صراع ديني كذلك، بين الإسلام والنصرانية، وكان هذا العامل محرك أساسي لهذا الصراع، فقد أظهرت الكنيسة تأثيرها المعنوي، والمادي في توجيه موازين القوى، إلى جانب المنافسات التجارية، واكتشاف أهمية الطرق البحرية ذات الأبعاد الإستراتيجية؛ فقد اكتسب البحر المتوسط أهمية كونه منطقة حضارية، وفي كونه أيضا طريقا عالميا للتجارة والعبور الدوليين، بين أجزاء العالم في العصر القديم والوسيط، وبين العالم في العصر الحديث و الجديد.[2]

كما عرف هذا البحر صراعا كبيرا بين أمم الضفتين الجنوبية والشمالية، وكذا بين حوضه الشرقي والغربي، خاصة بعد ازدياد نشاط البحرية العثمانية، في الحوض الغربي للمتوسط[3] واصطدامها بإسبانيا أكبر قوة بحرية آنذاك، حيث كان هذا سببا في أغلب المواجهات، التي قامت بين الدول المجاورة للحوض الغربي للمتوسط[4] خاصة بعد قدوم الإخوة بربا روس، إلى الحوض الغربي للمتوسط، وخوضهم لحرب ضد الصليبيين، اشتملت على ثلاثة محاور أساسية: الأولى في

---

[1] Braudel. Fernand.: **La Méditerranée et le Monde Méditerranéen à l'époque de Philippe** II، Ed, tom2, paris، ،1976 p 24-60.

[2] Héré Coutau Bigarie: **l'Emergence d'une pensée Naval en Europe au XVI et au début du XVII e Siècle**, Ed , le mère, paris , 2000,p 205.

[3] بل فريدرك وليام: **الصراع البحري والقرصنة العالمية**، ترجمة السيد: فؤاد، ج1، ط1، مطبوعات الجامعة، القاهرة، 1977، ص، ص، 65-90.

[4] Braudel. Fernand.: op, cit, p.122.

البحر، والثانية لإنقاذ أهل الأندلس، والثالثة لمنع الأسبان من احتلال شمال إفريقيا، والهيمنة على المتوسط.[1]، وهذا ما جعل الصراع بين الضفتين بأخذ منحى تصاعديا، بفعل المشكل الأندلسي.

ومما زاد في حدة هذا الصراع على المتوسط؛ منع الملك جيمس الأول (James I) أعمال القرصنة والغارات في البحار في القرن 15 الميلادي، فغير القراصنة الأوربيون موانئهم في انكلترا و ايرلندا، واتجه كثير منهم نحو سواحل شمال إفريقيا، كما قام قراصنة هولندا والانجليز؛ بالإبحار نحو المتوسط ووصلوا جبل طارق، وتوغلوا في مدن المتوسط حيث تعاملوا تجاريا مع سكانها.[2]

وبوصول إنجلترا إلى الحوض الغربي للمتوسط، وتوغلها في المنطقة، أصبحت تشكل تهديدا على القوى الأوربية، و المغاربية الإسلامية، واحتدم الصراع بين هذه القوى، وأصبحت كل قوة بحرية في الحوض الغربي للمتوسط تسعى للتسيد، وممارسة السلطة على مياهه، و لم يتوقف الصراع في الحوض الغربي للمتوسط، طيلة ثلاثة قرون كاملة في الفترة الحديثة[3] بين أمم أوربا فيما بين بعضها البعض تارة، وبينها وبين الأمم الإسلامية في شمال إفريقيا تارة أخرى، وساهم في هذا الصراع عدة عوامل، أهمها : الدين ، ثانيها القرصنة المتوسطية وثالثها التجارة والمال، وعوامل أخرى. [4]

ج- أهميته الاقتصادية:

يعرف هذا الموضوع إحجاما كبيرا من طرف الباحثين العرب، للخوض فيه و دراسة أهم جوانبه، مما جعل المعلومات المتعلقة بالتجارة البحرية؛ مستمدة أساسا من وثائق الأرشيفيات

---

[1] Emmanuelli René: **Gènes et L'Espagne dans la Guerre de Course (1559-1569)**، Ed, Société Médiévales Méditerranéenne, paris، 1964، pp20 ،-23.

[2] إبراهيم سعيود: **القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جوان 2011، المطبعة العربية، المركز الجامعي غرداية، ص، 145.

[3] في تحديد الفترة الزمنية للعصر الحديث يقول الأستاذ الدكتور" إبراهيم سعيود": " نعني بالفترة الحديثة في تاريخ الجزائر، مرحلة التواجد العثماني الذي استمر أكثر من ثلاثة قرون (1518-1830)، أما بالنسبة للتاريخ الأوربي فهي محددة من القرن الرابع عشر إلى الاستنارة؛ أي إلى غاية القرن 18. انظر: إبراهيم سعيود: **المرجع السابق**، ص، 159.

[4] Heers. Jacques: **Les Barbaresques, la Course et la Guerre en Méditerranée**, coll., perrin . Paris ،2001 ،p, 256.

الأوروبية، لا سيما أرشيفات إيطاليا و إسبانيا، التي كانت في هذه الحقبة من التاريخ، على علاقة وطيدة بالشعوب المستوطنة ، و هي تقدم لنا و للباحثين فائدة كبيرة. [1]

قبل أن نوضح الأهمية الاقتصادية للمتوسط، يتوجب علينا أولا أن نشير إلى أمر مهم؛ و هو أن حركة السفن التجارية في مياه المتوسط، تبدو واضحة رغم تغير الأنظمة السياسية، و تبدل القوى المسيطرة عليه، فانتقال حكم المغرب من دولة لدولة، لم يؤثر على هذه الحركة التجارية، إلا بقدر ما تفرضه الدولة من نظم وقوانين تجارية، و مدى قدرتها على التحكم في هذه الحركة، وما توفر لها من مناخ و حماية.

و في ذلك يقول **بروديل**"... إن تاريخ البحر المتوسط، لعب فيه الاقتصاد دورا حاسما، في أغلب الأحيان؛ في الثروات التي يأتي بها البحر، كمسطح للنقل؛ فسيد هذه الثروات، هو من سيطر على البحر، و لم يكن هذا البحر على سعته يقبل بسيد واحد في وقت واحد، و ليس من الضروري أن يكون هذا السيد سياسيا كروما كما يظهر لنا للوهلة الأولى، و إنما سيد المبادلات، التفاوت، و فروق المستويات في الحياة التجارية[2] .

وفي هذا الصدد نجد أنفسنا أمام ما ذهب إليه **هنري بيران** في كتابه "محمد وشارلمان" محاولا تأكيد الصلات التجارية وتفكك أوامر الوحدة، التي سادت قديما البحر الأبيض المتوسط، بسبب الفتح الإسلامي [3] ، فهل كان هذا الفتح قطعا للعلاقات التجارية، بين العالم الغربي و المغاربي الإسلامي على وجه الخصوص حسب نظرة بيران؟.

---

[1] و من أهم الدراسات الهامة على ذلك أنظر:

- Bautier.H.: **Sources pour L'histoire de Commères Maritime en Méditerranée de 12 eme au 14 eme Siècle**
- Dans Actes du 4 eme Collègue International D'histoire Maritime ; Paris, 1959, P,P, 137-177
- Jobel.G.: **Les Génois en Méditerranée occidentale (fin 10(e)- début 14(e siècle)**, Paris pp , 111-115.

[2] فرنان بروديل: **المرجع السابق**، ص، 133.

[3] نجاة باشا:**التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري**، منشورات الجامعة التونسية، 1976.ص16

لكن الدارس لحركة الفتح الإسلامي، التي امتدت من المحيط الهندي إلى الأطلسي، يجدها زادت من الانفتاح الاقتصادي، و جمع مجاله بين عالمين متضادين، الروماني و السّاساني، و بالفتح الإسلامي أرجعت الدورة التجارية العالمية، أعظم مدن البحر المتوسط، من أمصار حديثة كالقيروان و فاس، و أخرى بعثت فيها الحياة كإشبيلية، و قرطبة و باليرمو، وهذا واضح في إشارات الرحالة العرب [1].

ضف إلى ذلك ما جمعه علماء التاريخ الأوروبي، من نصوص كثيرة تثبت أن الفتوحات الإسلامية؛ لم تؤدي إلى انقطاع تام للتجارة البحرية بين الشرق و الغرب، و هذا ما ذهب إليه الراهب الإفرنجي **آشور** في "كتابه التاريخ الاقتصادي". [2]

وكنتيجة فإن العلاقات التجارية لحوض البحر المتوسط عموما، لم تنقطع عبر العصور التاريخية، لتبلغ درجات التطور في القرنين القرن السادس، و الثامن الهجري 12 و 14 م، و لتصبح أكثر تعقيدا بعد القرن 15 و 16 م، نتيجة كونها أصبحت محكومة بمعاهدات و اتفاقيات تجارية.

إذا الأهمية الجغرافية و الحضارية و الاقتصادية، لحوض البحر الأبيض المتوسط، حتمت على شعوبه العيش بلا استقرار؛ نتيجة كثرة الصراع بين شعوبه، للسيطرة على أهم مناطقه، فمنطقة المغرب عانت من تبعات هذا الصراع ما عانت، و تأثرت أقطارها أيما تأثير، خاصة الجزائر، المغرب، و تونس، وهذا ما يجعلنا نردف أهمية موقع البحر المتوسط بأهمية موقع المغرب الإسلامي من جهة، و الجزائر من جهة أخرى، باعتبارها موضوع بحثنا.

---

[1] علاوة عمارة: **النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر و الغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2008. ص 137 و ما بعدها

[2] أ. آشور : **التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى**، تعريب عبد الهادي علية، دمشق، ص، 55.

2- تأثير موقع المغرب الإسلامي و الجزائر في العلاقات بين الضفتين

أ- المغرب الإسلامي: يتمتع المغرب الإسلامي بموقع استراتيجي على ضفاف المتوسط، ويشرف على الممر البحري الهام، المتمثل في مضيق جبل طارق، و مضيق صقلية؛ أكسبها أهمية اقتصادية، ورؤية تجارية من أعلى الطراز [1]ولا سيما لما تبسط أنظمتها السياسية نفوذها، على مثل هذه الممرات المائية الهامة، و عرفت بلاد المغرب الإسلامي تفتحا منقطع النظير، على دول أوروبا الجنوبية، لما لها من واجهة بحرية تجعل الساحل الإفريقي؛ مركزا مهما لشتى أنواع التبادل التجاري، والتواصل الحضاري بين شعوب الضفتين.[2]

ب- الجزائر:

من يتأمل في الخرائط الجغرافية للجزائر، يتبين له أن الجزائر تعد من أهم الدول التي تتمتع بموقع إستراتيجي هام، فهي تطل على البحر المتوسط من جهة الشمال، وتضرب في أعماق الصحراء من جهة الجنوب .وبالتالي تكون محورا تتقاطع فيه حضارات مختلفة.

إن موقع الجزائر المطل من الناحية الشمالية على البحر المتوسط، جعل أنظمتها السياسية طول فترات تواجدها، في حالة تأهب دائمة لرد أي عدوان، أو حملة غربية، والتي كانت في مجملها؛ تهدف إما لضرب الاستقرار أو إخافة رياس الجزائر وبحارتها، وإتباع سياسة الترهيب معهم، وكثيرا ما تحركت و كانت تهدف لاحتلال الجزائر.[3]

وعملوا على الوقوف في وجه كل العراقيل، خاصة التجارية الخارجية، والصمود في وجه المنافسة الغربية في حوض المتوسط [4]وما يمكن أن نستخلصه أن الجزائر عانت وتضررت كثيرا؛

---

[1] نجاة باشا: المرجع السابق، ص، 16-20.

[2] هوبكتر : **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص، 158.

[3] «Expéditions et traités de divers pays d'Europe, précis des traités la France et Alger et des Expéditions entreprise contre cette régence » ،par Des granges, paris, le ; 10 Juin 1827, copie 89, in **A.N.P** ? AE.BIII. 322.

نقلا عن بريدراج مابجيفيتش: مجلة العرب الثقافية : المرجع السابق، ص،7.

[4] أرزقي شويتام:" **التنافس الدولي في البحر المتوسط، خلال القرنين، 18-19م، وموقف الجزائر منه**"، مجلة حولية المؤرخ، تصدر عن إتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد، 3-4، الجزائر، 2005، ص، 161.

من جراء موقعها الاستراتيجي؛ إذ كلفها خسائر مادية وبشرية، وكان على حساب استقرارها الأمني.

وخلاصة القول أن العامل الجغرافي كان له الأثر البالغ، في تحديد أهمية الأمصار، ومدى مساهمتها في تدوين التاريخ العام للبشرية، فالبحر المتوسط وموقع الجزائر، مجال خصب قامت على ضفافه أرقى الحضارات، وكان سببا في اندثارها، الأمر الذي حتم على كل أمم المتوسط؛ الاهتمام بمجال القوة البحرية، والاعتماد عليها في كسب الرهان للسيطرة على مياهه، وفيما يأتي سنوضح الأهمية الكبرى التي منحها الأوربيون و العرب المسلمون للنشاط البحري في الحوض الغربي للمتوسط، منذ أقدم العصور ولغاية الفتح الإسلامي.

المبحث الثاني

الوضع السياسي العام في المغرب الإسلامي ودوره في بعث النشاط البحري للجزائر في القرن 16.

عرفت منطقة شمال إفريقيا، أو ما درج عند المؤرخين في كتاباتهم بتسمية المغرب الإسلامي، أحداثا سياسية متأزمة، و أوضاعا داخلية غاية في التداخل و التشعب، فمع مطلع القرن السادس عشر، الموافق للقرن العاشر هجري، تأزمت الأوضاع الداخلية إجمالا لأن الدويلات الثلاث التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية في القرن 13م وهي: دولة بني مرين، ودولة بني زيان، ودولة بني حفص.

فتوطأت دولة بني مرين الوطاسيين في المغرب الأقصى، و دولة بنو زيان في المغرب الأوسط، و اتخذوا من تلمسان عاصمة لهم، أما مدينة تونس فقد غدت قاعدة بني حفص و حاضرة ملكهم، و تتربع هذه الأخيرة على المنطقة المحصورة جغرافيا ما بين الجزء الشرقي من المغرب الأوسط، و افريقية حتى إقليم طرابلس. [1]

و كنتيجة حتمية لهذا التفكك الذي ساد منطقة المغرب الإسلامي، و لافتقاره إلى سلطة قوية تفرض نفوذها و هيبتها، بعدما صار التطاحن و الفرقة و الفوضى، سمة و صورة يتصف بها هذا المجال الجغرافي الواسع، بالرغم من وحدة العرف و اللغة و الدين، [2] أصبحت سواحل المغرب الإسلامي، تحت تحرشات الأيبيريين، خاصة الأسبان منهم.[3] و قد كان هدف اسبانيا بعد سقوط آخر معاقل المسلمين في الأندلس عام 1492، يقوم على غزو سواحل شمال إفريقيا، و القضاء على كل نفوذ إسلامي، من شبه الجزيرة الأيبيرية وكان الدافع وراء هذا التحرك هو

---

[1] محمد خير .فارس:**تاريخ الجزائر الحديث، من الفتح العثماني إلى الاحتلال،الفرنسي**، مكتبة الشرق، ط2،بيروت، 1979،ص، 6.

[2] P. Boyer.: **contribution à l'étude politique religieuse des tures dans la régence d'alger**. in R.O.M, M, N°1, 1966, p12

[3] A.H Ben Mansour .: **Alger en XVI, XVII, Emme siècle**, Bastide, paris, 1998, p24.

الروح النابعة من الحقد الصليبي، ضد كل ما هو إسلامي، ليس في اسبانيا فقط، و إنما في الحوض الغربي للمتوسط عموما.

فبدأت اسبانيا بتحقيق أهدافها التوسعية المتعصبة دينيا، على طول سواحل المغرب الإسلامي، فاستولت على أهم الموانئ[1]، فأنزلت قواتها على سواحل المغرب الأوسط، فاحتلت المرسى الكبير(911هـ /1505م) ثم تمكنت من احتلال وهران في عام(915هـ/1509م)، ثم مدينة بجاية (916هـ/1510م) أما باقي الموانئ كدلس والجزائر، فاضطرت إلى دفع الجزية، و بذلك أصبح لاسبانيا نفوذا كبيرا، و سلطة سياسية و عسكرية منقطعة النظير، على سواحل شمال إفريقيا، ما اضطر الدولة الزيانية، إلى عقد معاهدات صلح مع اسبانيا، فوقعت اتفاقية عام 1512م، قدمت فيها اعترافها الصريح، بسلطة اسبانيا على موانئ سواحل إفريقيا الشمالية. [2]

وفي هذا الوضع يقول **شارل أندري جوليان** في كتابه: "تاريخ إفريقيا الشمالية"، واصفا حال المغرب آنذاك: " ...شيد الإسبان سلسلة من القلاع والحصون الاسبانية[3] على طول ساحل شمال إفريقيا، و عاشت هذه القلاع و الحصون الاسبانية، في حالة من الحصار طوال فترة الاحتلال، و كانت حياة الجند صعبة و شاقة لا توصف، و بلغ اليأس بالجند مبلغا جعلهم يفكرون في أن يتحولوا إلى مغاربة ...". [4]

---

[1] (E.DELA) Primaudie: ‘’**Document inédits sur l’histoire de l’occupation Espagnole en Afrique** .in **R.A. Alger.** 1876 ,**N**° 20, p.73

[2] يحي بوعزيز : **علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوربا (1500-1830)** ،الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ،1985،ص، 11.

[3] **الحصون الاسبانية:** عرف بعض المؤرخين العرب، أن نمو العمران في هذه الفترة طرأ عليه تغير واضح، نتيجة تشيد الأسبان للحصون، و ووسعوها، و اتخذوها، لقواتهم للمحافظة على المدينة، و من أهم تلك الحصون: حصن **الجبل** الذي استعان الأسبان في إقامته **بقبيلة أحميان**، و حصن **العيون** الذي شيد سنة 1534 م ، ثم برج **ابن زهوة**، وبرج **القديس فليب**، و أخيرا رأس القصر .للمزيد عن العمران في وهران، و تفصيلات مهمة عن الحصون، و الأبراج، التي أقامها الإسبان دراسة مهمة جدا بعنوان : **مدينة وهران : دراسة في جغرافية العمران** .تأليف بشير مقيبس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 ص، 88.

[4] شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريف محمد صندالي، و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر،2ج، ط2، تونس، 1983، ج2 ،ص، 325.

أما البرتغاليون محملون بالحقد و حب الثأر لهزيمة طنجة 1458م، وقاموا بإعـــداد حملـــة عسكرية بأسطول تعداده 17 ألف رجل، و اختاروا من القصر الصغير قاعدة لهم، و الذي كـــان ميناء حيويا تمكنت من احتلاله في 19 أكتوبر1458، و انطلاقا من هذا الميناء قامت بـــالهجوم على عدة موانئ و نقاط أخرى، تمهيدا لتحقيق الهدف الرئيسي، و هو احتلال طنجة، و الـــتي تم إعداد حملة جديدة لها في عام 1464 م، لكنها فشلت، فكانت هذه الانتصارات مشجعة لهـــم، بالمزيد من التوسع على السواحل المحاذية لجبل طارق، و مع مرور الوقت ضعفت طنجة، فرحـــل سكانها خوفا من بطش البرتغاليين، و هجروها للمدن المجاورة لها، و بهذا أصبحت أهم الموانئ أو سواحل المغرب الإسلامي، في يد القوى الأيبيرية تقريبا.

ومما سبق يتضح أن انعدام قوة سياســـية و عســـكرية قـــادرة علـــى وقـــف توســـعات و تحرشات الأيبيريين، و ضعف القوى المحلية، كانت من العوامل التي دفعت الســـكان عمومـــا، و الأعيان و العلماء خصوصا، إلى البحث عن قوة قادرة على رد حملات الأسبان و البرتغاليين، في وقت كانت فيه انتصارات العثمانيين، على القوى المسيحية ترد إلى السكان المنطقة، و التي تركت بدورها انطباعا حسنا لديهم. فقام السكان المحليون بالتفكير في دعوة الأتراك للنجدة، و المساندة، مادام الرابط الديني موجودا، و الرغبة في التصدي لقوة الصليبين،

إنّ الوضع في المغرب الإسلامي – أي الجزائر – ساهم هو الآخر في بعث حركة بحرية، للخروج من الاضطرابات، ووقف التحرشات الخارجية، وهذا ما سنبيّنه فيما يلي.

وإذا ما ركّزنا القول على **المغرب الأوسط** (**الجزائر**)، وبحثنا في أوضاعه عشية وصول طلائع العثمانيين إليه وجدنا أنّ حالته السياسية، والاقتصادية، ليست مجرد انعكاس للوضع العام في المغرب الإسلامي عموما، الذي سادت فيه الفوضى والخلافات السياسية، كما سبق وأشرنا إليه، فهذا الإطار الجيوسياسي، المعروف بالمغرب الأوسط؛ أو الجزائر، الذي كثرت فيه الفتن؛ بسبب التنازع على السلطة، في المنتصف الثاني من القرن 15 م، حتى لم يصبح في وسع الزيانيين بتلمسان، حماية المناطق التابعة لهم، من هجمات الإسبان[1] ولنصور الأمر بكل بدقة وبشكل عام سنسلط الضوء على أهم القوى السياسية الناشطة آنذاك ؛ ففي الجنوب إستقلّ بنو جلاب بتقرت.[2]

وعاشت غرداية حالة الاستقلال عن السلطة المركزية، لبني زيان، أو الحفصيين، أما بجاية[3] فقد انفصلت عن تونس في بداية القرن الخامس عشر، وقام الملك عبد العزيز بتوسيع حدود مملكته. فاصطدم بقسنطينة وحاكمها أبي بكر؛ شقيق أبو العباس سلطان تونس. هذا الصراع الذي نشب بين الطرفين؛ أنهك الولايتين وجعل بجاية تزداد ضعفا؛ خاصة مع تزايد تحرشات الاسبان، ورغبتهم في السيطرة على هذه المدينة المهمة، مما أدّى الى سقوطها في يد القوات الاسبانية.[4]

---

[1] P . Boyer.: Op. Cit. pp. 12-13.

[2] **بنو جلاب** : أقاموا إمارة بقيادة الحاج سليمان المريني الجلابي، وتمكن فضل مساعدة التي تلقاها من شيوخ الزوايا من فرض نفوذه فيما بعد على الإقليم الزابي، وظلت هذه الإمارة قائمة مستغلة الفراغ السياسي طيلة القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر، إذ كان بنو جلاب قد فرضوا استقلالهم... أنظر:

-ch.Féraud : **les ben djellab sultans de touggourt**.in.R.A. N 2. 1879. PP 167

[3] **بجاية**: هي مدينة بالشرق الجزائري، على الشاطئ منه، أطلق عليها هذا الاسم ففي تاريخ غير معلوم، ولعله متأخر العهد عن كلمة صلداي، الفينيقية، أو سلدايا، وأطلق الفرنسيون عليها اسم " بوجي " Bougie ولعل هذا الاسم اشتق من شهرة أهلها بتجارة الشمع منذ عهد بعيد، استعملها الو ندال عاصمة لهم عام 439م ثم الحكم الإسلامي عام 708م، وصار لها شأن عظيم في عهد أربع سلاطين بني حماد الناصر بن علناس(460هـ1067م) وأصبحت عاصمة الحماديين(405-هـ547/ 1014-1159م) وقبل الأتراك دخلت تحت الحكم الحفصي(1284-1368م) وكان أهلها يتعاطون القرصنة كما سبق وأشرنا. أنظر: أبي العباس أحمد بن محمد الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** ، تحقيق: رابح بونار، ش،و،ن،ت، الجزائر 1981، ص،ص، 20-24.

[4] عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، ج3، دار الثقافة، بيروت،1983،ج2، ص 232.

أما مدينة القل نظرا لموقعها الممتاز؛ ولاستقلالها عن ولاة قسنطينة، وسلطان تونس، ولاعتبارها منفذا بحريا وتجاريا، فإنها كانت مركز الصراع بين أطراف العائلة الحفصية، والقبائل المستقرة في المغرب الأوسط، عكس عنابة [1] ، التي ظلت تحت سيطرة الحفصيين، إلى غاية تسليمها من قبل هؤلاء للملك الإسباني شارل الخامس [2]

إلى جانب هذا كانت وهران، تحت سلطة بني زيان الضعيفة، مستقلة بشؤونها السياسية، والاقتصادية، ماعدا ما تعلق بشؤون الضرائب والميناء، اللذان كانا يخضعا للسلطة المركزية، إلى غاية سقوطها تحت الاحتلال الاسباني سنة 1510.

وهذا ما فتح المجال أمام القبائل العربية؛ لتوسيع نشاطها على المدن الساحلية، والتي بدورها فرضت حالة من التهديد و انعدام الاستقرار [3] وفي مدينة الجزائر كان الوضع مشابها لما سبق من أحوال المناطق في المغرب الأوسط، فقد كانت محكومة من طرف سالم التومي منذ 1510[4]

وبمجرد سقوط بجاية، لجأ مجلس أعيان المدينة؛ إلى التوقيع على معاهدة استسلام، عوض الوقوع تحت الحصار، والاحتلال في يوم: 31 جانفي 1510، وذهب سالم التومي إلى بجاية للقاء القائد الإسباني" **بيدرو نافارو** "، لتوقيع معاهدة السلام، حيث تحول هذا السلام إلى عبء ثقيل

---

[1] مدينة تاريخية في الشرق الجزائري شيدت في عهد الرومان، وعرفت في الكتابات التاريخية باسم: **بونه**

[2] D.Haedo : **histoire des rois d'Alger**, Bouchéne. Coll saint Denis. PARIS. 1970. P30.

[3] ابن أبي زيان بن آشنهو : **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1986، ص ص، 88-94.

[4] ينتمي سالم التومي إلى قبيلة الثعالبة فرع بن التومي، وتعد قبيلة الثعالبة؛ من القبائل العربية التي استطاعت التقدم إلى الساحل انطلاقا من الجنوب، وأصبحت مسيطرة على مدينة الجزائر، وسهول متيجة وما جاورها، كما استغلت هذه القبيلة مقتل السلطان الزياني أبوزيان أحمد ، فاستولت على الحكم في مدينة الجزائر، وما جاورها، وعينوا مجلسا للشيوخ بالمدينة التي اتخذوها عاصمة لهم. ترأسه سيدي عبد الرحمان الثعالبي؛ كأميرا عليهم إلى إن توفي في 1468م وبقي الحكم في أيديهم إلى أن آل الأمر إلى احد بطون الثعالبة، الذين انتخبوا سالم التومي أميرا عليهم، يساعده مجلس أعيان أعضاؤه من شيوخ وأثرياء القبيلة، يتشاور معهم في القضايا العامة للبلاد. أنظر:

-Ibn Khaldoun . Yahia : Tradition de Slan. Tom :. Edition. Geuthner.Paris. 1969. pp. 17-18

على الجزائر، فبدأ تناقص الثروة، وتقلص نشاط الغزو البحري.[1]

و لم يتوقف الإسبان عند هذا الحد؛ بل شرعوا في القلاع؛ كالقلعة العسكرية على الصخرة المقابلة للمدينة من قبل المهندس المعماري: مارتان **دوروتيريا** (Martin Dorotirya)، وخصصت نفقات كبيرة لبناء القلعة، والتي أصبحت تعرف **بالبينون**، نسبة إلى الصخور الصلبة التي بنيت عليها.

و بقيت مدينة الجزائر ملتزمة ببنود المعاهدة، المبرمة مع الأسبان، لكنها أفقدها سلطتها، وهيبتها على البلاد، خاصة بعد تحركات الجنود الأسبان داخل المدينة؛ بدوها وحضرها، ومراقبة السكان وتحركات القبائل بالمقابل كانت هناك إمارة لا تقل أهمية عن الجزائر، وهي إمارة جبل كوكو[2]، التي يرأسها ابن القاضي والتي تحصنت بجبال بجاية ؛ حسب ما يذكر على لسان ابن القاضي أن والد ابن القاضي هو الذي تنبأ بقدوم رجل من الشرق، على وجهه شامة: " ...وقد كان أبي رحمه الله، من أهل الصلاح[3].

فكان ابن القاضي من الأوائل الذين ساهموا في قدوم الإخوة بربروس، والسباق إلى احتضان عروج؛ وتمهيد الطريق له للوصول إلى الجزائر.[4]

ومن خلال تحليلنا للأحداث السابقة؛ يمكن أن نخرج بهذه النتائج الهامة، حول الوضع العام للمغرب الأوسط (الجزائر)، والتي كانت سببا وجيها في دعوة الأتراك العثمانيين للقدوم إليها

---

[1] Lutsky.V.: **modern history of Arab countries**. Progress publishers Moscow. 1969. pp. 167-168.[2]

[2] Laroui. Abdallah. : **Histoire de Maghreb. Maspero**. Paris. 1970.pp. 240-241.

[3] **إمارة كوكو**: يقول عنها شوفالييه: هي منطقة ببجاية، تعود لأحد شيوخ زواوة، وهي إمارة معلقة في الجبال، يرأسها ابن القاضي، جده قاضي بجاية أيام الدولة الحفصية (627-943هـ/1229-1526م) وفي وصفها يقول:" في وقت ازدهارها سكنها 1600نسمة، والتي تحثم على الصخور الوعرة، بحيث جعلت الدفاع عنها سهلا، ولكنها كانت مجهزة بجيش هام قوامه 5000 رجل يحملون سلاحا و1500 حصان وذلك لحفظ النظام في الداخل والقيام بحملات وغزوات خارج المدينة " أنظر كورين شوفالييه: **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر(1510-1541)**، **المرجع السابق**، ص، 37.

[4] مجهول: **سيرة المجاهد خير الدين**، تقديم، عبد الله حمادي، **المرجع السابق**، ص ص، 14-15.

باعتبارهم قوة بحرية، إلى جانب كون دولتهم خلافة إسلامية لها هيبة عالمية، قادرة على بعث البحرية في المغرب الأوسط من جديد وهي :

- افتقار المغرب الأوسط لسلطة مركزية، موحد وقوية قادرة على فرض نفسها محليا وخارجيا؛
- تراجع الدفاع على الثغور؛ أي على السواحل، وانكشاف المغرب الأوسط على المخاطر الخارجية والحملات الأوربية؛
- دخول الأندلسيين كفئة جديدة، في تركيبة المجتمع المغاربي عموما، ونشاطهم الذي كان له نتائج جد إيجابية[1] انعكست على المغرب الإسلامي عموما، وليس المغرب الأوسط وحده[2].

وخلاصة القول ان البحر المتوسط و إشراف الجزائر على سواحله، كان عاملا مهما في التأثير على العلاقات الجزائرية الأوربية، كما أنّ الوضع السياسي العام في المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط، والذي ميزت أطواره الفرقة والتشتت من جهة، وتزايد التحرشات الإيبيرية من جهة أخرى، كان عاملا رئيسيا وظرفا زمنيا مهما في دعوة الأتراك العثمانيين، لتقديم يد المساعدة، ووضع حد للهجمات الإيبيرية، الأمر الذي لم يكن لينجح في ظل فراغ كبير في القوة البحرية، مما استوجب بعث قوة بحرية في المغرب الإسلامي، في القرن السادس عشر.

---

[1] **الأندلسيون**: أو ما أصطلح عليهم في المصادر التاريخية اسم الموريسكيين، هؤلاء سكان الأندلس بعد طردهم عملوا في المجال البحري؛ لهدف تقديم يد العون للمسلمين الفارين من الأندلس، بعد القمع الموجه ضدهم، باعتبارهم بحارة فقد مكنوا من خلال مساعدتهم لقوى المغرب الأوسط على مجابهة الاسبان، كما ساهموا في دخول نوع جديد من الحياة الاقتصادية والاجتماعية؛ فقاموا بإحياء مدن كشرشال، بعد ثلاثة قرون من الانحطاط، وبرعوا في صناعة السفن والتجارة. أنظر: - جوليان شارل آندري: **تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830**، تعريب محمد مزالي، والبشير بن سلامة، 2ج، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ج2، ص ، 45.

[2] عبد الجليل التميمي: **التشكل الإداري والجغراسياسي للايالات العثمانية، بالجزائر، وتونس، وطرابلس الغرب(1557-1588)**، المرجع السابق، 451-452.

وأنظر أيضا:

- Amoura Amar: **Résume de L'histoire d'Algérie**, traduit par, Maaradji. Ali, Edition, Raihana, Alger , 2002, p 137.

الفصل الثاني

النشاط البحري الجزائري، بعد وصول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، وواقعه بين القرصنة والجهاد

المبحث الأول:

– مفهوم القرصنة البحرية، وبداية النشاط البحري للجزائر في القرن السادس عشر

1- القرصنة البحرية بين المفهومية والتعريف

2 - بداية النشاط البحري للجزائر في القرن السادس عشر للميلاد

المبحث الثاني:

– البعد الجهادي للنشاط البحري الجزائري وعوامل ازدهاره

1- البعد الجهادي للنشاط البحري الجزائري

2 – عوامل ازدهار النشاط البحري في القرنين السادس عشر والسابع عشر

الفصل الثاني

مقدمة الفصل:

اعتبرت النشاط البحري من أهم العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية، والتجارية بين دول الضفتين، الجنوبية والشمالية للحوض الغربي للمتوسط، وشكلت إحدى أهم النقاط الحساسة، التي أثرت على الأمن الإستراتيجي، للبحر المتوسط في حوضه الغربي خاصة.

فمارست الجزائر الغزو البحري؛ كرد فعل على الحراك البحري الذي مارسته أمم وممالك أوربا، والتي سخرته خصوصا لمد النفوذ و الاحتلال، مستغلة في ذلك أمرا مهما، وهو التطور التقني الذي عرفته هياكل البحرية لديهم.

وقد احتدم الصراع البحري في الحوض الغربي للمتوسط، بين الدول المطلة على سواحله خصوصا، كما عرف هذا النشاط بعدة تسميات وتعريفات، وطفت حسب الأهداف والإستراتيجيات، الخاصة بكل دولة ما. فعرف بالقرصنة البحرية، وبالغزو البحري و ، الجهاد المقدس لكلا الطرفين، الإسلامي والمسيحي، الأمر الذي دفعنا للبحث في مفهوم القرصنة البحرية، وتصحيح ما التصق بالنشاط البحري الجزائري من تشويه.

خاصة بعدما عرفت الجزائر وضعا سياسيا جد مميز، بعد تثبيت الحكم العثماني فيها، مما أدى إلى بعث إستراتيجية بحرية في القرن 16م، استطاعت في الأخير أن تفرض وجودها كقوة سياسية مؤثرة في الحوض الغربي للمتوسط.

فوصل النشاط البحري للجزائر مراحل جد متطورة، وأصبحت الجزائر من خلاله امة يحسب لها ألف حساب، خاصة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، فما هي العوامل التي ساعدته على ذلك، وقبل ذلك ما هو مفهوم القرصنة البحرية ؟ و ما هو واقع النشاط البحري للجزائر في القرن السادس عشر؟ وما هي العوامل المؤثرة في ازدهاره خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، والنصف الأول من القرن السابع عشر على الخصوص.

المبحث الأول

مفهوم القرصنة البحرية، وبداية النشاط البحري للجزائر في القرن السادس عشر

1- القرصنة البحرية بين المفهومية والتعريف

لقد شكل النشاط البحري (القرصنة)، أو ما كان يسميه الأوروبيون بلصوصية البحر، [1] أبرز النشاطات الاقتصادية للجزائر، خلال القرنين السادس عشر، والسابع عشر الميلاديين، لما كان يدره من ثروات عبر تجارة المغانم والرقيق، بالإضافة إلى كونه بطبيعة الحال – من المنظور الـــديني السائد آنذاك في حوض البحر المتوسط – إحدى أوجه الحرب ضد الدول المسيحية العـــدوة، وفي طليعتها إسبانيا.

وعملت المصادر الأوروبية، ، إلى تضخيم حجم "القرصنة البربرية"، والنتائج المتأتية منها بشكل يصعب تصديقه. [2] و لعبت كتابات رجال الدين؛ على وجه الخصوص كتابات "هايدو"، "غراماي" و "دان" [3] دورا كبيرا في ترسيم و ترسيخ صورة الجزائر، "كآفة للعالم المسيحي"، كان يقبع فيها الآلاف من العبيد المسيحيين البؤساء، يعانون العذاب، والإذلال ، أو في غياهب السجون. [4]

---

[1] جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا(1619- 1830)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987ص ص، 249-251.

[2] الجدول: **رقم 1** : غنائم الجزائريّين خلال مقام غراماي بالجزائر.

[3] **(P.) DAN,: Histoire de la barbarie et de ses corsaires**, Récollet imp. Du Roy, 2é. Éd., Paris, 1637, pp.135-136.

[4] من بين ما يذكره القنصل الأمريكي "**شالر**"؛ في مذكراته حول وضع الأرقاء في الجزائر، من المسيحيين مايلي " أرى من الواجب أن أقول كلمة عن المعاملة الوضيعة التي كانت تنتظر المسيحيين البؤساء، الذين يلقون هذا المصير" . ويقول: " أشد أنواع البؤس الذي يعاني منهما العبيد المسيحيون في الجزائر، هو برود حكومة بلدانهم، وجبنها إزاء حالتهم؛ بحيث أنها تحرمهم حتى من الأمل في الفدية يوما " أنظر: وليم شالر : **المصدر السابق**، ص،ص، 99-101. " لكن تشير بعض المصادر وحتى الغربية منها إلى أمر مهم، في خصوص معاملة الأسير، ومنه ما جاء في كتاب **Les chrétiens d'Allah**: «...بالرغم من وجود العبيد إلا أن المسلمين (الأسياد) حافظوا على كرامة الأوربي، ووصل بهم الأمر إلى حد منحه حق الإرث، والمعتوقون على حد السواء؛ سرعان ماينديجون في الحياة المدنية " : أنظر:. B. Bennassar**: l'histoire extraordinaire des renégats : XVIe -XVIIe siècles**. Perrin, Paris, 1989, pp.246-269

ولما كانت ظاهرة القرصنة حدثا بارزا، عرفته كل البحار الداخلية عامة، وحوض البحـــر الأبيض المتوسط خاصة، ولتزيل كل لبس أو تداخل في المعاني، حول هذا المصطلح فقـــد عرفنـــاه بالشكل الآتي:

1- مفهوم القرصنة البحرية:

"Corsa " كلمة إيطالية تعني السباق، ومنها أشنقت كلمة قرصان " corsor " ، وهو الذي يقوم بفعل التسابق، وقد استعملت لأول مرة في القرن الرابع عشر ميلادي، بمعنى التسابق البحري، للهجوم والاعتداء، على السفن وسواحل الدول الأجنبية. [1]

أما في اللغة الفرنسية، فلم تدخل كلمة قرصنة إلا في القرن السادس عشر ميلادي، وتكاد تخلو منها المصادر الفرنسية السابقة للقرن السادس عشر، واستعملت كلمة "ATTAQUE" أي: الهجوم، وكلمة "ECUMEUR " بمعنى المهاجم أو القرصان، وقد أصبحت فيما بعد كلمة "CORSAIRE" في القواميس الفرنسية؛ السفن السريعة التي تؤهلها دولة ما، للسطو على السفن التجارية للأعداء "pirate".[2]، فالمتتبع للمعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة، يجدها بعيدة نوع ما، عن المعنى الشائع حول مفهومها. فمعنى – **التسابق** – المصطلح اللغوي لهذه الكلـــمة؛ يجعلها بعيدة كل البعد، عن ما جاء حولها من معاني متعددة، في مجال نشاطها كـــ : رياس البحر، أو القرصان، أو لصوص البحر أو القورصو[3]، وكما وردت أحيانا أخرى باسم حرب القرصنة في كتابات المنور مروش، وورد القرصان باسم الربان كذلك.[4]

---

[1] Dictionnaire Robert : Matière corsaire. édition ,2005, France, pp,601-625.

[2] Le petit Larousse : **grand format édition 2005, France matière corsaire, p ,** 297, et **-encyclopédie alphabétique**, hachette volume. " 6 " colemanite a crosne **matière corsaire** ,p,815.

[3] المنور مروش : **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني** .ج2 : **القرصنة الأساطير والواقع**، دار القصبة للنشر، الجزائـــر، ص،ص، 3-5.

[4] Roland Courtinat **:La piraterie barbaresque en méditerranée, XVIe-XIXe siècle,** Editions Jacques Gandini, Paris, 2003, P, 39.

ومنه يجعلنا هذا التداخل أمام عدة معاني، عند تحديد مفهومها، كنشـــاط ولـــيس كمصـــطلح . والغالب في تحديد مصطلح القرصنة أنها قطع البحر، و اللصوصية فيه، والقرصان من يقـــوم بهـــا و يستعملها.[1]

إن الاختلاف في تحديد مفهوم القرصنة، يجعلنا أمام مفاهيم عدة لهذا المصطلح، اختلـــف المؤرخون حول تحديد مفاهيمها، إلا أن المعنى العام لم يختلف عنه.فإذا كانت القرصنة هي عمليـــة النهب، على مياه البحار بعيدا عن سلطان الدولة، وهو تعبير لا يعبر دوما عن الواقـــع التـــاريخي للقرصنة، فهي كانت كثيرا ما تكون ضمن نشاطات الدولة غـــير الرسميـــة، لتحقيـــق أهـــداف إستراتيجية وسياسية، واقتصادية، وغالبا ما تمارس السرقة والنهب في البحار و الأنهار الملاحية، أو النزول، من البحر إلى الشاطئ، من قبل جماعة لا يمثلون بعثة أو حملة أرسلتها دولة منظمة. ومهما يكن أمر هذه التعريفات المتباينة للقرصنة، فإنها تأخذ أشكالا متعددة، فهي قطع البحر واللصوصية فيه، والقرصان من يستعملها.[2]

أما "ابن خلدون" فيذكرها على أنها غزو بحري، وأصحابها نفير وطائفة من غزاة البحر، و يذكر القرصنة على أنها غزو بحري ويقول: "...وشرع في ذلك (أي الغزو) أهل بجايـــة منـــذ ثلاثين سنة، فيجتمع النفير والطائفة من غزاة البحر، ويصطنعون الأسطول ويتخيرون له الأبطال، ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة فيخطفون... و يصادمون ما يلقون من أساطيل الكفـــرة ..."[3] وهذه القرصنة التي يتحدث عنها ابن خلدون، دون أن يذكر هذه الكلمة، أو يسميها بهذا الاسم، يقول: أنها بدأت حوالي 760 هـــ، وكان البحر الرومي (المتوسط)، كما يسميه العرب، ميدان القرصنة ومجالها، يتبارى فيه العرب والإفرنج.

---

[1] نور الدين فهمي: **التنظيم البحري الإسلامي، في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر ميلادي**، تعريـــب،من الفرنســـية إلى العربية، قاسم عبده قاسم، دار الوحدة، بيروت، 1980، ص، 127.

[2] نور الدين عبد القادر: **المرجع السابق**: ص، 58.

[3] نفسه: ص، 59.

إذ يتبين من خلال هذا المفهوم، أن القرصنة التي كانت تقوم بها الجزائر، إنما هي حـــرب مشروعة؛ باعتبار أنها لم تكن من طرف واحد، فهي دفاع ومعاملة بالمثل. وهذا الأمر يقول فيـــه محفوظ قداش: "...وأنا أعتقد بأنه من الضروري القول، بأن هذه الظاهرة التي تدعو إلى الأسف، هي ظاهرة اشتركت فيها جميع البلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوســـط، وليســـت خاصـــة بالجزائر... وإذا كانت مصارعة السفن في البحر نوع من العراك والقتال، قبـــل بـــه المســـلمون والمسيحيون معا، وهو شيء يدعو إلى الأسف، من وجهة نظر أخلاقية، فإن هذا الصراع يتحـــول إلى عمليات للنهب والسلب.[1]

ونتيجة لهذا الكم المتواضع من التعاريف العملية للقرصنة، يجعلها فعلا أهم نشاط احتكت فيه شعوب المتوسط منذ القدم، ببعضها البعض، وذلك ما جعلها تخضع لعناصر التحديد، حيـــث يرى **المنور مروش**، – وهو أهم مؤرخ محلي درس الظاهرة ، وأولاها اهتمامـــا كـــبيرا–، "...إن القرصنة هي نشاط بحري يخضع لعناصر تحدده، كما يذهب إليها **ميشال فنتناي** ، " ...فيما يخص العصور الحديثة، نميز بين ثلاثة أشكال من العنف البحري، ويقدمها على النحو التالي :

1- **حرب القرصنة:** حرب تقوم بأمر من الدولة، ويشترك فيها أصحاب السفن، في تكاليف وفوائـــد الحرب البحرية ؛

2- **اللصوصية البحرية** : وهي عملية تتم في البحر بلا عقيدة، ولا قانون، وهي مدانة عالميا من طرف القانون والأخلاق؛

3- **القورصو:** بين المسلمين والمسيحيين، وهو شكل خاص بالمتوسط، يقترب كسلوك من ظاهرتي القرصنة، ومن اللصوصية البحرية معا، لكنه سلوك متعارف عليه ومقبول من الطرفين، وكان باسم الحرب المقدسة[2] ، بيـــن المسلمين والمسيحيين على حد السّواء.

---

[1] محفوظ قداش : **الجزائر في العهد التركي**، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، ديسمبر، 1977، الجزائر، العد،52 ص، 12.

[2] المنور مروش: **المرجع السابق**، ص، 08. وأنظر أيضا: – جون ب ولف: **الجزائر وأوربا**، المرجع سابق، ص، ص، 120-130.

كما هو الشأن مع فرسان رودس، الذين بدؤوا ينشطون آنذاك تحت حماية، ومباركة البابا، وباقي الدول المسيحية، ومن هنا يصدق أن نطلق عليهم تسمية القرصنة المقنعة، بشرعية الدين.[1]

والمتمعن في هذا التفسير يتوقف عند الكثير من التمييزات، والتداخل بين القرصنة، واللصوصية البحرية، فبالرغم من كون القرصان، يختلف عن لص البحر، وهذا اللص مدان من طرف الجميع، إلا أنه لما يتعلق الأمر باللص البحري، الذي لا يهاجم بني جلدته، فإنه يصبح قرصانا. !

ولعل هذا التداخل بين القرصنة، واللصوصية البحرية، يصفه **فرناند بروديل**[2] في النص التالي "... إن البحر الأبيض بأكمله، كان مجال صراعات مستمرة، بين كيانات متجاورة، ومتحاربة، فإن الحرب تبرز كواقع دائم، يبرز اللصوصية البحرية، وتبريرها يعني ترتيبها ضمن فئة قريبة منها، لكنها موصوفة بالنبل وهي القرصنة..." نعم لكن ثمة فارق له أهميته : إن القرصنة لصوصية عتيقة، ترسخت في مجالها، بعرفها ومستوياتها وحواراتها المتكررة ..."

وخلاصة القول أنه يجتمع جل المؤرخين، على أنه هناك حد فاصل بين اللصوصية البحرية، والقرصنة باعتبارهما نشاطين، مورسا على البحر عموما، والحوض الغربي للمتوسط خصوصا، وبالتالي تصحيح المفهوم الشائع حول كلمة "Piraterie" على أنها قرصنة أي: "Corsaire"، والمتتبع يلاحظ أن هناك فرق بينهما. وربما لم تكن القرصنة فوق هذا مجرد تاريخ؛ أغلقت صفحاته، بل هي كما يبدو واقع حي تماما، على الرغم مما ورد ذكره عن النهب البحري أو القرصنة.

---

[1] حمادي عبد الإله حمادي: **مساءلات في الفكر والأدب**، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص، ص، 48-49. وأنظر: مجلة المصادر: **جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق الأسرى الإسبان**، 2002، عدد،6، ص، ص، 256-258.

[2] **فرناند بروديل: المرجع السابق، ص، 19**

1- بداية النشاط البحري للجزائر في القرن السادس عشر:

أ- ظروف بدايته:

للحديث عن ظروف بداية النشاط البحري للجزائر، لابد أن نعود إلى أمر استنجاد سكان الجزائر بالإخوة بربروس، الذين أرسو وجودهم بضرورة بناء قوة بحرية، وعن قدوم الإخوة بربروس فإن انتصارات العثمانيين- الإخوة بربروس- بدأت تصل السكان، الذين فكروا بالاستنجاد بهم، فعروج وخير الدين أثبتوا تعاونهم مع سكان البلاد، وأبلوا بلاءا حسنا؛ في كل من جيجل[1] وبجاية، ثم الجزائر ووهران.[2]

فقد دخل عروج بجاية مابين(1512-1514) من تونس بينما سمح له السلطان الحفصي بإيواء سفن[3] ، بعدها توجه نحو شرشال التي فتحها سنة 1516، بمساعدة زعمائها المحليين[4] ، ثم فتح جزائر بني مزغنة بطلب من أهلها[5]،

حيث يذكر التلمساني في الزهرة النيرة في أمر مراسلة سكان الجزائر الإخوة بربروس، برسالة جاء فيها : "..."أخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى، ونصرتم الدين فهنيئا لكم أيها المجاهدون ولا بد أن تقدموا إلينا لتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة؛ لأننا في محنة عظيمة وشديد.."[6]

---

[1] **جيجل** : مدينة تقع على الساحل الشرقي للجزائر، لا يعرف بالضبط أصل تسميتها، ولا متى تم تأسيسها، بعض المصادر تعيدها للفينيقيين، واختلف حول أصل تسميتها فمنهم من يرجعها إلى تسمية محلية **كتامية** ومنهم من يرجعها إلى العهد الروماني الذين أطلقوا عليها " ايقلقيلي " حسب النقش الأثري المحفوظ بمدينة سرتا أنظر: محمد خنوف: **تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا**، منشورات الأنيس ، الجزائر، ص، 34.

[2] سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، من القرن 10الى14 هـ/ القرن16/ 20م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص ، 140.

[3] بل ألفرد: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ص، 140.

[4] نفسه: ص، 429.

[5] مجهول : **المرجع السابق**، ص، 11.

[6] التلمساني محمد بن عبد الرحمان: **الزهرة النيرة، لما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جند الكفرة**، في **مجلة التاريخ وحضارة المغرب**، جويلية، 1967م العدد3، ص، 32.

وباعتبار سالم التومي سيد بلاد مدينة الجزائر وضواحيها، قام بتكليف وفد من أعيـــان الجزائـــر، بالسفر إلى جيجل عام 1516، وشرحوا الأمر لعروج، وظلم الأسبان وتدخلهم في شؤون البلاد المستمر وكان عروج في الأصل يتحين للهجوم على الاسبان في بجاية، فرحب بالفكرة الـــتي رأى فيها عاملا مساعدا لبناء قاعدة مستديمة للجهاد، و توسيع نطاق جهاده ضد النصارى، والهجـــوم عليهم في حصنهم المعروف بالبينون.[1]

وتشير المصادر إلى أن عروج غادر جيجل؛ على رأس قوة تضم 800 من عناصره، و3000 من الأهالي، بينما أبحر خير الدين من تونس بحرا، بجيش قوامه؛ 18 سفينة كبيرة، و03 سفن مسلحة، تحمل 2500من البحارة، واستقبل أهل الجزائر عروج استقبال الفاتحين [2] وبمجرد وصوله أراد عروج تثبيت وجوده؛ من خلا ل إنشاء جيش منظم ومسلح، لبسط نفوذه على البلاد، والسيطرة على الحامية الاسبانية، التي بدأ بحصارها، وقصفها في يوم 12 أوت 1516[3] إلاّ أنّه ورغم كل ذلك بدأت تظهر المؤامرات ضدّه [4] والتي قيضـــت وجوده و كانت سببا فيما بعد لتفكير خير الدين في الخروج من الجزائر، والرجوع لجيجل، وبعدها أصبح عروج حاكما فعليا للبلاد، حيث أقام دولة الجزائريين.[5] لكن المؤامرات لم تتوقف بهروب يحـــي

---

[1] Albert. Devoulk. Alger étude archéologique et topographique sur cette ville, in , **R.A**, N 20, 1876 ;pp,76-70.

[2] ألتر: **المرجع السابق**، ص، ص، 50-52.

[3] المدني توفيق: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص، 50 .

[4] بقي عروج 20 يوما وبدأ بتأسيس دولته، فخشي التجار البرجوازية على نفوذهم فبدؤوا بالاتصال بالأسبان من أجـــل الإعداد لمشروع القضاء على عروج خاصة بعدما شعر سالم التومي، أن الأمر قد أفلت من يده، وشعر عروج بالأمر، وقـــام سالم التومي بمحاولتين؛ الأولى استهداف مدينة الجزائر من طرف الاسبان، والثانية الهجوم على جيشه بمساعدة أمير تـــونس، أضف إلى ذلك تحالف الأمير الزياني مع الاسبان، لكن عروج وقف في وجه كل هذه المؤامرات فأعدم سالم التومي عن باب عزون، وتصفية كل المتآمرين وقطع رؤوس أعيانهم في المسجد. أنظر: جوليان: **المرجع السابق**، ص، 321-331. وأنظـــر أيضا: -Charles. Feraut. Conquête par les Espagnoles. In .**R.A**. N°12, p 250.

[5] joy. Edward.: **A Complete history of Algeria, vol. cool**/Brest University, 1982, pp,230-231.

بن سالم التومي، الذي تحالف مع الإسبان، الذين جهزوا حملة لدخول الجزائر، لكن عروج تصدى لهذه الحملة؛ عن طريق تنظيم الجيش؛ باستدعاء 30ألف متطوع جزائري، حيث أدت في الأخير، إلى تحقيق نصر حاسم وفشل الحملة؛ وترك الاسبان 3000 قتيل، و400 أسير.

هذا الانتصار جعل من عروج محط أنظار الجزائريين، و بمساعدة أخيه خير الدين، تحـــول إلى قوة وسط الفوضى السائدة في الجزائر، بعد محاولة عروج تحرير تلمسان، وبعد تحالف ابن حمو الثالث و الاسبان استشهد عروج في 1518.

وبعد ذلك مما يذكر في كتاب سيرة المجاهد خير الدين ، إن أهل مدينة الجزائر بالرغم من كل ما قدمه عروج وخير الدين، ونصرتهم لأهل المدينة على حساب الاسبان، دبروا وكادوا لخير الدين، فقاتلهم خير الدين ونكل بهم، وبعد مدة من الحادثة. لم يطب المقام لخير الدين في المدينة، وبعد أن استخار الله في البقاء أو الخروج، فرأى في المنام أنه يترك المدينة[1]

فقرر خير الدين مغادرة الجزائر، والسفر إلى إسطنبول، للحصول علـــى أســـطول جديـــد؛ واستئناف الغزو والجهاد في سبيل الله، [2] فقال له أعيان مدينة الجزائر: " أيها الأمير، لا تطيـــب أنفسنا بفراقك، ولا نسمح لك بذلك، فإن الله تعالى قد نصرنا بك على العدو، وحصل في قلوبهم الرعب منك ... وجعلوا يتضرعون بين يديه، ويظهرون التأسف على فراقه ..."[3]

وعندئذ عرض عليهم فكرة إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية،[4]1 وإدخالها ضمن أملاكها، حتى تكتسب نوعا من الحماية الدولية ويستطيع خير الدين بهذه الحماية، بناء قوة برية وبحرية قادرة على مجابهة الأمم الأوربية بمساعدة الدولة العثمانية،ويجد هو الحكمة في تسيير أمور البلاد وإحكام

---

[1] سيرة المجاهد خير الدين: **المرجع السابق**، ص، ص، 121-127.

[2] يحي بوعزيز : **الموجز في تاريخ الجزائر، ج2**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 207، ص، 14.

[3] مجهول : **كتاب الغزوات عروج وخير الدين** ، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبيـــة، 1934، ص، 41.

[4] نفسه : ص 42.

1

السيطرة على العباد[1]، وهذه الفكرة إنما تدل على ذكاء خير الدين، وبعد نظره حيث، أنه أدرك أنه مع تصاعد الخطر الاسباني، لأن الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة القادرة على دعمه.فاستحسن كبار المدينة الرأي.

فأرسل خير الدين رسالة باسم الأعيان، والفقهاء والأئمة والتجار والأمناء، وكافة مدينة الجزائر العامرة،[2] مع وفد برئاسة الحاج حسين إلى السلطان سليم الأول [3] سنة 1518، الذي كان موجودا بمصر[4]، وهذه الرسالة [5] من بين ما جاء فيها ما يلي:

"... إننا ندعو بالسعادة والنصر لمقام السلطنة العلية، ونكتب لمقامها العالي؛ معبرين ومعترفين بالإجلال والتعظيم، أطعنا أمركم وعليكم لا محالة اعتمادنا، لقد جرت أحداث جليلة، حيث استولى الكفار على بلاد الأندلس، وانتقلوا منها إلى قلعة وهران و بجاية، وشددوا علينا الطلب، وآنذاك قدم ناصر الدين وحامي المسلمين أروج فقبلناه بالعزم والكرم. إننا على غاية من الضعف والبلاء؛ ولهذا أرسلنا إلى بابكم العالي الفقيه العالم **سي أبو العباس أحمد** راجين خدمة مقامكم العالي ...".[6]

فقبل السلطان سليم الأول عرضهم قبولا حسنا وأرسل له 2000 جندي انكشاري مسلحين بالبنادق وعدد من رجال المدفعية، مع مدفعيتهم وعددا من المتطوعين، ومعهم مجموعة من

---

1 يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص، 16.

2 عبد الجليل التميمي : أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519، المجلة التاريخية المغاربية، جويلية، تونس، 1976، العدد، 6 ص، ص، 116-120 .

3 سليم الأول: هو تاسع سلاطين بني عثمان، حكم مابين (1512-1520)، أنظر: محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية، ط3، ص، 73

4 كورين شوفالييه: المرجع السابق ، ص، 88.

5 أرسلها السكان بمعية مجلس الأعيان الذي كان يلعب دورا قياديا، وسندا لخير الدين وأخوه عروج من قبله، أرّخ لهذه الرسالة في أوائل ذي القعدة بين 26 أكتوبر/ 03 نوفمبر 1519م.

أنظر: التميمي: أول رسالة من أهالي ...: المرجع السابق، ص 116-120.

6 عبد الجليل التميمي: نفسه، ص، 116-120.

السفن الحربية[1] وتعد هذه المساعدة جزءا من المساعدات التي كان يقدمها السلطان إلى الإخـــوة بربارروس.[2]

ولم يكتف بذلك بل وجه رسائل إلى حكام تونس وتلمسان، يحذرهم من الاعتداء على حدود إمارة الجزائر[3] كما تعين خير الدين أول حاكم عثماني على الجزائر باســـم البايلربـــاي. ويقول الصلابي في هذا الصدد : "... إن الجزائر تمثل ورقة رابحة باعتبارها مدينة متاخمة تتوســـط ساحل المغرب الكبير، وتشتمل على فضاء استراتيجي من الدرجة الأولى، بالنسبة لقـــوى تلـــك الفترة، فليس من باب قاعدة عسكرية متقدمة لتركيا، في هذا الجزء الغربي من البحـــر المتوســـط أحسن منها ..."[4]

وأصبحت الجزائر إحدى ولايات الخلافة العثمانية، مما أكسبها ذلك الوضع نوعـــا مـــن الحماية، ودرء عنها الكثير من الأخطار خاصة الخطر الاسباني.

وتتفق جميع المصادر على أن عهد العثماني، شكل عهد البطولات العسكرية، والانتصارات السياسية المرتبطة بها، لأن النبوغ كان واضحا لديهم في العقلية العسكرية – البرية والبحرية – أكثر من أي جانب آخر، حيث مثلت الإيالة الجزائرية، دورا هاما في المغرب الإسلامي.[5]

---

[1] صالح فركوس: **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2005، ص، 105.

[2] تشير بعض الدارسات، وليس هناك دليل واضح؛ أن السلطان سليم الأول أوفد الإخوة بربروس إلى افريقية؛ للتعرف عليها وتسهيل ضمها إلى الخلافة، إلا أن التقدير الوارد أن السلطان سليم كان يقدم الدعم للإخوة قبل استقرارهم في الجزائر . أنظر: الجزائري محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر**، شرح وتعليق: حقي ممدوح، ط2، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964، ص، 91.

[3] المدني احمد توفيق: **المرجع السابق**، ص، 198.

[4] على محمد الصلابي : **الدولة .ع .عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2001، ص، 194.

[5] وليام شالر : **مذكرات وليم شالر القنصل الأمريكي بالجزائر(1816-1820م)**، تعريب إسماعيل العربي، ش، و، و،ت، الجزائر، ص، 48.

ب- بداية النشاط البحري للجزائر في القرن 16:

لم تكن القوة البحرية والأسطول، بأقل شأن من القوات البرية، حيث أن امتلاك الأتـــراك لأسطول بحري قوي، كان من الأسباب التي مكنتهم من الاستقرار في الجزائر، حتى حولوا هـــذا الأسطول إلى مؤسسة؛ شكلت محورا أساسيا في قوتها العسكرية، وجعل منها قوة بحرية من الطراز الأول، الأمر الذي مكنها الوقوف في وجه كل الهجمات و الحملات المتكررة التي شنّتها الدول الأوروبية على مدينة الجزائر من ناحية[1] ، وخدمة الإستراتيجية البحرية العثمانيـــة، في الحـــوض الغربي للمتوسط من ناحية أخرى.

وللحديث عن أول نواة كونت البحرية الجزائرية، في القرن السادس عشر، فإنها تكونـــت، من البحارة الذين جاء بهم الأخوة بربروس، وبعد أن أقام الإخوة سلطتهم في الجزائر، اهتموا كثيرا بتنمية وتطوير هذه النواة، من الناحيتين المادية والبشرية.[2]

فأنشؤا مجموعة من المراكب البحرية، وتمركزوا بها في مدينة الجزائر، واتخذوا ميناءها بعـــد تطويره وتحصينه، وتصليحه ودعمه بالسفن والمدافع، كقاعدة بحرية هامة لبناء المراكب الجديـــدة، وإصلاح القديمة والمعطوبة وتجهيزها، بكل ما يحتاجه الأسطول من معدّات حربية؛ خاصة المـــدافع التي ركّز عليها العثمانيون كثيرا.

كما اتخذوا، العديد من موانئ الساحل الجزائري من الشرق إلى الغرب ودون استثناء : وخاصة بعض المدن التي تتمتع بمكانة تاريخية وإستراتيجية مهمتين مثل: " شرشال [3] ودلس[4]

---

[1] يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا(1500-1830)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ص، ص، 10-16.

[2] صالح العقاد: **المغرب الحديث، دراسة في تاريخه الحديث، وأوضاعه المعاصرة**، مكتبـــة الانجلـــو المصـــرية القـــاهرة، ط5،1985، ص، 321.

[3] مدينة تقع على الساحل الغربي من مدينة الجزائر.

[4] مدينة دلس تقع إلى الجانب الساحلي الشرقي من مدينة الجزائر، تابعة حاليا لولاية بومرداس، ولازالت تحافظ على هـــذا الاسم.

و جيجل و سكيكدة و عنابة وتنس[1] ..." قواعد لهذا الأسطول الحديث، الذي سيلعب دوره الرائد، في معظم أحداث الحوض المتوسط، لمدة تزيد عن ثلاثة قرون[2] أما عن بداية النشاط البحري، فيقول خير الدين في مذكراته : " ... قسمت أسطولي إلى وحدات صغيرة وأرسلتها للغزو.

وفي الليلة السابقة لخروجها إلى الغزو، رأيت في المنام، رؤية صالحة جعلتني أشعر بأنها ستكون غزوة مباركة، وبالفعل عادت سفني، تجر ست سفن تم غنمها من الكفار، كانت إحداها مشحونة بالبارود والرصاص، وقذائف المدفع، إضافة إلى ستين قذيفة من البرونز. شعرت بسرور عارم لهذه الغنائم، لأننا كنا في حاجة إليها ...".[3]

ويقول أيضا : " ... عاد كل الأسطول غانما سالما لم تصب أي سفينة بأذى والحمد لله ..."[4] وبعد هذا التاريخ – إلتحاق الجزائر – أصبحت الجزائر ملكة مدن القرصنة، إضافة إلى انهزام الإسبان بالجزائر عام 1541 وفي تونس 1574.[5]

وانهزمت في العديد من العمليات البحرية القوية، في شمال إفريقيا في القرن 16، ويشهد "**هايدو**" في القرن 16 ومراقبون آخرون، حتى نهاية القرن،بتفوق بناء السفن الجزائرية، في أحواض: شرشال، جيجل، بجاية، الجزائر ، ومراكز أخرى.

---

[1] تقع على شاطئ المتوسط، بين مدينتي شرشال و مستغانم، غرب مدينة الجزائر، أو العاصمة حاليا، عاصمة علمية و كان لها دور كبير في تاريخ الجزائر، أما في أمر تأسيسها فتذكر بعض المصادر أن بعض التجار الأندلسيين أسسوها سنة 262 هجرية، وكانت تابعة لبلاد مغراوة القبيلة البربرية العتيدة، وموقعها الأصلي أي القبيلة، بين مدينة مليانة وقلعة بني راشد، لم تقتصر شهرتها على الجزائر، بل وصلت أقطار العالم الإسلامي، ومن أهم علمائها : الشيخ إبراهيم بن يخلف التنسي، والشيخ أبو إسحاق التنسي، صاحب كتاب: "الدرر والعقيان في شرف بني زيان" . أنظر: **مجلة هنا الجزائر**ديسمبر، 1953، العدد 19، ص، ص، 2- 4.

[2] Moulay Belhamissi : **Histoire de la marine algérienne 1515-،1830** E.N.A.L, Alger .1983 P.49

[3] خير الدين بربروس : **مذكرات خير الدين بربروس** : المصدر السابق، ص، 133.

[4] نفسه: ص، 134.

[5] Mathew Cary, A short Account of Algiers containing A Description of the Climate of the Country of the Manners and Customs of the Inhabitants … with a concise View of the Origin of Ruptere between Algiers and the united states , Philadelphia, January 8,1794 P.23

ومن بين الأحداث البحرية الهامة في تاريخ الجزائر، عندما استعمل خير الدين 45 سفينة، لطرد الإسبان من Pénon ويذكر" هايدو" : أن النشاط البحري الجزائري، في هـذه المرحلـة تواصل واشتد؛ ففي سنة 1540 هاجمت 16، سفينة جزائرية سفن"Mendoza" الرئيس العام للسفن الاسبانية، وفي 05 جويلية 1553 هزم صالح باشا[1] بأربعين سفينة؛ الأسطول البرتغـالي قرب شاطئ Vêlez .

وفي 1555 قام الرايس صالح باشا بأسطول قوامه 30 سفينة شراعية، بتمشيط غـرب البحـر المتوسط، وفي 1557 قام خير الدين بقيادة 40 سفينة خرجوا عن طريق مضيق جبل طارق في حملة عسكرية ضد ملك فاس وفي 1563 شاركت 28 سفينة جزائرية في هجوم فاشل؛ قام بـه العثمانيون على جزيرة مالطة غير أن العلج علي.[2] قام بالهجوم على أسطول فرسان القديس يوحنا ومعه 19 سفينة، وأسر بارجة الأمـيرال والسـفن التاليـة : " Ste Anne " " Patroness " " S.T. Jean " .

وعلقت غنائم هذا الانتصار مدة 08 سنوات، على باب الجهاد بالجزائر العاصمة، وشاركت مجموعة سفن جزائرية في معركة" Le Panto" " ليبانت"، 1571 بقيادة العلج علي، وكان القائد الوحيد في الأسطول العثماني الذي ذاع صيته.

---

[1] ولد في الإسكندرية حسب بعض المصادر، أو في غربي الأناضول حسب آخرين، وكان صالح رايس مع مـع درغـوث وسنان رايس، من أهم رفاق بربروسة. ومنذ 1529 كان يعتبر في طليعة رياس الجزائر. وفي 1552 عين بيلر باي الجزائر، ومن أهم أعماله فتح بجاية في سبتمبر 1555، وفي جوان 1556 مات بالطاعون؛ في الوقت الذي كان يتهيأ فيـه لقيـادة الجيش لوهران، والمرسى الكبير. المنور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، المرجع السـابق**، ص،ص، 125-130.

[2] ولد علج علي في حوالي 1520 في منطقة كالابريا في جنوب إيطاليا، وكان قسا اسر حين ذهابه إلى نابولي للدراسـة، وأتى به إلى الجزائر، في حوالي 1536، وبقي عدة سنوات يجذف في قوادس الجزائر، ثم دفعته الرغبة في الانتقام، من أحـد خصومه إلى اعتناق الإسلام، وتدرج بسرعة إلى أن أصبح من رياس البحر الشهيرين، شارك في معركة ليبانت، Lépante واستطاع علج علي أن ينقذ 40 قادسا أو أكثر حسب بعض الروايات. إن دوره في ليبانت جعل السلطان العثماني يمنحه لقب قلج، أي : السيف، ويعينه في منصب قبودان باشا وبقي فيه من 1571، إلى حين وفاته في 1587. أنظر: المنور مـروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق**، ،ص، ص، 137-140.

أما عن عدد الرياس أحصى هايدو 35 قبطانا في 1581، وكل واحد له سفينة منهم 12 من الجزائريين، ويتكون الأسطول من 25 سفينة، ويقودها ضباط معظمهم من الجزائريين.[1]

وعليه تجتمع المصادر على أن بداية النشاط البحري للجزائر، كدولة حديثة بعد انضمامها للخلافة العثمانية، بدأ فعليا في القرن 16 وتعاظم هذا النشاط في الثلاثينيات من القرن 17، وأخذ بعدا جهاديا دينيا واكتسب شرعية قانونية دولية .

---

[1] Mathew Cary: op, cit، P.23

المبحث الثاني

البعد الجهادي للنشاط البحري الجزائري وعوامل ازدهاره

1- البعد الجهادي للنشاط البحري الجزائري:

لما أطل الفاتحون المسلمون على الحوض الشرقي للمتوسط، وشواطئه الطويلة الممتدة من طرطوس شمالا [1] ، إلى برقة [2] جنوبا، أدركوا أن المقومات الضرورية، لبقاء دولتهم المنتصرة، وتأمين حدودها الجديدة؛ هو السيطرة ومد نفوذهم نحو الحوض الغربي للبحر المتوسط، وما له من مراكز إستراتيجية هامة،

وباعتبار الحوض الغربي للمتوسط ميدانا للنشاط البحري، بذل خلفاء الدولة الإسلامية، مجهودات كبيرة لاصطناع سياسة بحرية إسلامية؛ تهدف إلى تحصين السواحل، باعتبار أن الفتح ونشر الإسلام، لا يقتصر على الجيوش البحرية فقط، أضف إلى ذلك عقيدة الجهاد البحري عند المسلمين عامة .

أ- الجهاد البحري في عقيدة المسلم :

لا يختلف اثنان على أن الدافع الأساسي، للصراع بين شعوب الضفتين في حوض البحر المتوسط، والغربي منه خصوصا؛ كان دافعا دينيا في أغلب الأحيان، لكي لا نتجاهل العامل الاقتصادي، فبتأسيس الحكم العثماني بمدينة الجزائر 1519 م، كأولى قاعدة عثمانية في الصراع الاسباني العثماني، والنشاط البحري الذي بذله الأخوة بربروس في الحوض الغربي من البحر المتوسط؛ من حملات بحرية واسعة على السواحل الإسبانية، ونجاحه في إسقاط قلعة البنيون

---

[1] **طرطوس**: مدينة سورية على ساحل البحر المتوسط وهي أهم ميناء في سوريا، وهي مدينة تاريخية فينيقية اكتسبت اسمها من اللاتينية «إنطارادوس» (باللاتينية: antaradus) كانت ذات أهمية كبيرة أيام الصليبين، وقاعدة حربية هامة، وميناء ومرفأ رئيسياً للتموين، في شرق البحر المتوسط، أنظر: ويكيبيديا: يوم: 24ماي 2011، على الساعة 17:36.

[2] **برقة** : برقة اسم يطلق على شرق ليبيا وعاصمته بنغازي، وتاريخيا كانت تسكنه قبائل البربر عند الفتح الإسلامي

الإسبانية 1529، ثم تحريره لتونس سنة 1534، والانتصارات المتلاحقة جعلت الملك الإسباني **شارل الخامس**، يتحرك إيمانا منه؛ بأن العثمانيين يمثلون تهديدا مباشرا للأمم المسيحية، ولممالك أوروبا. [1]

لم يهتم العرب بركوب البحر قبل الإسلام، [2] ويرجع ذلك حسب ابن خلدون؛ إلى العامل الطبيعي أساسا، عكس الإفرنج الذين برعوا في هذا المجال [3]، ولكن بظهور الإسلام، تغيرت النظرة العربية للبحر [4] وكان لزاما على المسلمين الاهتمام بالقوة البحرية ،والأساطيل لمد نفوذهم ونشر الرسالة المحمدية، وقد وردت عدة آيات أحاديث تحث المسلم على ركوب البحر وبينت منافعه.

ب- الآيات والأحاديث النبوية في فضل البحر وركوبه :

– الآيات القرآنية:

وردت آيات قرآنية تشير إلى فوائد ركوب البحر ومنافعه، منها قول الله تعالى : " **وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجون منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** " [5]

---

[1] أنظر التفصيلات حول الموضوع في المقالات التالية:

- عبد الجليل التميمي : **الخلفية الدينية للصراع الإسباني – العثماني على الإيالات المغربية في القرن السادس عشر** في المجلة التاريخية المغربية ، تونس، جويلية، 1978، العدد 10-11 ،ص، 44

- عبد الجليل التميمي : " **الشكل الإداري والجغرافي السياسي للأيالات العثمانية بالجزائر وتونس وطرابلس الغرب (1588-1557)**"، في كتاب تحية تقدير للأستاذ الساحلي أوغلو جمع وتقديم : د. عبد الجليل التميمي " تونس، منشورات، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، أكتوبر- نوفمبر، 1997- 1998، ج2، ص، 451 – 466 .

[2] محمد خلدون، الحمودي : **تاريخ الأسطول العربي**، دمشق، 1945، ص، 8.

[3] ابن خلدون: **المقدمة**، تحقيق لونان بإخراج جديد، دار الفكر، بيروت، ط1، 1425، 2003، ص، 243.

[4] فتحي عثمان: **الحدود الإسلامية البيزنطية، 2ج**، القاهرة، 1957، 2ج، ص، 335 – نقلا عن **تاريخ البحرية الإسلامية**، السيد عبد العزيز سالم، ص 14.

[5] سورة النحل آية 13.

ثم هناك قوله تعالى : " **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ...** " [1].

وقد جاءت التفاسير تشرح الآيات الكريمة، ومن معنى ذلك حسب ابن العنابي: " أعدوا أيها المؤمنون للكافرين كل ما إستطعتموه من الأشياء، فانتظم في ذلك الأمور النظامية، وغيرها والمراكب البرية، والبحرية، والحصون، والخنادق، والأسلحة ..." [2]

- **الأحاديث النبوية:**

جاء في الأثر النبوي عن ركوب البحر عدة أحاديث صحيحة، ومن ذلك ما رواه **ابن ماجة** عن أنس – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " حرس ليلة في سبيل الله على ساحل البحر أفضل من صيام رجل وقيامه في أهله ألف سنة، والسنة ثلاثمائة يوم واليوم كألف سنة "

وروى ابن ماجة والطبراني عن أبي أمامة – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : " شهيد البحر مثل شهيد البر ، المائد في البحر كالمتشحط في دمه في البحر." وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله – عز وجل – وأن الله تعالى **!** أوكل ملك الموت أن يقبض الأرواح إلا شهيد البحر، فإنه تولى قبض روحه، ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين، و يغفر لشهيد البحر الذنوب كلها والدين " .[3]

---

[1] سورة الأنفال آية 60.

[2] ابن العنابي محمد بن محمود: **السعي المحمود في تنظيم الجنود**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص، 56.

[3] ابن العنابي، محمد بن محمود: المصدر السابق، ص ، 56 – 57.

وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " حجة لمن لم يحج، خير من عشر غزوات، وغزوة لمن قد حج، خير من عشر حجيج، وغزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها، و المائد فيه كالمتشحط في دمه " وروى الطبراني في الأوسط، وابن عساكر وغيرهما، بأسانيدهم عن واثلة ابن الأسقع – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " من فاته الغزو معي فليغز في البحر ". [1]

ومنه قد وردت الكثير من الأحاديث النبوية، في فضل الغزو في البحر ومكانته عند الله، ومنها أن غزوة في البحر أفضل من غزوة في البر، وأن شهيد البحر له أجر شهيد البر، و كذلك أن غزاة البحر، لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم القيامة، ومنها أن الغازي في البحر، إذا وضع رجله في السفينة، يخلف خطاياه وراء ظهره، ويخرج منها كيوم ولدته أمه، ويضحك الله عز وجل إليه، ومنها ما روي أن شهيد البحر لا يجد ألم القتل في سبيل الله، إلا كشربة عسل بماء بارد.

وذكر عن يحي بن سعيد أن شهيد البحر، يشفع في سبعين من جيرانه : حتى أن الجارين يختصمان يوم القيامة يقول أحدهما : أنا أقرب إليه جارا، ويقول الآخر : أنا أقرب إليه جوارا. هذا ونجد تنبيها نبويا للحذر من ركوب البحر، والغزو فيه، في حال هيجانه وارتجاجه، لأن ذلك يؤدي إلى الهلاك،فقد ورد في رواية البيهقي قوله : صلى الله عليه وسلم : " ومن ركب البحر في ارتجاجه ففرق فقد برأت منه الذمة ". [2]

---

[1] ابن العنابي: المصدر السابق، ص ص، 56-57 . رواه الطبراني عن يحي بن سعيد الأنصاري عن عطاء بن يسار عنه قال : لم يروه عن يحي بن سعيد إلا يحي بن أيوب.

[2] ابن النحاس أبو زكرياء : **مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام في الجهاد وفضائله**، 2ج، تحقيق إدريس محمد علي ومحمد خالد اسطنبولي، دار البشائر الإسلامية، ط3، 1423 / 2002، **الفصل الخاص بالغزو البحري**، ج1،ص، 244، وما بعدها.

فهذه الآيات والأحاديث، والتوجيهات الدينية، من شأنها أن تترك الأثر البالغ في البنية الفكرية عند العرب، خصوصا والمسلمين عموما، وتحفزهم على إيجاد سياسة جهادية، في البر والبحر، وتحثهم على طلب الشهادة في البحر؛ لنيل الرضوان من جهة، وتحقيق ما هو أفضل للبلاد والعباد من جهة أخرى .

وإذا بحثنا عن دوافع أخرى وراء إهتمام المسلمين بالبحر، فحتما ستكون دوافع عسكرية وإستراتيجية، لأن المسلمين أدركوا ضرورة الاهتمام بهذا الجانب، وأخذهم العبرة من الصراع البيزنطي الفارسي، والذي لعب فيه الأسطول البحري البيزنطي في (ق 7 م) دورا مهما في حماية بيزنطة، وإنقاذها من الزوال أمام الفرس. [1]

نستخلص بالرغم من محاولات كل الكتاب الغربيين، تزييف وتضليل الشعوب، خاصة الإسلامية منها، على مر العصور، من أجل إلصاق مفهوم اللصوصية البحرية، بالنشاط البحري المغاربي عموما، والجزائري خصوصا، إلا أنه ظهر جليا للمتمعن في جل الكتابات، أن هذه الأفكار إنما هي استمرار للحملات الصليبية على المسلمين. [2] أضف إلى ذلك الدور الذي لعبه الجهاد البحري لبلاد المغرب، للحيلولة دون مد النفوذ المسيحي لهذه البلاد، التي طالما شكلت شوكة في حلق المسيحية، والكنيسة الكاثوليكية بالتحديد، التي جاءت لطمس الحقيقة وراء نشاط البحرية الجزائرية، ووصفها بالصوصية والبربرية. [3]

كما يأتي تبني الدولة العثمانية للجهاد البحري، نتيجة حتمية لصراعها مع العالم المسيحي المتوحد ضدها، في الحوض الغربي للمتوسط، خاصة بعد طرد المسلمين من الأندلس، فأصبح غزو

---

[1] أومان :**الإمبراطورية البيزنطية** ، تعريب، مصطفى طه بدر، القاهرة، 1957، ص، ص، 102 – 104.

وأنظر: – أحمد إبراهيم الشريف: **دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة**، دار الفكر العربي بيروت 1968 ، ص 183

[2] جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619 – 1830**، المرجع السابق، ص، ص، 243 – 250.

[3] زكي مبارك : **الجهاد البحري في الغرب الإسلامي**، المفهوم الإسلامي والمفهوم المسيحي، رحلة البحث العلمي، السنة الإحدى والثلاثون، جامعة محمد الخامس، الرباط، عدد -45- ،1998، ص 16.

السواحل الغربية واجب ديني ومشروع [1]

فقد ارتبط في أذهان القائمين به، وبدرجة أكثر الأندلسيين؛ الـــذين شـــاركوا في دعمـــه وتطويره، لما لهم من خبرة في مجاله، بمفهوم الجهاد ضد الاسبان، الذين طردوا المســـلمين؛ ونهبـــوا أموالهم، و شردوهم، وحولوا ما استطاعوا إلى الدين النصراني. [2]

كما ذكر صاحب كتاب " غزوات عروج وخير الدين " أن خير الدين اعتبر نشاطه البحـــري حربا مقدسة ضد المسيحيين[3] الذين ما فتئ ملك اسبانيا يجهز أعتى الجيوش لمحاربة الجزائر الـــتي اعتبرها خطرا على المسيحية جمعاء.

وساعد الجهاد البحري على تحرير الكثير من القواعد الإسلامية، في المغـــرب عامـــة [4] وعلى هذا يمكن توضيح الرؤى؛ أن العامل الديني كان له بالغ الأثر في تحريـــك الضـــفتين؛ نحـــو الصراع وتضارب المصالح بينهما، ولا يمكن التعبير عن ذلك بغير القول أن الشعوب أصبـــحت في تصادم [5] ويضيف **جون- ب – ولف.** في هذا الصدد في كتابه الجزائر وأوروبا، أن تواصـــل تعرض فرسان القديس يوحنا، والتجار الخواص العاملين بموانئ إيطاليا و صقلية وغيرها من الجزر في غربي البحر المتوسط للمغاربة، واستمرارهم في التعرض للحجيج، المتـــوجهين للحـــرم، و في المسافرين الأبرياء.

---

[1] المنور مروش:**المرجع السابق** ، ص، 458.

[2] عمار بن خروف: **العلامات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، المرجع السابق**، ص، 29.

[3] مجهول: **المصدر السابق**، ص، 35.

[4] آلتر عزيز سامح: **الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا** ، **المرجع السابق**، ص، 129.

[5] محمد أمين : **القرصنة وشروط افتداء الأسرى الاسبان بالجزائر في القرن الثامن عشر** ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، مؤسسة التصميم للبحث العلمي والمعلومات دار غوان، تونس، سبتمبر، 2000 ، العدد -21- ص 24.

كما أن فرسان مالطة كان لهم دورهم وكذلك تاريخهم الطويل في الـــتراع مـــع الدولـــة الإسلامية، وآمن الإيطاليون أن هذه الحرب تجلب لهم الثروة والغفران، كما كان ريـــاس البحـــر يشنون حربا بلا هوادة فيها على التجار والسواحـــل الإسبـــانية والإيطـــالية و البرتغالية، و يعبر جون ب وولف عن ذلك بقوله : " لقد كان الأمر بالنسبة للطرفين المسيحي والإســـلامي، أمـــر جهاد وحرب مقدسة " [1]

فنتيجة لما جاء في القرآن الكريم من آيات جهادية في فضل البحر وركوبه، ثمنتها أحاديث نبوية شريفة؛ جاءت في فضل الجهاد في البحر، إضافة إلى دافع الجهاد المقدس ضد الصليبيين؛ الذين غزو بلاد المسلمين في المغرب العربي؛ وشردوهم في الأندلس، اكتسب نشاط البحريـــة المغاربيـــة عموما والجزائرية خصوصا، طابع الجهاد البحري المقدس، ضد قوى الكفـــر والطغيـــان، كمـــا اكتسب هذا النشاط البحري الجهادي أهمية بالغة الأثر في تاريخ الجزائر على مر العصور.

[1] جون. ب. وولف: المرجع السابق، ص، 239.

2 - عوامل إزدهار النشاط البحري من منصف القرن 16 و إلى غاية النصف الأول من القرن17

تكاد تجمع المصادر المحلية، و الغربية كذلك، على أمر السيطرة الأوربية على المتوسط بحريا، خلال القرن 05هـ/ الحادي عشر الميلادي، الذي يعتبر بدوره قرن السيطرة الأوربية على المتوسط بحريا، و ارتبط هذا النشاط على العموم بمفهوم القرصنة.[1]

و قد سبق و أشرنا في المدخل، أن المسلمين بسطوا نفوذهم نسبيا على البحر المتوسط، ما بين القرنين الثالث عشر، و حتى المنتصف الثاني من القرن الخامس عشر، و وقف المسلمون في وجه إسبانيا، التي اعتبرت نفسها المدافع عن جميع المسيحيين في المتوسط[2]، خاصة بعد إتمام وحدتها، نتيجة زواج فرديناند و إيزابيلا[3] سنة 1469 و القضاء على آخر معاقل المسلمين بالأندلس، بسقوط غرناطة عام 1492.

وبانضمام عدة أقاليم، وتحقق حلم الوحدة الإسبانية بسرعة كبيرة، و من ذلك تولدت أسطورة إسبانيا "**الإمبريالية**"، كما يقول **بروديل**، و أطلق هذان الملكان على نفسيهما لقب "**الملكين الكاثوليكيين**"، مما يعكس صورة التعصب الديني ضد الإسلام[4]، الذي بدأت تتهاوى إماراته في شمال إفريقيا، أمام الغزو الايبيري إلى غاية وصول الإخوة بربا روس، و بداية بناء قاعدة جهادية و بحرية في شمال إفريقيا .و عليه فإن أمر الغزو البحري المغاربي، تضاعف في جميع أنحاء الحوض الغربي للمتوسط، وانتشر كذلك في جميع دول المغرب الإسلامي وبالخصوص في كل

---

[1] رجاء العودي عدوني: **الجهاد البحري المشترك بين إفريقية و المغرب الأقصى بين القرن 13م، والقرن 16م**، المجلة المغربية لتاريخ البحرية الإسلامية، المغرب، 1997، ص، 115.

[2] نفسه: ص، 109.

[3] **زواج إيزابيل و فرديناند**: تكونت الخريطة السياسية لشبه الجزيرة الأيبيرية في القرن 15/ 09هـ؛ من عدة كيانات سياسية أهمها: ملكة، "قشتالة"، و مملكة آراغون أو "الآراغون"، و"مملكة النفار"، و البرتغال، و هي ممالك مسيحية، حدث هذا الزواج في سنة 1469م، حيث تزوج فرديناند ملك الآرغون، من إيزابيلا ملكة قشتالة، و قد ترددت إيزابيلا قبل أن تختار ملك الآراغون، على حساب ملك البرتغال، رغم أن هذا الزواج لم يؤدي إلى توحيد كلي، لاهتمام الآراغون لجزر البحر الأبيض المتوسط، أما قشتالة فكان لها نظرة سياسية، أكثر عدوانية على المسلمين، أنظر: جون ب وولف: **الجزائر وأوربا، المرجع السابق**، ص، 201-222.

[4] F. Braudel: : op, cit , p, 19.

الجزائر خلال القرنين العاشر و الحادي عشر الهجريين/ السادس عشر و السابع عشر الميلاديين، ويعود ذلك لعدة أسباب منها: [1]

1- اقترانه بفكرة الجهاد:

أشرنا في الفصل الثاني أن عملية النشاط البحري، عملية مقدسة و دينية، كانت العامل الأساسي وراء تطور فكرة الجهاد البحري لدى المسلمين، وهو ما يذهب إليه "عمار بن خروف في "كتابه العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية...."حيث يرى أن المغاربة عموما، و الأندلسيون خصوصا تنامت لديهم فكرة الجهاد البحري، بعد الحملات الأوربية على سواحل الجزائر، وما لحقَ الأندلسيين من اضطهاد كبير، من طرف الإسبان.[2]

هؤلاء الأندلسيون أخذوا على عاتقهم مهمة كبرى؛ و هي مساعدة المغاربة، بكل خبرتهم لتحقيق الانتقام.

2 - موقع الجزائر الجغرافي الممتاز:

شكل الغزو البحري نشاطا مهما لإيالة الجزائر؛ هذا الغزو الذي لا يتأتى، إلا في ظل موقع جغرافي ممتاز يتيح لها السيطرة على مداخل، و مخارج البحر الأبيض المتوسط. فموقع الجزائر الممتاز، و طبيعة سواحلها المفتوحة على أوربا، و المتحكمة في الحوض الغربي للمتوسط على امتداد 1200كلم، جعلها طيلة الفترة العثمانية محط أنظار و صراع بين دول وممالك أوربا، وخاصة دول الضفة الشمالية للحوض الغربي للمتوسط، حتى أطلق على مدينة الجزائر اسم المحروسة، و المنصورة ، أو دار الجهاد.[3]

---

[1] عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية بين الجزائر و الغرب، في القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، 2ج**، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، 2008، الجزائر، **ج2**،ص 28.

[2] عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية و الثقافية بين الجزائر و الغرب**، المرجع السابق،ص29.

[3] يحي بو عزيز: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا(1500- 1830)**، ديوان المطبوعات، الجزائر 1980 ص، ص10، 16.

3- تطور هياكل البحرية الجزائرية وطائفة الرياس:

عرفت هياكل البحرية الجزائرية تطورا كبيرا في القرن 17، خاصة من حيث عدد السفن و رياس البحر العاملين في هذا المجال، حيث عرفت صناعة السفن تطورا ملحوظا، ما بين 1535- 1650،استنادا لجاسوس إسباني[1]، الذي بين أن إنشاء الترسانة أو دار الصناعة يعود إلى ما قبل 1535، و هذا ما سنفصله في الجزء الخاص بالصناعة البحرية في ق 17.

عرفت طائفة الرياس، و هي القوة الأولى التي اعتمدت عليها البحرية، تطورا هائلا في هذا القرن، و عرفت هذه الفئة بكفاءتها الحربية و مقدرتهم القتالية العالية، التي مكنتهم من تحقيق انتصارات واسعة،بفضل هؤلاء الرياس أضحت البحرية الجزائرية، مدرسة رائدة للبحرية الإسلامية في العهد العثماني[2] على غرار علي بتشيني و مامي و غيرهم.

التنظيم الكبير الذي عرفته البحرية الجزائرية في هذا القرن، عن طريق **ديوان البحرية،** الذي أكسب هذا المجال أكثر تنظيم، من حيث الرتب و الرواتب و المهام و حتى توزيع الغنائم.[3]

4- تشجيع حكام الجزائر من الأتراك العثمانيين له:

ارتبط أسم البحرية الجزائرية في القرون الحديثة (16 و 17 و 18)، باسم الأتراك العثمانيين هؤلاء الذين عُرِفوا بحبهم للبحر و ولعهم به، فآل بربروس عرفوا بحبهم للبحر والملاحة، وهي الحرفة التي توارثها الإخوة بربروس، من أبيهم يعقوب، وعلى ضوء ذكر ولع عروج وخير الدين بالبحر، يصف لنا خير الدين ذلك الشعور، على حد قول **خير الدين** [4] في مذكراته:""حبنا

---

[1] M, DE. La primoudi,**." de documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique "** in **R. A** 19. 1875 p, 166.

[2] حنيفي هلايلي: **التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دار الهدى للطباعة و ن، و، ن. عين مليلة، ديسمبر، 2007، العدد- 24- ص، ص، 45 - 46.

[3] LM. Chaillou, **: texte pour servir à l'histoire de l'Algérie au XVIII^{ème} siècle,**1979, p 24.

[4] خير الدين بربروس: **مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق**، ص، 29.

للبحر فوق كل حب...."" هذا الشعور الذي جعل جل ولّاة الجزائر يهتمون بـــالغزو البحـــري و يحثون عليه. [1]

5- دور المورسكيين الأندلسيين في الجهاد البحري المغاربي:

لعل أهم عمل قام به الملكان الكاثوليكيان، هو تصفية الوجود الإسلامي في بلاد الأندلس، و قد أطلق الإسبان لفظ موريسكي، على المسلمين الذين فرض عليهم التعميد الإجباري، و كلمة (moros)أي يعني المسلمين الأصاغر؛ و التي أطلقت على سكان شمال إفريقيا تحديدا من قبـــل الإسبان[2] على المسلم الذي دخل المسيحية حديثا أي "المسيحيون الجدد".

وتشير بعض الدراسات على أن سقوط غرناطة، هو بداية التاريخ الفعلـــي للمورســـكيين، وورود لفظ موريسكي في وثائق محاكم التفتيش، و التي نعتت المورسكيين بالمســـيحيين الجـــدد demoro Cristiano" "nueve و هذا خلال القرن 16 [3]

و للتحديد الفعلي أي الزمني، لهذه الفئة نستدل بدراسة المؤرخ الإسباني " M.de Eplaza" ذي ايبلازا الذي قدم إطارا زمنيا للمورسكيين: و أشار إلى وجود ثلاثة مراحل أساسية، من وجهة نظر القانون الإسباني و هي كالآتي:

1- **مرحلة المدجنين**: قبل التعميد القسري (1502- 1525)؛

2- **المرحلة الموريسكية**: نُعت فيها المسلم مسيحيا أقل مرتبة من الإسباني؛

3- **مرحلة الطرد الأكبر**: (1609-1614): و هي مرحلة عودتهم إلى ديار الإسلام[4].

عرف مصطلح الموريسكي، خلاف بين المؤرخين، خاصة حول تـــاريخ بدايـــة تداولـــه وامتداده، لكن عموما مصطلح الموريسكي، يشمل كل المسلمين الذين مكثـــوا بشـــبه الجزيـــرة الأيبيرية –اسبانيا– الأيبيرية، و أرغموا على اعتناق المسيحية بعد سقوط غرناطة، آخر معاقل

---

[1] عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية** .....، **المرجع السابق**، ص، 29.

[2] Encyc**lopédie de l'ISLAM**, Paris, Nelles édition,.1993. T. VII, p.243

[3] Cardiallac (Y) Hermossilla **: la magie en Espagne morisque et vieux chrétiens XVIe et XVIIe siècle** bordeaux, 1994, T1, pp, 33-36

[4] M.de Epalza : **l'identité anosmatique et l'linguistique des morisque**, ln, Actes du II symposium international du C,I,E,M, sur (religion, identité, et sources documentaires sur les morisques, andalous), études réunies et présentés par A , Temimi, Tunis 1984, T1, pp, 269

المسلمين في الأندلس.[1]

وقد عرفت الجزائر هجرة أندلسية واسعة[2] واسعة نتيجة مساندة المورسكيين، ونقلهم إلى مدينة الجزائر، و قد انعكست هذه الخطوة بالسلب على ايالة الجزائر، نتيجة استقطابها لأنظار ملوك أوربا كـ :**شارل الخامس** (1519، 1556) و **فيليب الثاني** (1556-1598)، و تكثيف حملاتهم على مدينة الجزائر،[3]

و يعود اختيار المورسكيين للجزائر كملجأ لقربها الجغرافي، و كذا وجود نظام عثماني قوي قادر على حمايتهم على ذلك الذي هو في الغرب[4]، و مع وصول المورسكيين، اهتموا بعدة نشاطات اقتصادية، و تجارية و اجتماعية و ثقافية، ولا نقول إننا بالغنا إذا قلنا أن لهم بالغ الأثر في تنمية الحياة عموما، و رد الحملات الإسبانية خصوصا.

دورهم في تنمية النشاط البحري: عرف المورسكيون أو أفراد الجالية الأندلسية؛ بنشاطهم الكبير و احترافهم لعدة أنشطة اقتصادية متعددة، الأمر الذي ساعدهم على الاندماج، و تكوين ثروات هائلة[5]، و يمكن تقسيم الحرف التي اشتغل بها المورسكيون إلى مجموعتين أساسيتين هما:

– **الحرف الصناعية:** و منها المتعلقة بالتجارة و البحر.

---

[1] لوي كارديك: **المورسكيين الأندلسيون و المسيحيون، المجابهة الجدلية (1492-1640)**، تعريب و تقديم "عبد الجليل التميمي"، الجزائر، الدار التونسية للنشر و التوزيع، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص150.

[2] تشير الدراسات إلى الهجرة المورسكية، و أسمتها بالهامة والواسعة، رغم قلة الوثائق المتعلقة بها، حيث بالرغم من ذلك تناول بعض الباحثين هذا الموضوع و أفادونا بالمعلومات هامة في الموضوع، تقسم هذه الهجرة إلى مرحلتين الأولى مابين 1212-1494 وتزامنت مع الحركة الاسترداد « Reconquise »، و مرحلة ثانية 1519. ونوه أن هذه الهجرة حملت وبال و نقمة ملوك أوربا على الجزائر لاحتوائها لأعداد هامة من المورسكيين. – أنظر ناصر الدين سعيدوني: **الأندلسيون المورسكيين بمقاطعة الجزائر. (دار السلطان)، أثناء القرنين السادس عشر و السابع عشر**، حوليات جامعة الجزائر، الجزائر، 1993، العدد 7 ص، 105، 130.

[3] محمد عبد الله عنان: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**، ط4،القاهرة، مكتبة الخانجي، 1987، ص، 105-130.

[4] عبد الجليل التميمي: **رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني، سنة 1541**، المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد 3، ص، ص، 35-50.

[5] Brahimi. Denise : **Quelques jugements sur les maures sur les maures andalous dans les régences turques,in R.H.E.M.,** N°9, juillet, 1970, pp, 38-40.

– **الحرف الغير صناعية:** ومنها الحياكة و الطرز و غيرهما.

و قد عرف نشاط المورسكيين، لتدعيم الغزو البحري و المساهمة في رواجه، جانبيين هما:

– **معرفتهم بصناعة السفن:**

يشير الكاتب **عمار بن زخروف** في كتابه العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية بين الجزائر و الغرب في القرن 16، إلى انضمام أعداد الأندلسيين إلى البحرية، دعم هذه الأخيرة بما كان لهم من أموال، و مهارة كبيرة بصناعة السفن.[1]

– **التجارة في مجال البحر و الأسر:** تمثل نشاط المورسكيين، و بدرجة أخص في تجارة و بيع الأسرى المسيحيين، و كذا تمويل مشاريع الجهاد البحري، و عملوا على استثمار أموالهم في هذا الجانب، فاستفادتهم من عائدات بيع الأسرى، كانت مربحة جدا[2]، و قد وصل عدد الأسرى مابين سنتين 1520- 1660 إلى 500000 و 600000 عوملوا بكل قسوة من طرف المورسكيين كما يقول **جون ب وولف.**[3]

وبدون مبالغة، يمكن اعتبار المورسكيين، بفعل خبرتهم في هذا المجال، ورغبتهم في الاستثمار، في هذا المجال، الفئة المدبرة لشؤون (الغزو البحري)، و غنائم الجهاد و مبادلة الأسرى [4]، و بصفة عامة يمكن اعتبار أن الغزو البحري و القرصنة، ارتبط بذهنية الأندلسيين، على أساس ارتباطه بمفهوم الجهاد البحري ضد الإسبان، الذين استباحوا أعراض وأملاك المسلمين في الأندلس وشردوهم و قسوا عليهم، و بالتالي نمو روح الانتقام، لدى المورسكيين من كل ما هو اسباني.

---

[1] عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، في القرن العاشر هجري /السادس عشر ميلادي**، المرجع السابق، ص، 29.

[2] Haedo: op, cit , p , 68

[3] جون ب وولف: **الجزائر وأوربا، المرجع السابق**، ص،ص، **208–215**.

[4] **L**augies de tassy: **Histoire de royaume d'Alger**, paris, éd ; loysel,1992, p ,69.

[5] جون ب وولف: المرجع السابق، ص، 55.

6- عائدات الغزو:

شكلت عائدات الغزو البحري دافعا قويا لدى، الولاة من جهة، و رياس البحر من جهة أخرى، لتطوير هذا النشاط، فقد وظفت هذه العائدات للنهوض بصناعة السفن، ودعم الخزينة بما يناله من أسلاب، وساهمت في حركية التجارة، خاصة البحرية منها كالبارود والأسلحة و ساهمت هذه الغنائم في نمو التجارة و أهمية المدن، خاصة الجزائر.

7- الغزو الأوربي لسواحل الجزائر:

كما سبق و أشرنا أن عملية الغزو، و الصراع القائم في المتوسط، إنما هو صراع ديني محض، و اقترن بفكرة الجهاد المقدس لدى الطرفين– الإسلامي و المسيحي- ،الأمر الذي خلف صراعا محتدما بين القومين، جلب ويلات و محن الحملات المتوالية؛ على مدينة الجزائر منذ القرن 16، و إلى غاية القرن 19، و من أهم الحملات:

1- الحملات الإسبانية: حملة شارلكان 1541.

- حملة البابا بيوسي الرابع 1560.
- حملة صليبية بقيادة جون دوريا 1501.

2- الفرنسية:حملة بقيادة دوبوفور 1621.

3- مالطا:حملة فرسان مالطة 1647.

4- الدنمارك:حملة دنماركية 1770.

الانجليزية:حملة انجليزية بقيادة الأميرال هاري ينال1824. [1] * **أنظر الملحق** الخاص بحملات الدول الأوربية(الحوض الغربي للمتوسط) على الجزائر. كل هذه الحملات كانت على مدينة الجزائر، و غيرها الأمر الذي جعل حكام الجزائر، في تأهب دائم لرد هذه الحملات، و الذود عن مدينة الجزائر، و كان لابد لسلاح البحرية من التطور لمواكبة القوى الأوربية، و على العموم أثر النشاط

---

[1] يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر مع دول و مماليك أوربا:** المرجع السابق: ص، ص، 10 – 16.

البحري تأثيرا إيجابيا، بتزايد قوته البحرية و عائداتها، و أثر سلبا على الجزائر بالنظر إلى ما كـــان يجلبه عليها من ويلات، كما سبق و أشرنا.[1]

وخلاصة القول أن بداية النشاط البحري للجزائر في القرن السادس عشر، يعود أساســـا إلى مجيء الإخوة بربار وس إلى الجزائر، وإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، واصطناع سياســـة جهاديـــة بحرية، أساسها المرجعية للدين الإسلامي، كما أن المفهوم الشائع حول نشاط البحرية الجزائرية من لصوصية بحرية و اعتداءات على السفن، إنما هو باطل كون أن ذلك النشاط كان قانونيا ومعترفا به دوليا، ومفصل في أمره كما بيناه آنفا، هذا النشاط البحري الذي تطور وأصبح قوة في القـــرن 17.

---

[1] عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية**،،،،،المرجع السابق: ص، 30.

الفصل الثالث:

واقع البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر

المبحث الأول: البحرية الجزائرية في القرن 17(هياكلها)

1- صناعة السفن والأسلحة في القرن 17:

2 - حجم الأسطول الجزائري (عدد سفنه)

3- ديوان البحرية

4- طائفة الرياس

المبحث الثاني: غنائم البحرية الجزائرية وعائدات الأسرى في القرن 17

1- غنائم البحرية الجزائرية

2- عائدات و عدد الأسرى الأوربيين في ق 17

3- طريقة التعامل مع الغنائم

المبحث الثالث: عوامل ضعف البحرية الجزائرية في القرن 17

1 - ظاهرة شراء المناصب وتدخل الانكشارية

2- المشاكل المالية و الثورات الانتفاضات الشعبية

3- تراجع دور الدولة العثمانية وتبعاته على الجزائر

4- الكوارث الطبيعية والأوبئة خلال القرن 17

5- معاهدات التقارب بين الجزائر ودول أوروبا

الفصل الثالث

مقدمة الفصل:

تعددت الآراء والأحكام التاريخية، حول الواقع العام الذي تميزت به البحرية الجزائرية، وخضعت هذه الأحكام إلى ثلاث اتجاهات أولها الذاتية وثانيها الموضوعية، وفي أحيان كثيرة إلى الأسطورية، وأصبح واقع البحرية الجزائرية في العصر الحديث مادة دسمة للباحثين، للبحث عن كل ما يفيد، إما للتجديد أو للتصحيح أو للإضافة.

وباعتبار واقع البحرية الجزائرية في العصور الحديثة، وخاصة النصف الثاني من القرن السادس عشر والسابع عشر، عرفت تطورا كبيرا سواءا من حيث الهياكل ، أو من حيث المداخيل، ما جعل الاعتكاف على دراستها، يدفع إليها أكثر من عامل، وأكثر من استفهام.

عناصر عدة ساهمت في تطور بحرية الجزائر، ومنحها شرف تزعم مجريات الزمان والمكان، في الحوض الغربي للمتوسط قرابة القرن من الزمن، هذه العوامل اختلفت مابين عوامل داخلية، وأخرى خارجية، وكذا ارتبطت بالرغبة الجامحة لسكان الجزائر، لرد حملات القوى الأوربية، ووقف تحرشاتهم التي أفقدتهم التوازن والاستقرار، فكانت هذه العوامل في حد ذاتها عاملا دفعنا للبحث عنها، و الوقوف عند مدى مساهمته في ما بلغته الجزائر من قوة وبأس شديدين.

لم تصل البحرية الجزائرية إلى ما وصلت إليه، من ازدهار تحاكيه كتب التاريخ بالغتين الغربية- وخاصة الفرنسية – والعربية، لو لم تصل مداخيلها من غنائم، وأسرى درجة كبيرة من الإيرادات، أصبحت تشكل عصب الاقتصاد الجزائري.

كما أن تزايد حجم البحرية الجزائرية، ومدى قوتها ضاعف من أعداد الأسرى الأوربيين، وتحولت الجزائر أحد أهم أسواق النخاسة والرقيق، في الحوض الغربي للمتوسط، وعاد أمر الأسر بمغانم كبيرة على الخزينة، نتيجة أموال الافتداء .

حافظت الجزائر على قوة وضخامة مداخيلها، طيلة القرن السابع عشر، وفاقت مـــداخيل سنوات التقهقر في هذا القرن، سنوات التطور والازدهار في القرون الموالية للدولة، لكن تضـــافر عدة عوامل داخلية و خارجية، ساهمت في تراجع الغزو البحري للجزائر.

المبحث الأول:

البحرية الجزائرية في القرن 17 (هياكلها)

استطاعت البحرية الجزائرية، المتصاعدة القوى تدريجيا، من حيث بناء السفن و مداخيل الغزو البحري، و عائدات افتداء الأسرى. فرض نفسها ابتدءا من النصف الثاني للقرن 16، و يدلل الكثير من المؤرخين على ذلك خاصة " هايدو Haido " بتفوق الجزائريين في بناء السفن، في كثير من أحواض – كما يسميها – الجزائر مثل " شرشال و بجاية و مدينة الجزائر "، و غيرها من المراكز، و عملت هذه المراكز على حد قوله، على طرد الإسبان من "Pênon".[1]

وقد أجمعت المصادر، على أن قوة الأسطول البحري للجزائر، ازدادت تدريجيا في بداية خضم الصراع العثماني الاسباني، و الذي لعبت الجزائر دورا حاسما فيه [2]، الأمر الذي يجعلنا في خضم هذه الحقائق، التساؤل حول حجم البحرية الجزائرية، في القرن السابع عشر تحديدا، من حيث جوانب عدة: كصناعة السفن و الأسلحة وعدد السفن أو ما يسمى بحجم الأسطول البحري من جهة، و غنائم هذا الأسطول، و حتى أهم غزواته، من جهة أخرى، كما سنأتي عليها بالتفصيل.

1- صناعة السفن والأسلحة في القرن 17:

أ- السفـــن:

إن تطور بناء السفن و الأسلحة البحرية، في الجزائر إنما هو انعكاس لما توصل إليه الأتراك العثمانيون، في اسطنبول من تطور كبير في هذا المجال، فبدون استثناء أولى سلاطين بني عثمان، اهتماما بالغ الأثر لصناعة السفن، فالعثمانيون و منذ بداية ظهورهم، اهتموا بالقوة البحرية؛ للربط بين شطري سلطنتهم الممتدة من آسيا إلى أوروبا، بعد فتح كل من صربيا و بلغاريا، و هما دولتان مهمتان على الصعيد الجغرافي لأوربا الشرقية، وكلّل الفتح كذلك بفتح

---

[1] Haido : op, cit .28

[2] Grammont **: histoire d'Alger,** op, cit. p.51

القسطنطينية سنة 1453، من الشطر الأوروبي[1]، و بهذا التوسع عمل كل سلاطين بنو عثمان على توطيد سلطانهم بالبحر.

و للحفاظ على قوة البحرية، كان لا بد من إنشاء **دار الترسانة**، أو ما يسمى **بدار الصناعة**، و التي يعود إنشاؤها حسب بعض المصادر إلى ما قبل 1535م[2]، و في هذا الصدد يقول خير الدين باشا في مذكراته المعنونة بـ:"مذكرات خير الدين بربروس" واصفا بقوله دار الصناعة الخاصة بالسفن.

" ....زرت إسطنبول مع بعض البحارة الجزائريون، انبهر البحارة عندما رأوا اسطنبول، وتجولوا في مضيقها[3]، و زاروا حصونها و قلاعها، و أسوارها المنيعة، وكم كانت دهشتهم عظيمة، لما رأوا المصنع السلطاني لبناء السفن، الذي كان يعجّ بعشرات الآلاف من العمال، بل قريبا من مئة ألف عامل، كلهم يشتغلون فيه كأنهم خلية نحل، فحمدوا الله كثيرا، على كونهم تابعين لدولة على هذا القدر من القوة و العظمة...."[4].

و لنقل هذه الصناعة إلى الجزائر، تدرب الشباب الجزائريون بهذا المصنع، و بأمر من خير الدين حيث يقول:"...أما الشباب الراغبين في التجنيد بالأسطول، فأرسلت ثلاثمائة منهم من يعرفون أولهم معرفة بالبحرية، و أما الآخرون فقد عينتهم في مصنع بناء السفن، لكي يتعلموا و يتدربوا هناك..."[5] و هذا بالطبع قصد الاستفادة، من خبرتهم لصناعة السفن البحرية في الجزائر، فتأسست الترسانة أو دار الصناعة البحرية في بداية النصف الثاني من القرن 16، وكانت قد تلقت الذخائر و لوازم البناء في خمس و ثلاثين سفينة، خرج السلطان سليم الأول شخصيا

---

[1] محمود السيد الدعيم: **تاريخ البحرية العثمانية، حتى نهاية عهد الخليفة العثماني سليم الثاني 1574**، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1994،ص ص13-15.

[2] M.F.E .La primoudie ,.de : **documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique**. In. R.A.19, 1875, p.266.

[3] يقصد بمذيقها مذيق البوسفور.

[4] خير الدين بربروس: **مذكرات خير الدين بربروس**، المرجع السابق، ص، 212.

[5] نفسه، ص212.

لتحيتها[1] و كانت دار الصـــناعة في الجزائر تتلقى المـــواد الأولية، من خشب وجميع المعـــدات، و اللوازم لبناء السفن، و تجهيزها وتسليحها، وكان يتم ذلك تحت إشراف وكيل الخرج.

و في ظل الصراع الدائم مع الدول و المماليك المسيحية في الحوض الغربي للمتوسط، عرفت دار الصناعة أو **"الترسانة"** نشاطا منقطع النظير، بالرغم من الظروف التي كانت تمر بها الجزائر في النصف الثاني من القرن17.[2]

و بالرغم من ذلك تذكر المصادر أنه و في ظل الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الـــبلاد آنذاك، ففي النصف الثاني منه القرن السابع عشر كمثال، كانت توجد من أربعة إلى ستة أبـــدان سفن طور الإنجاز أو البناء، مما كان يشغل نحو مائتي باني و قلفاط و نجار و عامل.[3] **أنظر الملحق** الخاص برتب وأطقم السفن.

في حين نجد أن أغلب العمال كانوا؛ من الأسرى و الأعلاج المختصين في أعمال البحرية، أما عن معدات الصناعة فأهمها الخشب والمعادن، ففيما تعلق بالخشب، فإن مصدره كـــان مـــن غابات دار السلطان: غابة بني صالح، والشريعة، جبال الظهرة، ومنطقة القبائل وتحديـــدا بجبـــال البابور، و لم تكن دار الصناعة أو " الترسانة " واسعة بالقدر الكافي، الأمر الذي جعل القـــائمين علي البحرية، إضافة مواقـــع أخرى تابعة لها، علـــي شكل ملاحق تابعة لها : الركن الشمالي من

---

[1] خير الدين بربروس: **مذكرات خير الدين بربروس**، المرجع السابق، ص، 213.

[2] عن هذا الضعف أو بالأحرى العوامل أو الظروف التي كانت تمر بها الجزائر يقول ناصر الدين سعيدوني في كتابه "الجزائر في التاريخ العهد العثماني"، ج4:"...تكرر هجمات الأساطيل الأوروبية على المدن الساحلية قصد القضاء علـــى القرصـــنة و إطلاق الأسرى و الحصول على الامتيازات، و قد اضطرت الجزائر إلى عقد اتفاقيات مجحفة مع بعض الـــدول الأوروبيـــة و التزمت بحرية التبادل، و ضمان سلامة السفن التجارية كما نصت على ذلك بنود معاهدات 1628-1666-1683 مع فرنسا، و معاهدة 1688 مع إنجلترا و اتفاق عام 1680 مع هولندا...، و لأخذ فكرة عن مدى الأضرار الذي تعرضت لها مدينة الجزائر، جراء الغارات المفاجئة على سواحلها، نشير إلى أنها تعرضت إلى عشر هجمات؛ ألحقت بها أضرار كبيرة ما بين سنتي 1634 و 1789، مما أدى إلى تناقص التجارة و انخفض عدد السفن..."،أنظر: ناصر الدين ســـعيدوني "**الجزائـــر في التاريخ** العهد العثماني"، ج4: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1984، الجزائر، ص،45.

[3] نقلا عن : - shuval ,op.cit.p 13 0 .

المرسى، و كان هذا الملحق اهمها؛ بالقرب من برج المول ، أما معامل الأشرعة، و صناعة الحبـــال و المخازن، كانت تمتد على طول رصيف خير الدين[1]، بالإضافة إلى هذا شاطئ الرميلة بـــاب الواد، دون إغفال أمر الخلجان، بالقرب من باب عزون، حيث كانت تستعمل لصناعة المراكب الصغيرة.[2] وساهمت دار الصناعة في تزايد عدد السفن تدريجيا، و حافظت على نفوذ الجزائر في الحوض الغربي للمتوسط، من النصف الثاني للقرن السادس عشر إلى غاية الثلاثينات مـــن القـــرن السابع عشر، سنوضحه في الجزء الخاص بعدد السفن.

الأسلحة: أما الأسلحة فهي من أهم الصناعات الحيوية و أكثرها دقة، و لذلك أوليت بأهمية بالغة هي الأخرى، و كانت تتم أساسا في دار النحاس، و التي تم إنشاؤها في وقت مبكر مـــن تـــاريخ الإيالة، فأول إشارة إليها بتاريخ مارس 1534 [3]، و هو التاريخ الذي تم فيه اســـتدعاء خـــير الدين، ليمنح له منصب بايلر باي من طرف السلطان.[4] و كانت دار النحاس؛ الواقعة في جهـــة باب الوادي، عبارة عن مبنى ضخم به مخزن عالي جيد البناء لســـبك المـــدافع، و في ملحـــق دار النحاس كانت توجد عدة أفران، و كيران لصناعة القذائف، من مختلف الأحجـــام بالإضـــافة إلى البنادق، التي كان يوفرها البايلك للمجندين الجدد.[5]

و بالقرب من مصنع الأسلحة، توجد دار البارود، حيث كانت تصنع هذه المادة الحيوية؛ من مزيج من ملح البارود و فحم الدفلى، و الكبريت الذي كان يجلب من أوروبا، أو بـــالأحرى كان يهرب لأنه كان واقع تحت الحضر البابوبي.[6]

---

[1] وعن نشاط دار صناعة السفن أنظر:

op.cit.p.242 **inédit…** , **documen**t -Emerit : **un-**

[2] Belhamissi, **histoire de la marine….** op.cit.p.50

[3] La primaudie : **documents inédits…,** op.cit, p.275

[4] كورين شوفاليه: **المرجع السابق**، ص، 34.

[5] Saidouni, op.cit, p.219.

[6] منعت الراءات البابوية و الأوامر الملكية بيع الخشب للجزائريين كما وضعت إسبانيا حضرا على كل ما يتعلـــق بلـــوازم البحرية من عدة صواري و منح البارود و القماش الخاص بصناعة الأشرعة، أنظر:

belhamissi : **histoire de la marine** ,op ,cit .p.219

أما مستودعات الأسلحة، حسب كورين شوفاليه، باعتمادها على آثار الحفر القديمة، فإنه تم بناؤها في سنة 1573م من قبل عرب باشا [1]، لكن تاريخ إنشاء دار النحاس، و تاريخ إنشاء المستودعات، بينهما فارق من السنوات يصل إلى حد 39 سنة، فهل إنتاج دار النحاس انتظر 39 سنة ليصل إلى مرحلة التخزين؟ و تشير شوفاليه إلى وجود ورشة لإصلاح السفن على الميناء، وبفضل هذه الورشة استطاع بعض الجواسيس الإسبان، معرفة عدد المدافع في المدينة، حيث استطاعوا أن يحصوا ما بين 1533-1534 حوالي 21 قطعة مدفعية؛ منها 6 مدافع صغيرة مصنوعة من الحديد. و على العموم فإن الصناعة الخاصة بالسلاح، ظلت في نمو إلى غاية النصف الثاني من القرن 17[2]، وساهمت في شكل كبير في خدمة البحرية الجزائرية.

2 – حجم الأسطول الجزائري (عدد سفنه).

كما سبق و أشرنا أسست الجزائر مراكز لتشييد السفن، و يمكن اعتبار الفترة الممتدة ما بين 1580-1650 تحديدا، بأهم الفترات التي عرفت ازدهارا للغزو البحري الجزائري، أو ما ورد باسم القرصنة الجزائرية[3] و استطاعت بفضل تلك المراكز الوصول إلى العدد الآتي في القرن 17، سنحاول أن نوردها حسب التسلسل الزمني كما يلي:

ففي 1606: جهز الجزائريون سفنا بأنفسهم أخذت شكلا دائريا، تشبه إلى حد ما السفن الشراعية الكبيرة،و يعود الفضل الكبير لتشييد هذه السفن إلى العمالة المتقدمة نتيجة الهجرة الأندلسية. [4]

وحسب تتبع المصادر، فان كبر الأسطول الجزائري، عرف أوجه ما بين سنتي 1621-1645 و تحديدا في زمن قيادة **إبراهيم عرباجي** ، و**على بتشين** لطائفة الرياس، فقد

---

[1] كورين شوفاليه: **المرجع السابق**، ص، 86.

[2] نفسه: ص، 86.

[3] P. dan : **histoire de barbarée,** op, cit, p, 122.

[4] James Wilson Stevens: **on historical and Geographical Account of Algiers: novel and interesting detail of events relative to American captives comprehending. A Philadelphia**, August, 1997.pp.51.55

قنصل فرنسا في الجزائر، ما يقارب 85 سفينة صالحة لعملية الغزو البحري، كلها علـــى درجـــة كبيرة من التجهيز، و كذا الأسلحة في سنة 1621.[1]

و في حدود ســـنة 1634 يقـــول: الأب دان "Pérre Dan" في كتابـــه " Histoire barbarie et des ses corsaires ": " ... كانت الجزائر تمتلك أربع سفن شراعية كبيرة، و09 سفن صغيرة، و 70 من النوع الصغير..." .[2]

و في سنة 1645 استطاعت البحرية الجزائرية مضاعفة العدد، عن طريق الغزو و البناء، و وصل عدد السفن الإضافية 74 قطعة [3] لكن عدد السفن و وحدات الأسطول عموما، بـــدأت تعرف تناقصا شيئا فشيئا، تعود إلى عدة أسباب عديدة منها:

1- اشتداد الصراع الإسلامي المسيحي في المتوسط، خاصة في حرب "كريت (1645-1669) التي اعتبرت الجزائر من أهم أطرافها؛

2- الخسائر الكبيرة التي تكبدتها الجزائر جراء هذا الصراع؛

كثرة الأوبئة و الأمراض، و الجمود الاقتصادي، والانهيار الديموغرافي الذي عرفته البلاد الجزائرية، نتيجة ما عرفته أوربا من تقدم صناعي كبير. [4] أما في سنة 1659 فقد دل "**دابير** Dapper" على أن الأسطول الجزائري، كان يحتوي على 23 سفينة مسلحة بمدافع عددها ما بـــين 30 و 50، [5]، و في سنة: 1661 بلغ عدد السفن 42 سفينة [6]،وبدأت هذه السفن تتناقص تدريجيا، إلى غاية تراجعها بشكل ملفت للانتباه في القرن الثامن عشر، نتيجة الغارات الأوروبية على مدن

---

[1] Plantet, E **: correspondance de deys d'Alger avec la cour de France**, T.1, éditions Bouslama, Tunis ; 1981, p.17

[2] James Wilson s'steven : Op, cit, p. 59

[3] Emerit : **un mémoire sur Alger**…op.cit.p.21.

[4] نصر الدين سعيدوني، و الشيخ المهدي بوعبدلي: **الجزائر في التاريخ، 4ج**، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتـــاب، الجزائر،ج4، 1984، ص45.

[5] dapper : op.cit, p.177

[6] جمال قنان: **نصوص و وثائق**، المرجع السابق، ص، 90-91.

الجزائر الساحلية، لعدة أسباب منها:

- القضاء على نشاط البحرية الجزائرية؛
- إطلاق الأسرى و إلغاء الامتيازات، مما أدى بها إلى إبرام اتفاقيات مع هذه الدول. [1]

إذا يعتبر القرن السادس عشر للميلاد، و بأقل درجة القرن 17 العصر الذهبي للغزو البحري الجزائري، بالنظر إلى حجم قطع الأسطول المتزايدة، و كذا إلى حجم الغنائم البحرية التي كان يغنمها الرياس، و تعد المصادر التي تناولت أمر الغنائم البحرية قليلة و غير دقيقة، إذ تراوحت مابين المبالغة تارة، و بالأسطورية المقترنة بالخيال تارة أخرى، و لعل من باب اختيارنا للقرن 17 كموضوع للدراسة، جعلنا نستنتج أن جل المعلومات المتوفرة حول الغنائم لا تغطي كل الفترات، و تعطينا جزءا بسيطا من حجم الغنائم في القرن السابع عشر الميلادي، و قد أفادنا كثيرا الجدول الذي أعده **بن منصور** بالرجوع إلى ما كتبه **غراماي**.

- أنواع السفن:

السفن أو مراكب البحر، أهم وسيلة لتحقيق المكاسب، و النفوذ على سطح البحار، و السفن التي انتشرت في الفترة الحديثة بالجزائر عدّة أنواع، عرفت تطورا كبيرا كانعكاس إيجابي لدار الصناعة، أو الترسانة كما سبق و ذكرناه، أو نتيجة لعائدات الغنائم الحربية.

يذكر المنور مروش أن أهم السفن التي انتشرت في الجزائر، و التي أولاها الرياس اهتماما كبيرا هي: الفرقاطات و كوربيطات و سفن من نوع بريك[2]، و كانت تهم المراقبين الأجانب بالدرجة الأولى لأنها هي التي تشكل القوة البحرية الأساسية لأسطول الجزائر .[3]

" يضاف إلى هذه السفن عدة أنواع Grand champ و بالاعتماد على ما كتبه غرون شو" ،pinqueو بينكlanchon و لانشونkirlangurchأخرى أهمها: غواليت، كيشف، كيرلارجي

---

[1] نصر الدين سعيدوني: **الجزائر في التاريخ، ج4**، المرجع السابق، ص،45.

[2] المنور مرّوش: **المرجع السابق**، ص،403.

[3] نفسه،ص.403.

و كورفيت corvette وكيترcutter، فلوك flouque ،بومبارد Bombarde ،برقـــانتيBrigantin، شـــــيبكchebek، غواليـــــت Goëlette ، بـــــولاكر Polacre، ســــــبرونارSperonare ، و تارتانTartane،و تراباكولو Trabacolo.[1] أنظر الملحق الخاص بأنواع السفن" صـــور لأهـــم السفن النتشرة في الفترة".

انتشرت هذه السفن بشكل واسع في القرن 17 نظرا لمتانتها و قوتهـــا الناريـــة و قـــوة تسليحها[2] و لما نتكلم عن خصوصيات هذه السفن فإن " Grand champ" أوردها على النحو التالي:

– فرقاطة: Fregate

سفينة صغيرة جدا، ذات مجاديف، أحيانا مجّسرة و أحيانا مكشوفة، كان لها دور قارب في القرن 16 و حتى القرن 17، و أحيانا تسمى بالزورق الخاص بالسفينة، هناك فرقاطان: كبيرة لها 12 مقعدا و مجذفا، أما الصغيرة فلها مقاعد و مجذفين أي 12 مجذفا، ففي القرن 17 نصّب عليها مدافع، و زاد حجمها لتصل طاقتها إلى 40 رجلا.

أما في القرن 19، الفرقاطة سفينة كبيرة حربية تحمل من 40 إلى 60 فوهة–أي مـــدفع– من العيار الكبير.[3]

– الغليوطة: galiote:

شكلها لا يختلف عن السفن الشراعية الحربية، و لكن أصغر، و ليس لها حامية الجســـر، تتميز بالسرعة الفائقة[4].

و في وصف آخر للغليوط galiote حسب غرامون grammont: سفينة لا تختلف عن القادرغـــة galére من حيث الشكل و التسليح لكنها أسرع و أصغر.[5]

---

[1] Grand chomp.p : **le document relatif a course Tunis**, paris .op.cit.pp, 82-90.

[2] المنور مّروش، **المرجع السابق**، ص، 403.

[3] op:cit, p 84.

[4] ipidem, p 84.

[5] Grammont : **Histoire d'Alger**…op.cit., p.51.

– **القادرغة galére**: أو كما كانت تدعى بالعثمانية و هي سفينة مزودة بشراع له شكل مثلث يبلغ طولها حوالي 45 متر و عرضها 5.5 متر، تحمل هذه السفينة من 3 إلى 5 مدافع كبيرة في المقدمة إلى عدد من المدافع الخفيفة على الجانبين و هي سفينة ذات مجاديف طبعا.[1]

– **البركانطي brigantin**: سفينة صغيرة ذات مجاذيف لها ساريتين، كانت تعرف باسم فرجاطة لدى الجزائريين حتى القرن 18.[2]

أما حسب غرون شو "grand shamp": هي سفينة أصغر بقليل من الغليوط لها عدة جسور و لها شراع واحد و لها ما بين ثمانية و ستة عشر مقعدا يتسع لجذّاف واحد.[3]

– **غواليت goélette**: سفينة حربية كبيرة و تجارية مرتفعة قليلة عن الماء لها صاريتين منحنيتين إلى المؤخرة واحد مائل في المقدمة الغواليت المسلحة للحرب تحمل من ستة إلى ثمانية فوهة كبيرة للمدافع عدد منها يحمل بنادق منفرجة الفوهة.[4]

– **كيتش ketch**: سفينة ذات صاريين واحد كبير و الثاني بشراع، عادة حمولتها تتراوح من 100 إلى 200 برميل، يستعمل الكيتش ketch عادة كيخت أو سفينة للقنابل.[5]

–**كيرلاجي kirlangui**: لا توجد معلومات عن هذا النوع و غير مشار إليه في الكتب مما يجعلنا نخمن أنها لم تكن مهمة لعملية الغزو البحري و ربما إختصر عملها على الصيد أو غير ذلك.

–**لانشون lanchon** :هي الأخرى غير موجودة وهي تحريف لكلمة lancheاوتعني فلوكة كبيرة [6]

---

[1] planhol Xavier : **l'islam et le la mer**, peraim, paris, 2000, p.179 et 201
[2] Devoulx,A :**la marine de la régence d'Alger, in R.A.13**,1869,p.389.
[3] Grand shamp: op.cit.,p82-83.
[4] Ibid :p,84.
[5] Ibid :p,84.
[6] Grand champ: **le document relatif…op**.cit., pp.82-86.

–**بنك Pinque**: سفينة لها قاع مسطح، نوعا ما عريضة، تحمل من 200 إلى 300 برميل، لهـــا صواري تحمل صواري متينة، ولها مؤخرة لها جناحين، ومن أمام السفينة منقار طويل مكوّن.

– **بريك Brick ou Brig**: بارجة لها صاريين، تحمل شراعات مربعة، يستعمل هذا النوع من السفن للتجارة، كما يستعمل في أسطول حربي.

– **شبيك Chebek ou Chabek**: هو اسم لسفينة صغيرة، تنتسب قديما إلى عائلة السفن الشـــراعية الحربية، و من خلال صناعتها لها تشابها بالسفن من هذا النوع، صدرها بارز أكثـــر إلى الأمـــام، و مسلح "بجيزوم"قاطع طويل.

– **كورفيت Corvétte**: سفينة حربية أصغر من الفرقاطة، و شكلها العـــام يشـــبه الفرقاطـــة في الصواري و الشراع.

– **كيترCutter**: سفينة صغيرة، قصيرة، عريضة في الوسط و من الأمام، ضيقة في المؤخرة، غاطسة أكثر، حاملة للأشخاص المدنيين.

– **فلوكة Felouque**: سفينة صغيرة لها أشرعة و مجاذيف، تصنف في عائلـــة الســـفن الشـــراعية، الحربية، و عدد أشرعتها لا يزيد عن شراع واحد و عدد مجذيفها ما بين ستة إلى عشرة.

– **بومبارد Bombard**: سفينة صغيرة حربية، لها صواري تشبه الغليوط، مزودة بالقنابل، و التي تدل على اسمها "مقنبلة"، لها صاري كبير ذي أشرعة مرّيعة، و صاري بالمؤخرة يعمل شراعا واحـــدا، و في المقدمة شراع واحد كبير مثلث الزوايا.

– **بولاكر Polacre**: سفينة تشبه شكل بنك Pinque تحمل عموما ثلاث صواري بشـــراع واحـــد و مربعة الشكل، و أحيانا أخرى تشبه شبيك Chebek[1]، القاطعة المركبة على قمتها، و توجـــد

---

[1] Grand champ: **le document relatif…op**.cit., pp.82-86.

هذه السفينة في كل مناطق الحوض الأوسط للمتوسط.سفينة أنيقة جدا، و تحمل أشـــرعة كـــبيرة لتعطيها قوة في السير، تحمل أشرعة كبيرة مربعة الزوايا.

– **تارتان Tartan**: سفينة صغيرة تشبه **شبيك Chebek**، لها صاري واحد، و شراع و حبال على شكل أعمدة، لها شراع مثلث الزوايا في الأمام مربوط في القاطعة، و انتهت لتكون باخرة نقـــل و صيد.

– **تراباكولو Trabacolo**: سفينة تستعمل على ضفاف الأدرياتيكي، شكلها يشـــبه chessr marée بريطانية، و أكثرها له صاريان عموديان واحد مائل في الأمام، و شراع، كل صاري شكله شـــبه منحرف مفتوح هوائتين.

لم يهتم الأتراك العثمانيون بهذا الشكل، و كل ما تواجد عندهم من هذا النوع، إنما كان عن طريق النشاط البحري و الغزو، و في إطار الغنائم، و قد عرفت السفن الخاصة بالغزو البحري، تزايدا نتيجة للغزو و عائداته على شكل غنائم، والتي عمل الديوان على تنظيمها، والحفاظ علـــى تداخل صلاحيات الرياس حول تقسيمها.

3– ديوان البحرية:

لم تكن عملية الغزو البحري عملية عشوائية، و إنما كانت منضمة لها هياكلها، و مؤسساتها التي أضفت عليها طابع العملية الحكومية، البعيدة عن النرجسية و الأعمال الفردية. ففـــي إطـــار إعادة التنظيم الأساسية، لبنية الحكم أنشئت هيئات قيادية جديدة في البـــحرية، ستستمر إلى غاية 1830، و قد أخذت هذه الهيئات، وقتا كما كان للقائمين على إيجادها عدة محاولات لذلك[1]، و من بين أهم هذه الهيئات لتنظيم الغزو البحري و شؤون البحرية نجد:

---

[1] المنور مروش، **المرجع السابق**، ص، 400.

– ديوان الرياس:

يعتبر هذا الديوان من الهيئات الجديدة المنبثقة عن الديوان العام[1]،و تعود فكرة إنشـــائه أو مبادرة ذلك إلى **مزومورتو** فحسب رسالة للقنصل الفرنسي؛ مؤرخـــة بتـــاريخ 23 آفريـــل 1687، أن ميزومورتو جمع ديوان الرياس ثلاث مرات لمناقشة مسألة السلم مع فرنسا، ليـــدل بذلك على أن ديوان الرياس كان له نفوذ كبير في السلطة[2]، إضافة إلى أنه بالإستناد إلى تـــاريخ الرسالة، كان موجودا قبل ذلك، و إلا فكيف كانت له تلك المكانة.

– اختصاصاته:

يهتم ديوان الرياس بالشؤون الهامة المتعلقة بالغزو البحري، [3]كما اختص هذا الـــديوان بتطبيق العدالة على جميع أفراد البحرية، الذين تصدر منهم بعض الأعمال المخلة بالانضـــباط، أو التعدي على القانون[4]، فكان بمثابة محكمة الغنائم، و تركز نشاطه الأساسي حول الصفة الشرعية للغنائم، و القرار فيها، وكانت قراراته خاضعة لمصادقة الداي، الذي كان له الحق في نقضـــها[5] ليبين كيفية سير هذه المنشآت الجديدة، و مدى قانونيتها في تطبيق أحكام البحرية، و إلى جانـــب هذه المهام كان له حق تعيين شخص ما راسيا، و كان يرأسه وكيل الخرج. [6]

---

[1] **الديوان العام**: هو مجلس يضم قيادات الجيش و الرياس، يرأسه الحاكم العام و له صلاحيات مناقشة مشـــاكل الحـــرب و السلم أنظر: المنور مروش، **المرجع السابق**، ص،401.

[2] المنور مروش، **المرجع السابق**، ص، 400.

[3] نفسه.ص 401.

[4] L .Chaillou : textes pour servir à l'histoire de l'Algérie au XVIII siècle ; Toulon, 1979, P24

[5] من أمثلة ذلك: هذا المثال المستسقى من مراسلة القنصل الفرنسي بالجزائر، في سبتمبر1752: "إن وكيل الخرج لم يوافق على قرار المجلس العام للرياس؛ لأنه يتناقض مع العرف، و مع بنود الإتفاقية مع فرنسا، و قد أرسل القايد ليقدم تقريـــرا إلى الداي حول الموضوع، و يشرح له تناقض هذا القرار و بتجاوزاته، لما هو معمول به. و تبعا لهذا المسعى قرر الداي إرجـــاع سفينة الربان تالون..." نقلا عن المنور مروش: **المرجع السابق**، ص.401.

[6] المنور مروش: **المرجع السابق**، ص،401.

و لم تفتصر مهام الديوان على أمر الرياس، و إنما البث في المسائل الجارية؛ المتعلقة بنشاط طائفة الرياس، و بالخصوص تقرير مصير الغنائم و الأسرى؛ الذين كان يجلبهم الرياس، حيث كان يفحص السفن، و حمولتها و هوية ركابها، إن لم تكن تابعة لدول ليست تربطها بالجزائر معاهدات سلم، ما جعل الأوروبيين يطلقون عليها اسم مجلس الغنائم. [1]

و فضلا عن ذلك كان ديوان البحرية، يستشار قبل إقرار السلم أو الحرب مع دولة ما، و كانت أصوات الرياس في الغالب، هي التي ترجح الكفة لأحد الخيارين .[2]

كان يستدعي جميع الرياس، و يترأس جلساته القبطان رايس، و أحكامه تصدر وفق رأي الأغلبية، و بدون إستئناف، و كان يحضره كبار موضفي الدولة و هم:

1- **قايد المرسى**: و هو المسؤول عن الميناء، يعاين السفن الصادرة و الواردة و كان يختار لهذا المنصب احد الرياس المحنكين . [3]

2- **وكيل الخرج أو الحرج**: يعود إسناد هذا المنصب إلى أوال الديات و هو مذكور للمرة الأولى في مراسلة القنصلية الفرنسية في آفريل 1690 [4]، و عرف في بعض المصادر الغربية بوزير البحرية، وكان المسؤول وكان المسؤول الأول عن التمويلات من خشب وذخيرة و معدات [5] و القيم على أعمال دار صناعة السفن.

3- **خوجة الغنائم**: من مهامه بيع و جرد الغنائم، و قسمة دخلها بين المستحقين بعد أن اقتطع حق البايلك.[6]

---

[1] L. Chaillou : **textes pour servir à l'histoire de l'Algérie,** op,cit, P, 24

[2] Grament : **histoire d'Alger**…,op.cit.p127.

- plantet :**correspondance des deys d'Alger**…op.cit., pp2-3,31 et 34 - و أنظر أيضا:

[3] Tachrifat. Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, publié par A. Devoulx, Imprimerie du Gouvernement, Alger,1852.(1579-1700), éd. Bouslama, Tunis, 1981p22

[4] المنور مروش: **المرجع السابق**، ص، 410.

[5] hamdan hhodja: op.cit,p21

[6] tachrifat : op.cit,p21

4- باش و رديان باشي: الناظر العام لسجون الأسرى في مدينة الجزائر، و كان يشرف على الوقوف لاستعدادات سفر السفن، و توزيع عدد المنحرفين و الملاحقين الأسرى على متنها.[1]

و قد تمتعت هذه الطائفة في القرن السادس عشر بنوع من الاستقلالية إزاء سلطة الوالي، و لم تكن تنصاع سوى لأوامر زعيمها، لكن سرعان ما عرفت تنظيما كبيرا في القرن الموالي، و كانت كل القرارات تعود للوالي، و على العموم فإن الديوان و أمر البحرية عامة، كان لا بد له من طائفة تقوم على شؤونه، و قد عرفت هذه المجموعة بطائفة الرياس، و قد كانت أهم هياكل البحرية على الإطلاق.

4- طائفة الرياس:

تكونت البحرية الجزائرية منذ وصول الأتراك العثمانيون، إليها من القراصنة الذين التحقوا بخير الدين، و مع تعاظم دورهم، و تزايد أهميتهم للإيالة؛ كعصب للغزو البحري، حيث النشاط البحرية أنشئت طائفة الرياس، و التي أخذت من مرسى الجزائر قاعدة لها.

و مع تزايد نشاط الغزو البحري، شكلت هذه الطائفة المحرك الأساسي للإيالة، و ساهمت في شكل كبير في ثراء الإيالة[2]،و صاحب تزايد هذا النشاط مع تزايد حجم الغنائم، و عدد الأسرى خاصة بعد توسع نطاق نشاطها من المتوسط إلى الأطلس.[3]

مثل القرن السابع عشر أرقى عصور الغزو البحري في العصر الحديث، و كانت قد عرفت فيه أوج قوتها[4]، و للحديث عن أعداد هذه الطائفة فنستند إلى دوماي Dumay الذي قدر عددهم بحوالي أربعة آلاف رجل[5] أضف إلى هذا العدد مجموعات أخرى، عزّزت هذه الطائفة كالملاحقين و الذين كان أغلبهم مسيحيين و يهود مقيمين في الجزائر و كانوا يقومون بأدوار تقنية

---

(1) Ibid, p, 21.
(2) p. Boyar :**des pachas trimétaux à la révolution d'Ali khadjer Dey**, in.R.H. 244 ,1970.p.101.
(3) M. Belhamissi : **histoire de la marine d'algérienne(1516-1830)**, 2emm Ed ,1986, p.61.
(4) Grand champ , p.**une mission délicate en Barbarie ou XVII siècle, in R.T.30,1937**,pp.471-472
(5) Dumay : **projet pour l'entreprise d'Alger**, op.dit, p.3.

معينة (صناع السفن و المدافع، جراحون،ساعالجية،...الخ)[1] أضف إلى هذه الفئات أفراد الجند الإنكشارية و الطوبجية، و الأعلاج، و الكراغلة، و حتى الأندلسيين و عناصر أهلية أثبتت قدرتها، و كفاءتها في المجال البحري.

على الرغم من تعدد الفئات العرقـــية و عدم تجانســـها، إلا أن هذه الطائفة كانت موحدة روحيا بفضل الإسلام، التي ذابت في لبه كل النزاعات الفردية، و تغلب فيه الوازع الديني و الجهاد في سبيل الله ضد النصارى و أعداء الدين.[2]

و حسب المؤلف بن منصور Ben Mansour عند شرحه لهذه الفئة و تحديد أقطابها، يشير إلى أن السفن الخاصة بالغزو البحري كانت تضم طاقما منظما يتكون من ثلاث فئات رئيسية، يقدمها نور الدين عبد القادر في كتاب: صفحات من تاريخ الجزائر فيما يلي:

– **مجموعة القيادة:** الرايس، قبطان السفينة، و الباش رايس، مساعده، رايس العسة، ناظر الطاقم، الخوجة، كاتب الرايس، الباش جراح، الورديابي باشا، و ريّاس الطريق: مكلفون بالغنائم، و باش دمانجي، مدير الدفة.

– **مجموعة المناورة: تضم** ربابنة السفينة: و هم اليرفانجي و الغارده كايو و البريتاجي، و هم مـــن يتولوا أمر الأشرعة في السفن الثلاثية الصواري، و الدمانجي صلاّح الدفة، و الصندل رايس، رايس القارب، و المسترداش، معلم نجار، و القلفاط الذي يسهر على بدن السفينة.

و **العنبرجي** مسؤول مخزن المؤن، و الخزناجي مسؤول مخزن الذخيرة، و وكيل الخرج مســـؤول التموين، و كان أغلبية هؤلاء البحارة من الأعلاج و الأسرى المسيحيين .[3]

---

[1] المنور مروش: **المرجع السابق**،ص،413.

[2] Panzak **: les corsaires barbaresques**, op.cit, pp.20-21.

[3] نور الدين عبد القادر: **صفحات من تاريخ الجزائر، المرجع السابق**، ص، 50.

– **المجموعة القتالية:** و كانت تتكون أساسا من الوحدات الإنكشارية، تحت قيادة آغا برتبة بلوكباشي[1]، إلى جانب طوبجية تتولى أمر المدفعية في السفينة.

وتمتعت السفينة الخاصة بالغزو البحري؛ بمجلس إدارة مسخر يتكون من الرايس، و يساعده عدد من الضباط و آغا خوجة[2]،يسن الانضباط، و يقضي على الخلافات على ظهر السفينة

و قد ساهمت هذه الطائفة في تطور نشاط الغزو البحري بشكل كبير، فإلى جانب معرفتهم ببعض القواعد النظرية لفن الملاحة، كمعرفة حركة النجوم، و قراءة البوصلة، و اتجاهات الرياح و فهم الخرائط الملاحية أو الاهتداء بالجبال عند الحاجة[3]، كانوا معروفين بشجاعتهم، و في هذا الصدد يقول حمدان خوجة "... و هناك أمثلة رائعة عن استعداداتهم الطبيعية، و منهم من يتولون على السفينة هي رحلتهم الأولى، و هم يجهلون مبادئ الملاحة الأولية، و سيما أنهم يعرفون الجبال و قممها معرفة جيدة، و قد كانوا يتمكنون من التمييز بدقة بين نقطة و أخرى..."[4] ، و هذا إن دل على شئ إنما يدل على ذكاء هؤلاء الرجال و علمهم و استعدادهم للتكيف مع الحياة البحرية.

كما لم يكن الرياس بحارة عاديين بشهادة المؤرخين المسلمين، و منه ما نقله لنا السفير التمقروني[5] أثناء إقامته بمدينة الجزائر أواخر القرن 16 و بداية القرن السابع عشر حيث يقول:"... و رياس الجزائر موصفون بالشجاعة و قوة الجأش، و نفوذ البصيرة في البحر، يقهرون

---

[1] Panzak : **les corsaires barbaresques**, op.cit, p.59.

[2] كاتكارت جيمس لياندر: **مذكرات كاثكارت أسير الداي ، قنصل أمريكا في المغرب**، تعريب من الانجليزية إلى العربية، إسماعيل العربي، د، م، ج، الجزائر، 1982، ص،79.

[3] الشريف الزهار: **المصدر السابق**، ص،117.

[4] حنيفي هلايلي: **بنية الجيش الجزائري**، المرجع السابق، ص، 50.

[5] التمقروني، أبو الحسن على التمقروني: هو عالم مغربي، عمل سفيرا في بلاد أحمد منصور الذهبي (1579-1603) ذهب من المغرب الأقصى على رأس سفارة إلى إسطنبول، و بعد إقامة مطولة هناك حملته سفينة إلى الجزائر، حيث أقام أكثر من شهرين هناك في مدينة الجزائر، (من 08 ذي القعدة إلى 07 محرم) و له رحلة بعنوان **النفحة المسكية في السفارة التركية**، و يتحدث فيها عن إقامته بالجزائر، توفي سنة 1003هـ.

النصارى في بلادهم، فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير، و أعظم هيبة، و أكثر رعبا في قلوب العدو..."[1] ،و في ذلك يقول: حمدان خوجة:"إنهم كانوا يحاربون بشجاعة و إقدام موقنين بأنهم إنما يستشهدون في سبيل الله..."[2] و يعترف الكتاب الغربيون بتميز هؤلاء البحارة، حيث بهرتهم حنكتهم و شجاعتهم و نظامهم، و في ذلك يذكر هايدوHoëdo أنهم كانوا يبحرون من الفجر إلى الغروب خلال الشتاء، و الربيع دون خوف و يسخرون من السفن المسيحية كأنهم لصيد الأرانب.[3]

و يقول غرامون Gramment : أن رياس الجزائر لا نظير لهم في الحرب التي كانوا يضخونها و لم يقتصر الأسطول على الجهاد البحري و الدفاع عن الأسطول بل لعبت دورا في السياسة الأوروبية .[4] أما وليم شالر فيقول:" ...إن رياس الجزائر يتصفون بروح جرأة خارقة...".[5]

لذلك ساهمت هذه الفئة في ازدهار الغزو البحري بدرجة كبيره خاصة في القرن السابع عشر، الذي تعزز برياس عظام أمثال: **علي بتشين**، و **مامي أرنوط**، و **جعفر جنويز**[6]... و غيرهم، بالرغم من تمتع هذه الطائفة بنوع من الاستقلالية في القرن السادس عشر إزاء سلطة الوالي.[7]

و الثابت أن ديوان الرياس عمل دورا في توفيق وجهات النظر بين الرياس و أعضاء الديوان العام، حيث أن الديوان العام كان يوجه توجيهاته إلى القبطان رايس الذي كان مسؤولا عن

---

[1] مولاي بالحميسي: **الجزائر من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني**، ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، **ط** 2، 1981، ص.57.

[2] حمدان خوجة: **المصدر السابق**، ص، 155.

[3] عائشة غطاس: **العلاقات الجزائرية الفرنسية في القرن 17**، المرجع السابق، ص، 96.

[4] نفسه، ص، 96.

[5] وليم شالر: **المصدر السابق**، ص46.

[6] المنور بروش: **المرجع السابق**، ص361.

[7]Haedo :**histoire des rois**, op, cit ,pp.108et168

أنظر أيضا:

- p. Boyer : **Alger en 1645 d'après les notes de R.P.Hérault** in R.O.M.M.17, 1974, p21

تبليغها للرياس[1]، و بالتالي ساهم الديوان في القضاء على النزاعات و الفرديات التي مـــن شـــأنها تعكير الصفو العام للبحرية و الانعكاس السلبي على عائدات النشاط البحري.

[1] Fisher ;**G. légendé Barbaresque :Guerre ,commerce et piraterie en Afrique de Nord de 1415, à 1830.** Trad., et ammoté par F. Hellal, O.P.U, Alger, 2000, p.136.

المبحث الثاني

غنائم البحرية الجزائرية وعائدات الأسرى في القرن 17

1- غنائم البحرية الجزائرية :

في حديثنا عن الغنائم نستند إلى عدة مصادر هامة بداية من بن منصور و غراماي و حتى الأب دان، ولنوضح الأمر بدقة تناولنا الغنائم على شكل جداول، لتسهل عملية مراجعتها، والوقوف على حجم العائدات كل سنة على حدة، وتحليل كل جدول على حدى، ولنقدم للقارئ صورة واضحة، ولنكفي الباحث عناء البحث عن العائدات وربطها بسنواتها، وقد ورد العمل بالشكل الآتي:

الجدول رقم 01 :غنائم الجزائريين (ماي أكتوبر 1619). [1]

التواريخ	المراكب	الأسرى	الملاحظات
9ماي	مركب من مرسيليا	4(غراماي، برتغالي، جنويّ، فارس مالطيّ)	أخلي سبيل المركب، الطاقم و الركاب الفرنسيين
1جوان	4 سفن هامبورغيّة	عدد غير محدّد	احتجزت المراكب و الحمولة
5جوان	سفينتين هولنديّتين	–	احتجزت الحمولة، أفرج عن البحارة و أخلي سبيل السفينة الأولى على الفور و الأخرى في 12 جويلية
8جوان	مركب إسباني	40 إسباني	احتجزت المراكب و الحمولة
25جوان	سفينتين قادمتين من إسبانيا	بلجيكيين، اسبان و فرنسيين في خدمة إسبانيا	تابعيّة السفينتين و عدد الأسرى غير محدد، احتجزت السفينتين و الحمولة

[1] Ben Mansour, Op.cit, pp.141-143

من 1 إلى 10جويلية		160 صقلي و أسيرين فرّا من تونس	غارة مشتركة مع التونسيين على السواحل الصقلية، غنيمة ثمينة جدا
13جويلية	فرطاقة فرنسية	–	احتجزت الحمولة، أفرج عن البحارة و لكن الفرقاطة أفلتت
5 أوت	مركبين إسبانيين	28إسباني	احتجز المركبين و الحمولة
27 أوت	سفينة هامبورغيّة	17ألماني	احتجز المركب و الحمولة
31أوت	–	72إسباني	غارة على ساحل غاليسيا (Galicia)
6سبتمبر	–	19إسباني	غارة على سواحل غاليسيا و جزر الكناري (canarias)
15سبتبر	غليوطة إسبانية	25إسباني	غنيمة ثمينة أخذت من الإسبان، احتجز المركب.
16سبتبر	4 سفن على الأقل (فرنسية، بلجيكية، و إنكليزية)	–	كانت تحمل بائع إسبانية: احتجزت السفن و الحمولة
20سبتمبر	–	21كناريّ و العديد من الإسبان	غارات على سواحل إسبانية و جزر الكناري، احتجزت حمولة سكر
22سبتبر	مركب من طولون	–	افتدي الطاقم و المركب
29سبتبر	مركب من لاروشيل	–	أخلي سبيل الطاقم و المركب، احتجزت الحمولة
30سبتبر	سفينتين فرنسيتين، سفينة بلجيكية، و أخرى هولندية	–	احتجزت المراكب و الحمولة، أغرق طاقم و ركاب إحدى المراكب
6أكتوبر	سفينتين هولنديتين	–	احتجز المركبين و الحمولة
7أكتوبر	سفينة إنكليزية	–	احتجز المركب و الحمولة
8أكتوبر	–	24 ألماني و 35كناريّ	–

9أكتوبر	مركب برتغالي	36 برتغالي	
19إلى 26أكتوبر	مركبين برتغاليين	77برتغالي و 18إسباني	احتجز المركبين و الحمولة، غارة على الساحل الإسباني
المجموع: 25 مركب محتجز، 578 أسير جنسيته معروفة			

و في تحليلنا لهذا الجدول بالرغم من قصر الفترة الزمنية التي عالجها، إلا أننا نستخلص منه مادة هامة، فنلاحظ هذه الأشهر الستة تمكن البحارة الجزائريون من الاستيلاء على 25 سفينة و 578 أسير على أقل تقدير، يبقى هذا الجدول عموما ناقصا و فيه ثغرات زمنية لم تعالج، و لم تحدد لا غنائمها و لا عدد أسراها و تحديدا ما بين (12 إلى 26 أوت) و يضيف بن منصور جدولا آخر يبين فيه حجم الغنائم ما بين 1608 و 1618.

الجدول رقم 02: غنائم البحرية الجزائرية في الفترة (1608-1618).[1]

السنوات	المراكب	الأسرى	الملاحظات
1608	42	860	بعض الأسرى أخذوا و بيعوا خارج الجزائر
1609	36	632	-
1610	23	384	-
1611	20	464	-
1612	-	-	لا توجد إشارة
1613	16	230	بالنسبة لإيطاليا وحدها
1614	35	467	-
1615	-	-	لم ترد إشارة لهذه السنة
1616	34	767	-

[1] Ben Mansour, Op.cit., p.178

1617	26	1763	منهم663من جزر مادير (Madeira) البرتغالية
1618	19	1468	غزو لانزاروت(Lanzarote) و عدّة مواقع بجزر الكناري
المجموع	251	7035	بمعدل سنوي يقارب 28 مركبا و 781 أسير

إنه و بالرغم من كل ما قدمه بن منصور استنادا على كتابات "غراماي"، فقد بين أن مجمل ما غنمه الجزائريون لا يقل عن 251 مركبا و أكثر من 7035 مسيحيا تمّ أسرهم، إلا أنه و بالاستناد إلى مصادر أخرى نجد بعض التفصيل، و كذا نعالج فترات زمنية من هذا القرن لم يعالجها بن منصور في جدوليه.

يقول "غرا مون" في كتابه:" العلاقات بين فرنسا و ايالة الجزائر في القرن17 " إنه خلال الفترة الممتدة ما بين (1613-1621) استولى الرياس على 936 سفينة[1]، نجدها مفصلة في مرجع أمريكي لمؤلفه جيمس ولسن ستيفنس (James Wilson Stevens) كالآتي:

447سفينة هولندية، 193 فرنسية، 120 إسبانية، 60 إنجليزية، 56 ألمانية[2]، و يضيف غرا مون أنه في عام 1661، أخذ الرياس 12 مركبا إنجليزيا، 09 هولندية، و 12 فرنسية و إيطالية. [3]

أما الأب دان فقد ذكر في كتابه أنه في عام 1634 ارتفع عدد الغنائم إلى ما يقارب 600 مركب، و ما بين (1629-1634) استحوذ الجزائريون على 80 مركبا فرنسيا، منها ما غنم في مياه المتوسط و المقدر عددها بـ: 52 مركب كبّدت هذه العملية فرنسا خسائر قدرت بـ:4.752.000 ليرة.

---

[1] **M. D.** Gramment**: de Relations entre la France et la régence d'Alger ou xv siècle**, 1ére partie, in **R.A**.N°23, 1879, pp.99-100

[2] James Stevens, **An history and cerographical**…Op.cit.p.51-54

[3] Dan: Op, cit., p.320.

بعد كل الدراسات تأتي أهم دراسة في هذا المجال في كتاب المنور مرّوش: دراسات الجزائر في العهد العثماني، الجزء 02: القرصنة الأساطير و الواقع، الفصل الرابع عشر و الخامس.

الأول أسماه: الغنائم في مراحلها المختلفة سنوات الصعود 1580-1644، و الثاني بعنوان: الغنائم في مراحلها المختلفة لكن بعنوان: حركات المد و الجزر: 1645- 1699، ليقدم بذلك تفصيلا دقيقا و يكمل كل النقائص التي وردت في كتابات غيره، حاولت أن أورد تفاصيلها في جدول على النحو التالي:

الجدول رقم 03: سنوات الغنائم القصوى للبحرية الجزائرية .

سنوات الصعود: 1580-1644.[1]

-1 قـــــــــــوة صـــــــــاعدة: 1607- 1622	
الســـــــــنة	**الغنائم و أنواعها "طبيعتها"**
1608-1625	جملة ما أخذه الأتراك و الأهالي: 17 سفينته.
1608-1618	جلب إلى الجزائر 251 سفينة من الغنائم و 7035 أسير.
1613-1621	تم الاستيلاء على 936 سفينة. هذه تفاصيلها: 447من هولندا، 193 من فرنسا، 56 من البلاد الألمانية، 120 من إسبانيا، 60 من إنجلتـــرا، أكثر من 60 من مناطق بروفاتس. و لنغدوك الفرنسية.

[1] المنور مروش: **المرجع السابق**، ص212.

1616-1609	**المصـــــــــــدر**	مجمل ما أخذه الجزائريون 466 سـفينة إنجليزية.
1627-1616		في الإجمال: 216 سـفينة و أعيـدت لأصحابها بفعل المفاوضات مـن أجـل السلم.
1612-1638	خليل الساحلي	37 سفينة معظمها من السفن الضـخمة (قوارس و غاليونات) و أحيانا متوسطة (طرطان) قيمتها 5 ملايين قرش بالإضافة إلى السلع و الاسرى. [1]

الجدول رقم04: عائدات البحرية الجزائرية من 1619 إلى 1642.

1-2 سـنوات الغنـائم القصـوى:		
		من ماي إلى 26 أكتوبر 1619: 25 سفينة و 578 أسير يذكر كريكن 12 سفينة تجارية هولندية.
1620	المنور مروش	سنة استثنائية: 125 سفينة أخذها الجزائريون و في نفس السنة: 20 سفينة بلغت قيمتها 205000أيكي و أخذت 21 سفينة
1620	المنور مروش	قدرت مجموع الغنائم الفرنسية بـ 800ألف إيكي و عدد الأسر 500 أسير فرنسي. [2]

[1] خليل الساحلي: **الصراع بين قراصنة تونس و الجزائر و البندقية في ق17**، **المرجع السابق**، ص، 213.

[2] المنور مروش: **المرجع السابق**: ص 316- 317.

1623-1622	حسب وثيقة عثمانية سابقة الذكر	05 بوارج و سفن عظمى قدرت قيمتها بـــ 1700000 قرش و تم الاستيلاء على سفن : إنكليزية و فرنسية، و إسبانية و إيطالية.
1625-1624	الوثيقة العثمانية.	• غزو قاعدة بحرية في البندقية " بيراستووهي" و تم فيه غنم حوالي نصف مليون قرش. • و السنة أي سنة 22جوان1624 في عمليـــة مشتركة بين الجزائريين و قراصنة تـــونس" مـــامي و أسطى مراد" على نفس القاعدة قدرت غنائم هـــذه العملية بـــ: 100ألف إيكي. • 26-27 جوان: 03 سفن من راكوش "قاعدة البندقية"
1625		سفينة برتغالية عظمى و عدة سفن صيد 53 بحار و توغلوا إلى جزيرة Terreneuve نيو فولند و استولوا على 132 من البحارة و في طريق العودة أخذوا 9 سفن.
1626[1]		استولت سفن الجزائر و تونس على 18 سفينة محملـــة سلع فاقت قيمتها 1600قرش

[1] المنور مروش: **المرجع السابق**: ص. 118.

غنائـــــــــــــــــــــم متنـــوعة	
السنة	**الغنائم**
1630	20 سفينة قدرت قيمتها بـــ: 380ألف إيكي.
1933	ذكر المصادر حسب المنور مروش أنه تم أخذ 4 صنادل و 3 سفن كبرى مرسيلية أخذت إلى الجزائر و أن قيمتها تبلغ نحو مليونين من اليرات ترنوا.
1633	حسب الأب دان:تم غنم 80 سفينة فرنسية قيمتها 47752000 ليرة ترنوا و أسرى 342 فرنسية منهم 138 تركوا أحرارا.
1638-1694	في هذه السنة تم غنم غنائم مهمة[1]

غنائم متنوعة	
السنة	**الغنائم**
1630	23 سفينة هولندية[2]
1635	سفينة هولندية على متنها نبيل بندقي قدرت بـــ: 4000قرش و 150 جندي و كمية معتبرة من الذخيرة.
1636	سفينة برتغالية تجارية عظمى من نوع كاراك محملة ببضائع غالية من الهند.
1637	سفينة برتغالية تجارية ذاهبة إلى البرازيل و 05 سفن قادمة من الموانئ الألمانية
1639	سفينة من هامبورغ تحمل جنود الإسبان إلى نابولي.

(1) المنور مروش: المرجع السابق، ص، 234.

(2) نفسه: ص، 325 .

1640	فرقاطة من دنكارك قوية التسليح و كذا سفينة هولندية.
1642-1641	- سفينة حربية هولندية و سفينة من دنكرك. - سفينة هولندية محملة ببضائع نفيسة.

الجدول رقم06: غنائم البحرية الجزائرية في الفترة الممتدة من 1645 إلى 1699.

2- حـــــركة المـــد و الجزر 1645-1699 سنوات الركـــــــــــــــــود	
السـنـــــة	**الغنـــائم**
1645	07 سفن جزائرية في المياه البريطانية تأسر 240 و تأخذ غنائم كبيرة.
1648-1646	إنزال قوات السواحل الايطالية و البريطانية و أخرى أسرى .....
1649	غارات ثم تسجيل غنائم
1650	الاستيلاء على 3 سفن و عليها 150 شخص
1651	أسرى و هجمات متفرقة على مناطق إيطالية.
1652	الاستيلاء على سفينة انكليزية و هولندية محملة بالسلع الى البندقية و مركبين للحملات الممونة إلى نابولي.
1653	أخذ سفينة تحمل أصغة كاردينال و أسر 70 من رجاله.
1654	أخذ بارجتين من دنكرك فيها سلعة لفادش و سفينة ثمينة السلع قادمة من الهند و مركبا يحمل 80ألف قرش
1656-1655	17 سفينة مأسورة منها 06 سفن هولندية
1658-1657	سفينة مالطية+ سفينة محملة بالنقود الفضية و الذخيرة الحربية + 390مسيحيا+مركبين جنويين كبيرين.
1661-1660	أخذ الجزائريون للانجليز 62 سفينة في ستة شهور 04 فرقاطات عليها 400 أسير+ 06 مراكب جنوية + سفينة تجارية.

	02 أو 03 من كبريات الفن الفرنسية و الهولندية + سفينة محملة بالقمح للجيش الاسباني.
	أخذ قسمة مليونين من الليرات الفرنسية و ما لا يقا عن ال500أسير مسيحي. 1661=30بارجة جزائرية استولت على 12سفينة انجليزية و 09 سفن هولندية.
1663-1662	11 سفينة هولندية و انجليزية، 06 سفن اسبانية و 03سفن عائدة من الهند و 05 من البندقية و 04 جنوية و 03 فرنسية و 03 من نابولي. المجموع حوالي 30 سفينة.
1664	سفينتين من كاتاروا و في مارس أخذوا بارجتين عليها 80 شخصا منهم 04 فرسان من مالطة و 03 سفن انجليزية.
السنة	**الغنائم**
1665	عدة صنادل و مراكب أخذت في المياه الاسبانية + سفينة بندقية و اسبانية
1666 **عقد الصلح مع فرنسا**	سفينة ثمينة الحمولة من القافلة الهندية+بارجتين و 04 صنادل جنوية و أسر 70 في سواحل نابولي، سفينة ذاهبة من البندقية كانت للجنويين بها سلع تقدر بـــ40ألف إيكي و عدد من المركب و القوارب و كثير من الأشخاص.
1669-1667	حسب لاغازيت: سفينة إسبانية و قافلة من الهند و سفينتين إسبانيتين في إحداهما 8900 يورو (قطعة ذهبية و تطلق أحيانا على قرش 08 ريالات الاسباني و منه كلمة بوجو الجزائرية)+ سفينة من نابولي عليها 24 شخصا
1670 **فشل الصلح مع الانجليز**	05 سفن في أفريل ، ماي 1670 و بارجة هولندية.

1671-1677 صلح مؤقت الانجليز	سفن كبرى حسب لاغازيت محملة بسلع بالغة القيمة. **1673**: 03 سفن من الدنمارك و هامبورغ و سفينتين هولنديتين كانت إحداهما محملة ب 1500 برميل من الكحول المقطر و خمر بوردو. [1]

السنة	المرجع	عدد السفن	بقيمة بالقرش الاسباني	متوسط قيمة كل سفينة
1674	D'evoulx	38	79.207.44	2084
1675		83	278211.50	3352
1676		85	83010	1431
1677		12	8127	677
1679	عقد الصلح مع هولندا طبق في 1680			
1680	أخذت سفن إسبانية و برتغالية و بندقية وجنوية			
1681	750.000إيكي أواخر 1681 اسر 29 سفينة فرنسية تبلغ قيمتها			
1683	المعطيات عن الغنائم نادرة			
1684	24 سفينة و 400 بحار قيمتها 20000قرش			

السنـــــة	الغنـــيمة
1685-1685	- 60 سفينة بعضها من أكبر البوارج، إستولى عليها الجزائريون. - 32 سفينة عليها 350 بحارا، و09 سفن إسبانية، و04 جنوية، و03 برتغالية
1687	13 سفينة وعدة أسرى [2]

[1] المنور مروش: **المرجع السابق**، ص، 339-341.

[2] نفسه: ص، 330-349.

1687	- 13 سفينة وعدة أسرى - 03 سفن تجارية هولندية حسب القنصل الفرنسي: 23 سفينة عليها 469 مسيحي أسير، أكثرهم إسبان وهولنديين.
1688	- 375 أسير فرنسي منهم 85 أسر في بداية 1688 - 19 سفينة فرنسية
1689	- أخذ 280 جندي إسباني وجملة من الغنائم المتنوعة - 1690: تاريخ معاهدة الصلح مع فرنسا، بلغ عدد الأسرى 700 و 800 أسير.

السنـــــة	الغنيـــمة
1690	- عدة سفن تجارية هولندية، و بارجة جنوية و 12 سفينة صغيرة.
1691	- 10 سفن برتغالية وجنوية، وهولندية ودانماركية.
1692	- 12 سفينة هولندية، وبوارج برتغالية، وجنوية، و 1435 أسير فرنسي، و 30000 قرش قدمها الإسبان لفدية أسراهم.
1693	- سفينة من أصل مجهول، كارافيل برتغالية، و03 سفن سفن إنجليزية، و 100 ألف قرش لإفتداء الأسرى.
1694	- فرقاطة هولندية و32 بحار، وبارجة كاتالانية، و سفينة بندقية لها 34 مدفع. - سفينة مالطية و 04 سفن إنجليزية . - هدايا من الإنجليز: منها 75 برميل بارود وألف قذيفة، و500 صندوق قنابل يدوية و مسدسات.
1695	- الإستيلاء على سفينة هولندية عليها 63 شخصا و 24 مدفعا.
1697	- الإستيلاء على سفينة هولندية تحمل 10000 قنطار من الحديد، والخشب.

	- سفينة برتغالية عليها 4000 قنطار من السكر، وسفينتان من جنوة و كارافيل برتغالية.
1698	- 06سفن منها سفينة هولندية، وأخرى برتغالية بسلع عالية القيمة.
1699	- 03 سفن هولندية - سفينة من جنوة، وأخرى برتغالية وعدة سفن أخرى من المحي.

من خلال تحليلنا للجدول نلاحظ أن الغزو البحري للجزائر، حافظ على حيويته، و نشاطه طيلة فترات القرن 17 حتى في آخر فتراته التي أثرت فيها خاصة معاهدات التقارب؛ التي أشرنا إليها سابقا، و التي سنأتي عليها بالتفصيل في الفصل الرابع، و بالتالي حافظت الجزائر على مداخليها من الغزو البحري، و ما يدره عليها من أرباح للمحافظة على قوة أسطولها، لكن المتعب لمراحل الغزو، يجد أنه بالرغم من سنوات العجاف الأخيرة التي مر بها القرن، إلا أنه فاق مدخول القرن الموالي، حيث و على سبيل المثال: كما سبق و أشرنا أنه في غضون عشرين يوما 20 في عام 1656، أسر الجزائريون ستة عشر مركبا في المياه البرتغالية وحدها كان على متنها حوالي 500 رجل و امرأة، في حين أنه في سنة 1727 لم يغنم البحارة الجزائريون سوى 25 مركبا و 249 أسيرا في عام كامل. [1]

تقلصت عائدات الغزو البحري تباعا، و شكلت معاهدات السلام، التي أبرمتها الجزائر و دول أوربا مشكلا و عائقا كبيرا لها، فالنشاط البحري و بالرغم من تقلص غنائمه، إلا أن عائدات افتداء الأسرى بقيت قائمة ما أبقى على حيوية المداخل هؤلاء الأسرى الذين شكلوا جزءا لا يتجزأ من غنائم البحرية في ق 17.

---

[1] Karieren, op.cit ,P 99

2- عائدات وعدد الأسرى في القرن 17:

تميز التاريخ الحديث خاصة (ق 16و 17و 18) بانتشار ظاهرة القرصنة - الغـــزو البحـــري- في حوض البحر الأبيض المتوسط، من الصنفين الإسلامي و المسيحي، حيث أصبح الأسر آفـــة عالميـــة، و الأسرى بضاعة للتفاوض و التناور و الاتجار، و الاستغلال الإنساني، خاصة في العالم المســـيحي، الذين في أقل من أربعة قرون أسر و اشترى، و باع، في ظروف قاسية خمسون مليونا من البشر، إلى درجة أنها اعتبرت أكبر جريمة لم يرتكب مثلها ضد الإنسانية [1] و بدرجة اقل مارس المسلمون الأسر كرد فعل، و معاملة بالمثل للأوربيين عامة.

و بسبب كثافة النشاط البحري، شكلت هذه الفئات أي -الأسرى- السلعة الأكثر رواجـــا في الجزائر و لقد كانت الجزائر في القرن 17 تعج بأعداد هائلة من الأسرى، بلغ عـــددهم حســـب بعض التقديرات الواردة في المصادر الغربية **عشرات الآلاف**، و لكن الطابع الذي يميل إلى المبالغة في المصادر الغربية، يجعلنا نقف وقفة مشكك في هذه الأرقام. فبين نهاية القرن السادس عشر، و العقـــد الثاني من القرن السابع عشر، ارتفع عدد الأسرى تدريجيا نتيجة النشاط المكثف للبحرية الجزائريـــة، و حسب التقديرات فقد يوجد بالجزائر ما بين 15 ألف و 20 ألف على أكثر تقدير. [2]

و يذكر احد الأسرى البرتغاليين الذي يدعى **ماسكارينياس** (1621-1624) أنـــه كـــان يوجد بالجزائر 8000 أسير مسيحي، و لو لم يصاب الكثير منهم بالطاعون لكانوا أكثر بكثير، [3] في حين يرى المنور مروش أن سنوات الازدهار في عدد الأسرى، كانت ما بين 1620 و ما بعد، على العموم فقد بلغ عدد الأسرى عام 1681 أكثر من 8000 أسير انكليزي فقط، يرتفع هذا العـــدد تدريجيا خلال هذه السنة بعد اسر 3000 بحار انجليزي. أما عدد الأسرى الهولنديين فقد فاق 590، أسير أما الفرنسيين فقد انحصر ما بين 700 و الـــ 800 أسير في مدينة الجزائر وحدها.

---

[1] G. kay : **the shamefile trad.- cité par vekrouf** : **une amitié orageuse Ed**. A. Michel 1987, p . 28.

[2] Ben Mansour, op cit, p. 139.

[3] المنور رموش: المرجع السابق، ص، 334 - 336.

وتحديدا [1] و إذا تتبعنا كل المصادر و حسب ما سنوضحه في الجدول الآتي، فإننا نصل إلى عدد تقريبي يتراوح بين 10000 و 12000 أسير.

إلا أن عدد الأسرى بدا بالتراجع منذ ذلك الوقت تقريبا بالموازاة مع عدد السكان، و في سنوات ازدادت فيها الكوارث و الأوبئة و الأمراض، حيث سجل مبعوث النائب الرسولي **فيليب لوفاشي Felipe Lovacher** بالجزائر وجود ما يقارب 8000 أسير مسيحي في عام 1698 [2]، و بعد الوباء الذي أصاب الجزائر عامي 1633 و 1654 ذهب ضحيتها ثلث سكان الجزائر و نصف، و انخفض العدد إلى 5000 أسير فقط، و هذا حسب المصادر الفرنسية[3].

و عاد نشاط الغزو ليتنفس تدريجيا، و ينتعش معه عدد الأسرى، خاصة في عهد **الحاج علي آغا و عهد الدايات الثلاث الأوائل**[4] لكن مع انحطاط الغزو في نهاية القرن ،17 تراجع عدد الأسرى بشكل أسرع، إذ تراجع العدد إلى 4000 أسير فقط في عام 1693، و تراجع إلى 2600 أسير سنة 1680 [5] وهذا ماسيبينه الجدول الموالي:

---

[1] Mascarenhas, op, cit, p .7
[2] dumay, **projet pour l'Enterprise d'Alger**, op, cit, p 4
[3] Abbé. bombard **: les vicares apostolique de Tunis et d'Alger**, in **R .T** , 1894, p388
[4] Delphin : **histoire de pachas** …. in **R.A**, avril – juin 1922. P 210
[5] Gramment : **histoire d'Alger** …., op, cit, p, 269

الجدول رقم 07: عدد الأسرى بالجزائر حسب المصادر الأوربية (1580-1729)[1]:

السنة	المصدر	عدد الأسرى
1619	غراماي	35000-32000
1625	سالفاغو	25000
1634	الاب دان	25000
1638-1631	فرانسيس نايت	60000
1640	جوزي دي تامايو	40000
1640	ايمانويل دراندا	40000-30000
1656	صانصون دابفيل	40000-30000
1660	دافيتي (طبعة روكولس)	35000
1660	لويس دوماي	5000
1662	الاب أوفري	12000 كاثوليكي
1665	دو فال	أزيد من 40000
1671	الاب لوفاشي	14000
1675	الفارس دارفيو	12000-10000
1675	ج.ب.	18000
1678	دو فركور	30000-20000
1683	مانسون- ماليه	40000-35000
1684	بتيس دي لاكروا	35000
1693	لورانس(أرشيف« De propagande fide »)	4000
1698	لورانس نفسه	2600

[1] نقلا عن:

- Cresti, « **quelques réflexion** … », Op, cit ., p, 159.
- Ben Mansour, Op, cit ., pp, 138, 140.
- Lanfreducci & Basio, Op, cit ., p, 540.
- Dan, Op, cit ., p, 318.
- Knight, Op, cit ., p, 51.
- d'Avrieux Op, cit ., p, 225.
- G.P., Op, cit ., p, 91,92.

و مع تراجع عدد الأسرى، ارتفع ثمن الافتداء بداية من النصف الثاني من القـــرن الســـابع عشر، كما بينته الأرقام التالية:

1644: 155 ريال (حوالي 465 ليرة فرنسية)

1662: 500 فلورين .[1]

1666: 600 فلورين.

1683: 750 ليرة فرنسية .

1685: 800 ريال (حوالي 720 ليرة فرنسية).

نلاحظ أن سعر الأسرى أو افتدائهم تضاعف مرتين، أو ثلاث مرات، مما دل على تراجع نشاط الغزو البحري للجزائر في القرن السابع عشر، ويعود هذا لعدة أسباب، سنبينها في المبحث الموالي، وكانت عملية التعامل مع الغنائم، علية جد منظمة، تحافظ عليهـــا كمـــدخول للدولـــة، وتوزعها بالتساوي على مستحقيها، والمساهمين في جلبها، و كانت تتم على النحو الآتي:

3- طريقة التعامل مع الغنائم:

يتم التعامل مع الغنائم بعناية و بكل دقة، فعند وصولها توضع في مخازن قرب باب الجزيرة، بعد ما يتم عدها وجردها، أما الأسرى فيودعون في سجن الباشا، حتى ينتظر بـــيعهم في ســـوق النخاسة بالمزاد العلني في البادستان (سوق النخاسة).

و تتم عملية توزيع الغنائم على النحو التالي:

1- استخلاص حق البايلك و المتمثل في ثمن الأسرى و البضائع؛

---

[1] **فلورين**: عملة هولندية قيمتها تقارب الليرة، أنظر: المنور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهـــد العثمـــاني، العملـــة، الأسعار، المداخيل**،ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009. ونجد في الكتاب معلومات قيمة عن كل مايتعلق بـــالعملات وأنواعها وتطوره.

2- يقسم المبلغ بعد ذلك إلى قسمين، نصف لأصحاب السفن، و النصف الأخر يوزع على أفراد السفينة بحسب رواتبهم

- الرايس: له 20 سهما؛

- الباش الرايس(النائب): خمسة أسهم؛

- الأغا و الطوبيجي (المدفعجي): ثلاثة أسهم؛

-الأسير المسيحي (الذي يستعمل في الغزو): سهمين؛

-الإنكشاري+ الأهلي (المرتزق): سهم واحد. [1]

في حين البضائع تباع في أسواق المدينة، و يجد جزء منه طريقه إلى الدول الأوربية من جديد، بواسطة التجار اليهود، أما الأسرى فقد كان يقوم بشرائهم تجار متخصصون، يجنون أرباحا مضاعفة في المتاجرة بهم، و في هذا الصدد يذكر الشريف الزهّار: " ... و كانت الغنائم تباع بباب استان، فيقع للتجار ربح قوي ووفير و كان السماسرة ينادون على الأسرى، و قيمة كل أسير مايتا(كذا) دورو، فكان الناس يملكونهم مدّة ما أقاموا أسارى، فإذا أتى وقت الغداء **يفتدونهم بـــ: ألف دورو لكل رأس.....** " . [2]

و**خلاصة** لما تقدم فإن عائدات البحرية، من غنائم وأسرى، كما عرفت تطورا وتزايد في المداخيل، بدأت تعرف تراجعا، متدرج بوتيرة بطيئة نحو التقهقر، وساهم في هذا الضعف عدة عوامل؛ منها من كان انعكاسا لأحداث سياسية عرفتها الجزائر؛ نتيجة عدم استقرار نظام الحكم فيها طيلة القرن السابع عشر، وأخرى تعود لأوضاع داخلية، ودولية، وحتى طبيعية، كما سنبينه في المبحث الموالي .

---

[1] G.P., Op, cit ., pp, 108. 110.

[2] الزهار أحمد الشريف: **مذكرات نقيب الإشراف، الحاج أحمد شريف الزهار**، نشر و تقديم أحمد توفيق المدني، ش و. ن. ت، الجزائر، 1980، ص. 27.

المبحث الثالث

عوامل ضعف البحرية الجزائرية في نهاية القرن 17

القرن السابع عشر، عصر التفوق البحري لإيالة الجزائر وسيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط وعبورهم المحيط الأطلسي، إلى إسلندا والبلطيق.[1]

وبفضل هذه القوة استطاعت أن تصبح القوة الأولى بحريا في المتوسط، فكما يذكر صاحب **تحفة الجزائر** "....كانت لها اليد الأولى في البحر الروسي، وكانت بعوثها وغوازيها كثيرا ما تشمل الثغور الإفرنجية بالخشف والدمار.... ".[2]

قوة البحرية الجزائرية والتي أجمع المؤرخون على بلوغها درجة كبيرة من التطور عرفت عصرها الذهبي في القرن**17**، وبشهادة السفير الانجليزي **كتونغهام** "**COTTONGHAM**" والذي قال "... إن قوة وجرأة قراصنة شمال إفريقيا هما الآن على هذا النحو من الضخامة سواء في البحر المتوسط أو المحيط الأطلسي، وأشهد أن لم أعرف في حياتي شيئا قد جلب إلى البلاط الاسباني الأسى العميق والخراب الكثير غير هؤلاء القراصنة ...".[3]

بقيت هذه القوة موجودة إلى غاية حلول النصف الثاني من القرن 17، وتحديدا في سبعينيات من القرن، بدأت وحدات البحرية الجزائرية تتناقص، فلم تعد تتجاوز ثلاثين سفينة ذات أحجام مختلفة .[4]

وعلى العموم عرف الوضع السياسي في الجزائر خلال الوجود العثماني، مشاكل سياسية، جعلته يتسم بعدم الاستقرار والاضـــطراب وتوالي عدة أنظمة على الحكم من بيلربايات، باشـــوات،

---

(1) عائشة غطاس، **العلاقات الجزائرية الفرنسية في القرن 17**، المرجع السابق، ص، ص، 30 15.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

آغوات، دايات، وهذا راجع إلى طبيعة النظام التركي أساسا والذي تميز بالسطحية، وكذا الصراع الدائم بين الانكشارية و الرياس، والذي أدى إلى توالي أربعة أنماط من الحكم[1]

وأخيرا نظام الدايات ما بين 1671-1830، وبالتالي استحق هذا القرن لقب الاضطراب السياسي.

كما ساهمت عدة مشاكل أخرى في هذا الاضطراب من جهة والتأثير السلبي على الجهاد السري من جهة أخرى أهمها:

1 – ظاهرة شراء المناصب وتدخل الانكشارية:

ميزت هذه الظاهرة طيلة فترات الحكم العثماني وكانت المناصب تقترن بتقديم الهدايا من قبل الولاة إلى الصدر الأعظم وكبار الديوان في الأستانة.[2] أو كان المنصب يخضع لمبدأ من يدفع أكثر[3] أو تشترى في الغالب بطريقة غير مباشرة عن طريق الرشوة.[4]

أما الانكشارية فبدأ تدخلهم وتنفذهم في الحكم تدريجي، وبدئوا يقحموا أنفسهم في القضايا السياسية، وهذا راجع لعدة عوامل منها: عدم قبول أي تأخر في دفع أجورهم[5] وكان مصير

---

[1] تميز النظام السياسي للجزائر في العهد العثماني بالاضطراب وتعدد أنماط أنظمة الحكم والذي مر بالمراحل التالية:

1- مرحلة الفتح : 918-924 هـ / 1512-1518.

2- مرحلة البيلربايات: 924-995 هـ / 1518-1571.

3- مرحلة الباشوات: 925-1068 هـ / 1571-1659.

4- مرحلة الآغوات: 1069-1081هـ / 1659- 1671.

5- مرحلة الدايات: 1081-1246 هـ /1671-1830.

[2] Novelle relation de l’intérieure de sérail du grand seigneur, olivier varennes, paris, 1675, pp. 156-157.

[3] كارل بروكلمان:تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريف نبية فارس ومنير البعلبكي، ، بيروت ط،11، 1988، ص، 475.

[4] محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط، 1، دار بيروت المحروسة، 1995، ص. 242- 244.

[5] عائشة غطاس: المرجع السابق،ص ص 15-20

كل من يتأخر في دفع أجورهم مصيره الموت أو الخنق أو النفي[1] وهذا ما حدث مع الباشا يوسف في 1642 والباشا محمد بوريشة عام 1644 وكانت نهايتهما الطرد إلى اسطنبول، ولم يستطع الباشا علي هو الأخر الاستمرار في الحكم أكثر من سنة واحدة وعزل في سنة 1645[2]

وفي الأخير وضع أوجاق الانكشارية حدا لنظام الباشوات 1659 وتعويضه بالأغوات، وكان أول أغا عين على رأس إيالة الجزائر هو خليل أغا، وفي ظل استفحال تدخل الانكشارية في الشؤون الداخلية والخارجية للبلاد فقررت طائفة رياس لبحر التخلص من نظام الأغوات نهائيا، وذلك لإحساسها بالخطر الذي يهددها من جهة، وتدهور وضعيتها البحرية من جهة أخرى، فعوض هذا الأخير بنظام الدايات الذي دام من 1671-1830[3]

2- المشاكل المالية و الثورات والانتفاضات الشعبية:

بدأت هذه الظاهرة بشكل جدي أواخر القرن 16 وبداية القرن 17، [4]وهذا كان لزاما على رياس البحر تقسيم عائدات الغزو البحري للولاة، كغيرهم من القبائل، وضرائب الجماعات الحرفية والرسوم الجمركية، والإتاوات. [5]

وعرف القرن السابع عشر تزايد مشاكل الولاة المالية وازدادت حدة بسبب تراجع موارد الإعالة، وهذا يرجع إلى الخلل الكبير في جباية الضرائب، نتيجة كثرة الفوضى والثورات مما صعب العملية بداية من 1627[6] أما الغزو البحري أعتبر مصدر الدخل الأساسي للخزينة حسب أهم المصادر الغربية، فساهم بنسبة الخمسين وأحيانا أكثر، بالرغم من مرورها بسنوات العجاف وقلة الغنـــائم،

---

[1] ابن ميمون: **التحفة المرضية في الدولة البلداشية في بلاد الجزائر المحمدية**، تقديم وتحقيق،محمد عبد الكريم، ش، و، ن، ت، الجزائر ص. 25.

[2] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص20-30.

[3] (m)Kaddache: **l'Algérie durant la période ottomane**, o.p.u. Alger. 1991. P24.

[4] طقوش: **المرجع السابق**، ص.592.

[5] Ben Mansour: op, cit, pp.219-223.

[6] Rouard de card: **traites de la fronce avec les pays de l'Afrique du nord**, paris, 1906, p.83-84.

إضافة إلى استدعاء الرياس للمشاركة في حروب الدولة العثمانية مما ساهم في إضعاف وحداتها ونشاطها مع مرور الوقت، وبالكاد كانت تكفي المداخيل لتجهيز وصيانة السفن. [1]

كما شهد النصف الأول من القرن 17 انتفاضات وثورات شعبية يمكن حصر مجالها الزمني ما بين 1627 إلى 1648، وهذا راجع إلى رغبة الايالة في بسط نفوذها على كامل تراب البايلك ومن أهم هذه الثورات:

- **ثورة تلمسان 1627**.[2]

- **ثورة ابن صخري**: 1638 بالجنوب الشرقي الجزائري ودامت إلى 1648.[3]

امتدت هذه الثورات والفوضى إلى مناطق عديدة، وأصبحت تقنية المرض المعدي، ولم يترك شخص أو قبيلة لها أول مشكل مع النظام إلا وحاول استغلال الوقت ذاته لتصفية حسابه، الأمر الذي ادخل القائمين على نظام الباشوات يمهدون لقلب النظام، لإقناعهم بفشله وتسليم السلطة لقيادة قوية وكفؤة، وهذا ما كان بعد انقلاب الأغوات

دور الدولة العثمانية في عرقلة الغزو البحري:

من خلال العنوان يظهر وكأن الدولة العثمانية ليست مركز الحكم الذي تعود إليه الجزائر في كل قراراتها، وإنما دولة معادية ولكن أردنا من خلال هذا العنوان أن نبين بأن مجموع الفرمانات التي كانت تصل رياس البحر، وخاصة المتعلقة بالنشاط البحري، من طرف الدولة العثمانية تبيّن من خلالها أنّ سياسة الدولة العثمانية اتجاههم تعرقل عملية الغزو البحري لديهم حيث ارتبطت الدولة العثمانية بمعاهدات وامتيازات مع الدول الأوروبية.

---

[1] Dan: op, cit, p. 83-84.
[2] Knight: op, cit, pp, 69-74.
[3] جمال قنان: نصوص ووثائق، **المرجع السابق**، ص71-73.

3- تراجع دور الدولة العثمانية وتبعاته على الجزائر:

كانت أولى النكبات التي ألمت بالدولة العثمانية في العقود الأولى من القرن السابع عشر في بلاد الكرخ[1]وأذربيجان والعراق على يد الصفويين، ضف إليها حركات التمرد في كل من الروميلي وحتى الأستانة.

وقد تعرضت الدولة العثمانية بداية من القرن السابع عشر إلى إختلالات على مستوى السلطة، حيث شوهد تنفذ النساء في بلاط الحكم، عن طريق إصدار القرارات أو التدخل فيها من جهة أو عزل أو حتى الإشارة بالقتل على أغوات أو موظفين سامين من جهة أخرى.

ومن أمثلة ذلك من بداية القرن السابع عشر[2]قامت السلطانة كوسم زوجة أحمد الأول توجيه السياسة العامة للبلاد في عهد ابنها مراد الرابع (1623-1640)، وبلغ الأثر ذروته في عهد السلطان **إبراهيم الأول**[3] **(1640-1648)**[4]

كما شهد البلاط العثماني هزات عنيفة نتيجة تدخل أوجاق الانكشارية في السياسة الداخلية للبلاد، ووصل بهم الحد إلى عزل أو قتل السلاطين وهذا ما حدث للسلطان عثمان الثاني في سنة 1622 وكان لهذا الأمر أصداء كبيرة في ولايات الدولة. [5]

كما أن فقر خزينة الدولة الأم نتيجة حربها في جزيرة كـــريت، عام 1645 جعل المشـــاكل

---

[1] **الكرخ**: جورجيا حاليا.

[2] ظاهرة تدخل الزوجات وأمهات السلاطين لم تكن ظاهرة مست القرن السابع عشر فقط، لأن حيثيات بدايتها تعود حتى إلى آخر القرن السادس عشر، حيث دب الضعف و هزالة الشخصية لدى السلاطين ومن أمثلة ذلك في عهد محمد الثالث (1595-1603) حيث تدخلت أمه السلطانة صفية في تعين الصدور والنظام

[3] لقب هذا السلطان بالمعتوه.

[4] الشناوي عبد العزيز: **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليه**، 2ج، مكتبة الأنجلو المصرية، القـــاهرة، 1984، ج1، ص. 630.

[5] بحيث شهرت العديد من ولايات الدولة: حيث وعلى سبيل المثال أشهر والي طرابلس الشرق انفصاله، وقد استمرت الفوضى و اللااستقرار طيلة 18 شهرا، للمزيد أنظر: فريد بك: **تاريخ الدولة العثمانية العلية**: تحقيق د. إحسان حقي، ، دار النفائس، ط.2، بيروت، 1983، ص.279.

تتفاقم خاصة فيما يخص دفع أجور الانكشارية[1]

وعليه فغنه حتما كانت هذه الأخبار ترد إيالات الدولة، خاصة الجزائر منها، واظهر مدى الفساد والفوضى والاضطرابات مما يجعل الأمر داخل الايالة يعيش هو الأخر فوضى تنعكس سلبا على التنمية والدخل والسياسة والتجارة والغزو البحري عامة.

وأخيرا لم يبق لنا سوى أن نسلط الضوء على واقع المجتمع الجزائري في القرن السابع وما مدى مساهمته في استقرار ورخاء وازدهار الغزو البحري.

4- الانعكاسات السلبية لواقع المجتمع الجزائري خلال القرن 17:

تشكل المجتمع الجزائري خلال التواجد العثماني في الجزائر، من مجموعة كبيرة من التشكيلات البشرية يمكن حصرها في الطوائف التالية: السكان الأصليون والبرانية (ومنهم: البساكرة والجيجليون والأغواطيون وبنو ميزاب) والأسرى والأرقاء والاعلاج المهتدون[2]،

أما فيما يخص العدد العام لا يمكن تحديده نظرا لعديد من الهزات والكوارث الطبيعية التي ألمت بالبلاد خاصة القرنين السادس عشر ونجده أكثر خلال القرن السابع عشر ومن أهم هذه الكوارث نجد:

-الزلازل:

عرفت الجزائر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر هزات أرضية عديـــدة، وتســـببت في الكثير من المرات في الخراب التام للبلاد مثل زلزال عام 1632[3] وهزات أخرى ضربت الـــبلاد في 1639 وفي ربيع 1662 فادى هذا إلى غرق إحدى عشر سفينة وعدد من الغنائم بالميناء.[4]

---

[1] Mantran: **histoire d'Istanbul** ; op ; cit, p.247.

[2] للمزيد أنظر، **عائشة غطاس**: الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص.55.

[3] جمال قنان: **نصوص ووثائق، المرجع السابق**، ص.227.

[4] Grammont: **histoir d'Alger**… op, cit.p.277.

في 1639 وفي ربيع 1662 أدى هذا إلى غرق إحدى عشر سفينة وعدد من الغنائم بالميناء[1] جدد فاغرق هذا الأخير عواصف هوجاء وأمواج عنيفة.

ويعود الزلزال ليضرب الجزائر من جديد في سنتي 1665 و1676 وهذا الأخطر الذي دام شهور وكانت أضراره وخسائره كبيرة على المدينة ومبانيها ومصانعها[2] وحتما ستكون البحرية أهم القطاعات المتضررة نتيجة عدم الاستقرار وكذا بتحطم البنى التحتية، كما أن الملاحة تتأثر بسوء الأحوال الجوية مما يجعل الغزو يدخل في ركود كبير

– الطاعون:

من اخطر الأمراض وأكثرها فتكا وانتشارا، وإلماما بالأمم منذ أقدم العصور، أما الدولة العثمانية فقد فتك بها هذا الوباء من القرن 17 وإلى غاية القرن 19 وكانت الجزائر من أهم الولايات التي فتك بها هذا الوباء وأدى إلى حدوث أزمات ديموغرافية أثرت على البناء الاجتماعي العام للسكان في الجزائر وضواحيها، وفيما يلي جدول يوضح مدى انتشار هذا الوباء، ما بين سنتي 1603 وإلى غاية 1697.

---

(1) Grammont: **histoir d'Alger**… op, cit.p.277.
(2) Panzac: **la peste dans l'empire**, op.cit, p.29.

الجدول رقم 08 : تاريخ انتشار الوباء في الجزائر وضواحيها.[1]

السنة	المنطقة الجغرافية	تسمية الوباء
1603-1598	الجزائر وقسنطينة	ــــــــــــ
1609-1605	الجزائر	ــــــــــــ
1613-1611	الجزائر	ــــــــــــ
1624-1620	الجزائر وبايلك الشرق	وعرفت بـــ: الحبوبة الكبيرة
1627-1626	الجزائر	ــــــــــــ
1630	الجزائر	ــــــــــــ
1636-1634	قسنطينة	ــــــــــــ
1644-1639	كل البلاد	ــــــــــــ
1650-1646	//	ــــــــــــ
1657-1654	//	عرف بوباء "قونية"
1659	الجزائر وبايلك الشرق	عرف بـــ: "الحبوبة القوية"
1666-1661	الجزائر	ــــــــــــ
1672-1671	كل البلاد	ــــــــــــ
1678-1675	الجزائر	ــــــــــــ
1683-1680	الجزائر	ــــــــــــ
1686	الجزائر	ــــــــــــ
1695-1689	الجزائر	ــــــــــــ

إن الملاحظ للجدول والفترات الزمنية التي عرفت فيها البلاد هذا الوباء نجد تقارب كبير في فترات ظهور الوباء لا يتجاوز الفارق بين الوباء والأخر 5 سنوات على الأكثر كما أن إصابة

---

[1] S. Boubakar :la peste dans les pays du maghreb :attitude face au pléau et impacts sur les relation commerciales (XVI^{ème} – XVIII^{ème} siècles) in **R.H.M**.79-80,1995,P.313.

وأنظر أيضا

- Marchika : OP.cit,.PP.37-38

- K hiari : OP.Cit,PP.36-41

الجزائر .... الوباء أخذت الحصة الأكبر حيث أنه في القرن السابع عشر ضرب الجزائر "11 مرة" وحدها وهذا راجع إلى وجودها في نقطة التماس مع العالم الخارجي خاصة إذا اعتبرناها المركز الأساسي للتجارة والتبادل من جهة وكذا الغزو البحري وأعمال القرصنة من جهة أخرى وتعد هذه الجوانب أهم نقاط تلقي العدوة باعتبارهما مجالات مبنية على الاحتكاك بالقرب الأخرى.

– الجفاف وكثرة المجاعات:

تحدث المجاعة نتيجة النقص الكبير في المواد الغذائية، وباعتبار القمح والحبوب عامة أهم هذه المواد، فقد جعل منها الجفاف الذي أصاب البلاد في كثير من المواسم مواد سيئة نادرة أو منعدمة، خاصة لما يصحب بمرض أو وباء كالطاعون.[1]

أما القرن السابع عشر فقد كان أن المجاعات بلا منازع وأمثلة ذلك كثيرة منها:

- **مجاعة 1611-1612**: إلى جانب كونها كانت مجاعة مروعة اقترنت بالطاعون[2]
- **مجاعة 1624**: تعرض فيها سكان من بايلك قسنطينة إلى مجاعة رهيبة.
- **مجاعة 1643–1644**: تعود لسببين هما الطاعون والجفاف[3]
- **مجاعة عام 1661**: فترة جفاف شديدة يتبعها غزو الجراد في 1663
- **مجاعة عامي 1682-1683**: جفاف شديد خيمت على إثره مجاعة رهيبة.

وكنتيجة حتمية لهذه المشاكل الداخلية تأثرت البحرية و النظام السياسي للجزائر عموما في القرن السابع عشر، الذي عرف عدة هزات إضافة إلى ذلك معاهدات التقارب الذي حدث ما بين إيالـــة الجزائر الدول الأوروبية.

---

[1] haedo : **histoir des rois d'alger**...OP.cit, PP.186-187.

[2] Ben mansour : OP.cit,P99.

[3] ابن الفشري محمد الصالح: **مجاعات قسنطينة**، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1974، ص 45 وما يليها.

5- معاهدات التقارب بين الجزائر ودول أوروبا:

مع مرور الوقت تقلص مجال الغزو البحري، ففي سنة 1661 كانت السفن الجزائرية تهاجم كل سفينة أوروبية، أما بعد ذلك فقد تناقص الأمر بشكل كبير خاصة في القرن 18[1] فحدث التقارب مع الانجليز، واستمر الوضع من 1671 إلى 1677 حين أخذ الانجليز مبادرة النزاع، وحدث الأمر نفسه مع الفرنسيين، وقد استمرت حالة السلم إلى سنة 1683 أما الهولنديون فقد ترجموا معاهدة التقارب والصلح في 09 نوفمبر 1679 لكن لم يبدأ تطبيقه إلا في ماي 1680[2]، أما مالطة وإسبانيا ومملكة نابولي والبندقية لم تدخل في إطار السلم.

كما يمكن تجاهل الضربات التي تلقتها البحرية الجزائرية من طرف الانجليز والهولنديين في الأطلسي وكانت الخسائر تتابع في شرشال في 1665 إلى غاية سنة 1668.[3]

أما الفرنسيون نشير إلى أن العلاقة معهم تدهورت بداية من 1680، حين قامت فرنسا بقنبلة مدينة الجزائر في عام 1683 ودمروا ثلاث بوارج و 200 دار.[4] وأعاد الفرنسيون الكرة عام 1688-1689.[5]

وعلى العموم ما زاد في ضعف البحرية الجزائرية هو هجمات الأساطيل الأوروبية من جهة واتفاقيات التقارب من جهة أخرى، كما نصت عليها معاهدات 1628-1666-1683 مع فرنسا ومعاهدة 1682 مع انجلترا واتفاق عام 1680 مع هولندا.

وخلاصة القول أنّ أمر البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر، عرف عدّة تقلبات، على مستوى عائداته و الغنائم التي حقّقها، وبالرغم من تزايد العوامل المؤثرة سلبا على النشاط البحري، إلاّ انه

---

[1] Panzac : les corsaires barbaresques…OP.cit, p.34.

[2] المنور مروش، **المرجع السابق**، ص، ص، 339-345.

[3] نفسه: ص 339.

[4] نفسه: ص، 345.

[5] نفسه: ص، 347.

حافظ على وتيرته بالرغم من تراجعها، في النصف الثاني من القرن 17، وما أصطلح عليه بسنوات العجاف، حسب المنور مرّوش، والدارس لنشاط البحرية الجزائرية في القرن الثامن عشر، سيجد أن السنوات العجاف في القرن السابع عشر، شكّلت سنوات الازدهار في هذا القرن إذا ما قارنّا عائدات المرحلتين، ولولا تناغم الهزّات الطبيعية و غيرها، على السيرورة العامة للنشاط البحري، في القرن السابع عشر، لكان أمره غير الذي آل إليه في السنوات الموالية.

الفصل الرابع:

أثر البحرية الجزائرية في العلاقات الخارجية بين الجزائر وفرنسا في القرن 17، من خلال المعاهدات السياسية المبرمة بين البلدين.

المبحث الأول:

- أسس العلاقات الخارجية للجزائر و لمحة عن العلاقات العثمانية الفرنسية قبل القرن 17.

1- أسس العلاقات الخارجية للجزائر.

2- لمحة عن العلاقات العثمانية الفرنسية في القرن 17.

المبحث الثاني:

- أثر النشاط البحري للجزائر في العلاقات الجزائرية الفرنسية في القرن 17، من خلال المعاهدات المبرمة بين البلدين.

1- أثر النشاط البحري في العلاقات بين البلدين في المنتصف الأول من القرن 17.

2- أثر النشاط البحري في العلاقات بين البلدين في المنتصف الثاني من القرن 17.

الفصل الرابع

مقدمة الفصل:

شكلت العلاقات الخارجية للجزائر في العهد العثماني، أهم مظاهر السيادة، وابرز سمات الاستقلالية والقوة، كما لا يخفى أن علاقات الجزائر ودول أوربا، خاصة المتوسطية منها، تحكمت بها المصالح التجارية بين البلدين، وشكل النشاط البحري للجزائر، خاصة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، أهم الركائز الأساسية التي بلورت وحدّدت، مظاهر العلاقات الخارجية للجزائر، وأثرت على سير معاهدات التقارب، والتباعد بينها وبين أمم أوربا.

بنت الجزائر سياستها الخارجية، على مجموعة من المبادئ السياسية، التي شكلت في جوهرها دستور الدولة، فيما خصّ علاقاتها بالدول المجاورة لها، خاصة الأوربية منها، فكانت الشخصية والسيادة العامة للبلاد، وكرامة السكان والعباد أهم مبادئها، و مصلحة الدولة فوق كل اعتبار، وكرّست هذه المبادئ، في إطار الولاء للدولة العثمانية، ودون الخروج عن سياستها العامة

أثر النشاط البحري للجزائر في القرنين السادس عشر، و بدرجة أكبر السابع عشر، على مصير العلاقات بين الجزائر وفرنسا، حيث تميزت العلاقات بين البلدين في القرن السادس عشر؛ بالتعاون الحذر، خاصة في عهد خير الدين الذي قدم يد العون للفرنسيين؛ في حربهم ضد شارل الخامس الإسباني، في عام 1543.

لكن مع بداية القرن السابع عشر وحتى نهايته، فشل البلدين في تحقيق التقارب الطويل الأمد، ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى دور النشاط البحري للجزائر، والذي شكل شكّل آنذاك شوكة في حلق الفرنسيين، ومن أهم مظاهر ذلك معاهدة 1619، التي فشلت بسبب اعتداء البحارة الجزائريين على سفن تجارية مرسيلية، دون علمهم ببداية المفاوضات بين الطرفين؛ لعقد الصلح بينهما مما أدى إلى فشلها، ودخول البلدين؛ في قطيعة دامت لأكثر من عشر سنوات.

لم تستطع الجزائر و فرنسا تحقيق سلم دائم، رغم وجود نية ذلك عند الجزائريين، نتيجة عدم جدوى العهود التي كان يقدمها الفرنسيين، خاصة في عهد الملك لويس الرابع عشر، الذي أظهر نواياه علانية ضد الجزائر؛ بتجهيز حملة لاحتلال جيجل عام 1664. فإلى أي مدى أثر النشاط البحري للجزائر في علاقاتها الخارجية، وتحديدا مع فرنسا في القرن 17 ؟.

المبحث الأول:

أسس العلاقات الخارجية للجزائر في القرن17

1- أسس العلاقات الخارجية للجزائر

كان لميلاد الدولة الجزائرية في العصر الحديث، تبعات على المستويين المحلي والخارجي، حيث أدى هذا الميلاد، إلى حيوية العلاقات بقين الضفتين الجنوبية والشمالية للمتوسط وشكلت علاقات الجزائر بالدول الأوربية العنصر الأساسي والفعال للدولة الجزائرية منذ 1518 وإلى غاية 1830، بحيث اعتمدت الجزائر على أدوات هامة، ومؤسسات هادفة لتحقيق مشروعها الرامي إلى وقف العدوان الخارجي، وتبني مبدأ الاحترام المتبادل .

فأدى ذلك إلى اعتماد الجزائر عدة أسس، في شكل إستراتيجيات منذ عهد خير الدين، وكان أول هذه الأسس هو ربط مصير الجزائر بالدولة العثمانية، منذ النصف الثاني من القرن 16 وإلى غاية النصف الثاني من القرن 17، حين بدأت تظهر للجزائر شخصية دولية؛ انطلاقا من مبدأ الاستقلالية في القرار، وعدم الالتزام بأي تعاقد أو اتفاقية تعقدها الخلافة العثمانية مع الأطراف الأوربية، ما لم ترتبط معها الجزائر بصفة مباشرة لتؤمن مصالحها وهذا ما جعل الجزائر لا تهتم بإرسال سفراء لها في الدول الأوربية.[1]

وتبنت الجزائر عدة آليات لوضع أسس المعاهدات، من خلال مبدأ أنه من السهل إبرام اتفاقية الصلح والتقارب، لكنه من الصعب المحافظة عليها، وركزت الجزائر في كل معاهداتها خاصة مع فرنسا، كما سنراه في مبحث العلاقات الجزائرية الفرنسية، على آلية تفتيش السفن بغض النظر

---

[1] الملاحظ أن الجزائر لم تهتم بتعيين سفراء لتمثيلها عند ملوك أوربا على أساس أن يقيموا عند هؤلاء لمدة طويلة، بل كانت ترسل مبعوثين لفترات قصيرة جدا وفي مهام مضبوطة، وغالبا ما كان هؤلاء السفراء يعتمدون على القناصل المعتمدين في الجزائر، أو التجار الأجانب في رحلاتهم، واعتادوا التنقل في السفن الأوربية وهكذا كانت هذه السفارات تذهب إلى أوربا في جو رسمي في الداخل وفي الخارج، وعند وصولهم يجدون برامج لتحركاتهم مسطرة ومضبوطة ينتقلون من مكان إلى آخر، وفق ما رسمته الدولة المضيفة، ومن ثم ظلت معرفتهم بهذه المجتمعات سطحية، ولاسيما أن تكوينهم ظل معتمدا على المألوف وعلى البحرية نقلا عن : علي تابليت: **العلاقات الجزائرية الأمريكية**، ، المرجع السابق، ص 95.

عن كونها صديقة، أو العكس، وهو ما نص عليه القانون الدولي البحري[1] وذلك قصد التحقق من هويتها، ولحماية المصالح، وتحقيق الحرية الخاصة بالقرار السياسي للدولة، في ظل وجود قوة كالبحرية، تكون قادرة من خلالها على أن تفرض بها الاحترام على الجميع.[2]

تشكلت أسس العلاقات الخارجية للجزائر أساسا، من مبادئ دبلوماسية عامة، أكدت الجزائر من خلالها ولاءها للدولة العثمانية من جهة، وبينت من خلالها على استقلالية قرارها السياسي في كثير من الجوانب، خاصة فيما تعلق بمعاهدات الصلح بينها وبين دول الحوض الغربي للمتوسط من جهة أخرى .[3]

وفيما يلي المبادئ العامة التي اعتمدت عليها الجزائر، في علاقاتها مع هذه الدول، والتي تشكلت منها مبادئ الدستور العام لشخصية الجزائر الخارجية:

1- عدم التنازل عن حقوق السيادة، والتمسك بمبدأ احترام شخصية الدولة في كل الظروف؛[4]

2- مراعاة أسس الصداقة في التعامل مع السفراء، وتكريس مبدأ السيادة الوطنية في التعامل مع الأطراف الأوربية؛

---

[1] بوسلطان محمد، **القانون البحري الدولي "تطوره ومجاله"**، دار النهضة العربية، بيروت، 1969، ص 22.

[2] جمال قنان، **نصوص ووثائق، المرجع السابق**، ص ص40-42.

[3] رفضت الجزائر عدة قرارات أوربية لضرب استقرارها وهز مكانتها وشخصيتها، حيث مثلا: رفضت قرارات مؤتمر فينا 1815 وكذا مؤتمر **إكس لاشابيل** 1518 الرامية إلى إطلاق سراح الأسرى ووقف أعمال القرصنة.

للمزيد: – ارجع إلى التفصيل في الفصل الأول حيث: المفهوم العام للقرصنة وتطورها التاريخي.

– أنظر: وليام شالر: **المرجع السابق**، ص، 525.

[4] ظلت الجزائر متمسكة بمبدأ التعامل الذي يضمن للدولة هيبتها، في نصوص المعاهدات حتى في أوقات ضعفها فبالرجوع إلى نص اتفاقية الاستلام التي أمضاها الداي حسين مع الكونت دي بورمون في 05 جويلية 1830 نجد عبارات الاحترام والتقدير، بالرغم من عدم تكافؤ القوى آن ذاك بين البلدين:

أنظر: النص الكامل لنص الاتفاقية في الملاحق

أنظر: حمدان خوجة :**كتاب المرآة**، ص، ص،195-196.

أنظر: عمر سعد الله: **القانون الدولي الإنساني والاحتلال الفرنسي للجزائر**، دار هوية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 365.

3- مراعاة حرية التعاقد، وعدم الالتزام بما توقعه الخلافة العثمانية من معاهدات، ولم ترد أي إشارة لتبعية الجزائر للخلافة.[1]

4- مبدأ نبذ استعمال القوة في العلاقات الدولية، وعدم الرضوخ للقوة مهما كلف ذلك، إصرار الجزائر على وضوح معاهداتها مع دول أوربا.

5- تبني مبدأ الحياد في الصراعات الأوربية.

6- اعتماد مبدأ وحدة المغرب العربي، واحترام الجوار، والدفاع المشترك إذا لزم الأمر.[2]

7- الوفاء والالتزام بنص الاتفاقيات، مهما تغيرت الظروف [3] خاصة ما تعلق منه بأمر السفن وشروط رسوها بالموانئ.[4]

8- اعتماد مبدأ المساواة بين، دول أوربا، فلا يوجد صديق مقرب أو العكس بل هي المصالح.

9- مبدأ عدم مساعدة الجزائر لطرف يكون في حالة حرب مع دولة تم التعاقد معها حتى ولو كان هذا الطرف قريبا جدا.[5]

وهذا ما جعل الجزائر الحديثة، أن تكون واضحة في كيفية وطرق تعاملها مع الدول المسيحية خاصة، وباعتبارها دولة بحرية وقوية، وبحكم موقعها القريب من العالم المسيحي وجدت نفسها مجبرة على تقوية أسطولها البحري للدفاع أو تكريس الدبلوماسية كعامل لتحقيق السلام.

---

(1) سبق وذكرنا أن الدولة العثمانية: إرتبطت بجملة من الاتفاقيات مع فرنسا 1535 وانجلترا 1579 والأقاليم المتحدة 1612، ودعت الجزائريين إلى احترامها، لكن لم تمر فترة حتى رفض الجزائريون هذه المعاهدات كونها لا تخدم مصالحهم وتعرقل لهم نشاطهم البحري مما ينعكس سلبا على إيالتهم، مثل ما حدث سنة 1644 بعد رفضهم المشاركة في الحرب على مالطة لأنها لا تخدم مصالحها.

أنظر: - H.De .grammont :**histoire d'Alger**….OP,cit, PP.187-188

(2) عملت الجزائر وتونس جنبا إلى جنب؛ لرد الأخطار الخارجية، بالرغم من صراع قراصنتهم فيما بينهم. فلما قامت الحرب الأهلية في تونس، خلال القرن القرن السابع عشر، وبعد رغبة فرنسا التدخل في الشأن، وجهت الجزائر رسالة شديدة اللهجة للويس الرابع عشر، واعتبرت فيها التدخل في الشأن التونسي، إعلان للحرب، مما أدى إلى التراجع عن ذلك.

(3) بوسلطان محمد : فعالية المعاهدات الدولية، د، م، ج، الجزائر، 1995، ص،ص، 258-266.

(4) Raunal(G.T): **histoire des établissements du commerce des européens dans l'Afrique septentrional**, la découvert, paris, pp ,40.

(5) لم تستسغ الجزائر ما بدر من السفن الفرنسية التي قدمت الدعم للإسبان والهولنديين والانجليز مستغلة بذلك معاهدة الصداقة بينها وبين الجزائر وهذا ما اعتبرته الجزائر إخلالا بمعاهدتها حيث لا يمكن تقديم مساعدة لدولة هي في حالة حرب مع الجزائر أو لا ترتبط معها بمعاهدة صداقة. **أنظر**: عائشة غطاس: **المرجع السابق**، الفصل التمهيدي. ص، 10-15.

اكتسبت الجزائر أهمية كبيرة ومكانة سياسية جد مؤثرة في الحوض الغربي للمتوسط خاصة بعد استكمال الدولة العثمانية الأراضي الجزائرية كمنطلق للسيطرة على المتوسط من جهة والقضاء على القوى البحرية المسيحية واتخاذها آلية للجهاد البحري الذي اعتنقه العثمانيون في الشرق والغرب.[1]

وظلت الدول الأوروبية إلى القرن السابع عشر، ترى أن التقرب من الدولة العثمانية يكفيها لتحظى بالاحترام والتقدير من طرف الجزائر وبحارها، لكن استقلالية الجزائر بقراراها عن الدولة العثمانية نفسها جعل أمم أوروبا تعيد حساباها، وتسعى إلى بناء أواصر التقارب مع الجزائر كدولة مستقلة بذاها، وبعيدا عن قرارات وسياسات الباب العالي، بالرغم من تبعية الجزائر إداريا للدولة العثمانية، والالتزام بتوجهاها وإستراتيجيتها مع دول أوربا، لكن دون المساس بالسيادة العامة للجزائر، والتأثير على علاقاها بجيرانها.

إلاّ أنّ فرنسا ظلّت تراهن على علاقتها الحميمة مع الدولة العثمانية، لتحقيق التقرب من الجزائر، ولذلك لا يمكن دراسة العلاقات الجزائرية الفرنسية، دون الرجوع إلى طبيعة العلاقات العثمانية الفرنسية، وتأثيرها على العلاقات الجزائرية الفرنسية.[2]

2- لمحة عن العلاقات العثمانية الفرنسية في القرن 17م.

قبل الحديث عن العلاقات بين الجزائر وفرسا في القرن 17، رأينا من الضرورة تسليط الضوء على العلاقات الفرنسية العثمانية، لأن الجزائر لم تخرج في سياستها الخارجية، عن مبادئ الدولة العثمانية، وكذلك يمكن اعتبار العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية و فرنسا إطارا عاما للعلاقات الجزائرية الفرنسية.

لقد مثّل عهد سليمان القانوني رأس الهرم بالنسبة لقوة الدولة العثمانية، ومكانتها بين دول العالم، وخاصة بين دول أوربا . إذ اعتبره بعض المؤرخين السلطان الذي أوصل الدولة العثمانية إلى

---

(1) قنان جمال: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر**،م، و، ن، ت، 1994، الجزائر، ص ص، 33-36.

(2) سعد الله أبو القاسم: **شعوب وقوميات**. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص، 140.

أرقى عصورها، ما دفع بفرنسا إلى إتباع سياسة الليونة مع الدولة العثمانية، جعلها تحصل بها على أول معاهدة سلام سنة 1535م، وسميت هذه المعاهدة بـــ: معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية.[1]

أما عن مصير العلاقات العثمانية الفرنسية فإنه شهد أواخر القرن السادس عشـــر وبدايـــة القرن السابع عشر، أحداثا وتطورات هامة، كان لها الدور الكبير في تغـــيير طبيعـــة العلاقـــات ومضمون المعاهدات، وحتى الامتيازات الممنوحة للرعايا الفرنسيين.[2]

فتطورت الامتيازات العثمانية – الفرنسية خلال نهاية القرن السادس عشر في عهد كل من سليم الثاني[3]، ومراد الثالث[4]،وجددت أول معاهدة بين شارل التاسع وسليم الثاني في أكتـــوبر 1569.[5]

وظلّت العلاقات بين البلدين تحافظ على سيرورتها، وتجدّدت العلاقات مطلع القرن السابع عشر و تحديدا في العام 1604 جددت المعاهدة مع فرنسا وفي عهد هنري الرابع[6]، مكنتها من وضـــع يدها على تجارة المشرق[7] وبالرغم من حصول هنري الرابع على امتيازات، إلا أن سياسته عرفت بالازدواجية تجاه الدولة العثمانية[8] ،واتسمت عموما سياسة فرنسا الخارجية اتجاه الدولة العثمانية

---

(1) علي محمد الصلابي: **الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط**، الملكية التوفيقية، القاهرة، ص 232.

(2) A.temimi : **l'automatisation des régences d'Alger de Tunis et tripoli a la lumière des muhimmo Defterie 1559-1995**, in, arabe historical review for ottoman studies N°31,décembre, 2005, P.29.

(3) **سليم الثاني**: ولد عام 1522، تولى السلطة سنة 1566، ودامت مدة سلطانه ثمان سنين و05 أشهر، توفي سنة 1574.

(4) **مراد الثالث**: ولد عام 1546، تولى السلطة سنة 1574، عرف بانغماسه في الملذات، وتوفي سنة 1574

(5) جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا: 1616-1830**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 37.

(6) هنري الرابع: أحد أهم ملوك فرنسا، اعتلى العرش في 23 جويلية 1593 وعرف بسياسته المزدوجة مع الدولة العثمانية

(7) M. De. M.D. Ohsson : **tableau général de l'empire .Ottoman, publié par M.C.D'hassan, fils de l'auteure, chez frimin diot père et fils librair**e, Paris, 1824, PP.474-475.

(8) توازيا مع معاهدة الامتيازات الممضاة في 1604 ظهرت عدة مشاريع صليبية ضد الدولة العثمانية: لتقسيم الدولة العثمانية وجاء في كتاب خاص باسم هنري الرابع، أين يريد السلام مع كل الأمم المسيحية وإبقاء العداوة مع الدول الإسلامية، لكنه توفي قبل أن يحقق ذلك: **أنظر** : G.TONGAS : OP.CIT, PP.48-49.

بالتناقض.

وقد ظهرت بوجهين مختلفين[1] بعد هنري الرابع يمكن تقسيم فترة العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا، خلال القرن السابع عشر بمرحلتين أساسيتين:

1- من 1611 إلى 1640: تميزت هذه الفترة بفشل النشاط الدبلوماسي للقناصلة الفرنسيين في الأستانة، نتيجة عدم حصولهم على أي امتياز[2] يذكر، ودخلوا في صراعات مع الـــوزراء العثمانيين حاول المستشار رشيليو "Richelieu" إعادة العلاقات على ما كانت عليه في عهد الملك لويس الثامن وقد سعى هذا الأخير إلى الوقوف أمام مساعي البنادقة والانجليز في الحصول على أي امتياز، إضافة إلى ذلك محاولة تعكير العلاقات مع الهولنديين[3] وقد نجح من خـــلال سفراء فرنسا في اسطنبول من حماية التجارة الفرنسية وتطورها، وكان هم فرنسا هـــو إبقـــاء العلاقات حسنة مع الدولة العثمانية.

2- 1640-1700: عرفت هذه المرحلة توتر العلاقات العثمانية الفرنسية وفي هذه الفترة دخلت الدولة العثمانية في صراع مع البندقية وكريت[4] وفي الأخير قررت فرنسا مساندة البنادقة ومحاولة إظهار لعب دور الوسيط، لكن الدولة العثمانية قررت مواصلة الحرب.[5]

---

(1) Ibid. : P.44.

(2) ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل امتد إلى عدم استطاعة فرنسا على الحفاظ على امتيازاتها التجارية، خاصة بعد منح الدولة العثمانية امتيازات لهولندا 1612

أنظر: - TONGO : Op.Cit. , P.11.

(3) TONGA : OP, cit, P.17-18.

(4) تعود حيثيات هذه المواجهة بين العثمانيين والبنادقة إلى سنة 1644، بعدما قام فرسان مالطة على الاستيلاء على عمارة عثمانية، كانت متوجهة إلى مصر، وحمولتها كانت ثمينة جدا فتدخل السلطان العثماني إبراهيم 1604-1648 وطلب من سفراء الدول الأوربية التدخل لحل المشكلة، لكنهم رفضوا بما فيهم فرنسا واعتبروا مالطة دولة مستقلة، فقرر إرسال جيش ودامت هذه الحرب حوالي 25 عاما (1644-1669) وهدفت الدولة العثمانية من خلالها إلى وضع حد على هيمنة البنادقة ونفوذهم في جزيرة كريت.

(5) Ch. De la roncière : **Guerre de candie et l'hanter votions française (1646-1669)** in bévue des études historiques 82emannée, avril, juin, 1916, 1916 ; P.153.

وفي ظل توتر العلاقات بين الطرفين حاول لويس الرابع عشر[1]، التدخل من خلال إرسال سفيره في مهمة في شهر سبتمبر 1658، ونجح في تحسين الوضع، وهنا أصبحت مهمة لويس الرابع عشر الحفاظ على المصالح الفرنسية في الدولة العثمانية.[2]

ومما يدل على فتور العلاقة بين الطرفين، الحادثة التي وقعت في 14 أوت 1669 للمبعوث العثماني والذي لم يستقبل بحفاوة، مما يدل على الفتور الذي يميز العلاقات بين الطرفين[3]، برغم من ذلك استطاعت فرنسا تجديد امتيازاتها في 17 أوت 1673، وحققت من خلالها فرنسا مكاسب تجارية هامة كتخفيض الرسوم الجمركية وحق استعمال عملتها على الأراضي العثمانية، لكن ما تعلق بأمر البحرية فإن الدولة العثمانية رفضت حق مرور السلع الفرنسية إلى الهند.

وفي عام 1671 أرسل لويس الرابع عشر سفيره برفقة أسطول بحري، أراد من خلاله إرهاب الدولة العثمانية، لكن سفيره أهين من طرف السلطان، ما جعل لويس الرابع عشر يفكر في إعلان الحرب على الدولة العثمانية، لكن وزيره أشار عليه، أن هذه الحرب ستوصد أبواب المشرق في وجه فرنسا[4] كما أن لويس الرابع عشر رفض تنفيذ مشروعي كل من **ليبنتز** (Leibnitz)، "ودارفيو" (d'arvieux) للقيام بحملة عسكرية على الدولة العثمانية.

فيما بعد لم تشهد العلاقات أحداثا هامة حتى سنة 1687 ما عدا معارضة لويس الرابع عشر المعادي للحصار العثماني لفينا سنة 1683[5]، ومنذ ذلك الحين لم يستطع سفراء الدولة العثمانية الحصول على امتيازات، بالرغم من موقف فرنسا من هذا الحصار وظلت العلاقات

---

(1) **لويس الرابع عشر**: ولد سنة 1638 أصبح ملكا لفرنسا بعد وفاة أبيه في 1643، وعمره لم يتجاوز 05 سنوات، ولذلك كانت السلطة الفعلية في يد الوزير "مازران" إلى غاية 1661، حيث بدا يتصرف في أمور الدولة وكان داهية في الحكم إلى غاية 1715

(2) E, Griselle : **de Berlin à Constantinople, un échec diplomatique de L.XIV^{em}1659** in : revire de études historique, P.345.

(3) C. lamouche **: historique de la Turquie de puis les origines jusqu'à nous jours**, Payot, Paris, 1953, P.152.

(4) A. Bruneau : OP.cit, P.45.

(5) J. Fremeaux **: la France et l'islam** ; depuis 1789, édition presse universitaire de France, paris, 1911, P.23.

العثمانية الفرنسية تراوح مكانها، ومن الملاحظ أن العلاقات بين البلدين طيلة القرن 17، لم تصل إلى مستوى عالي من الرقي الدبلوماسي، والتعاون والتقارب السياسي والتجاري، وهذا ما انعكس على طبيعة العلاقات الجزائرية الفرنسية، في القرن السابع عشر بالرغم من اســـتقلالية الجزائـــر في قراراتها بداية من تاريخ 1671.

المبحث الثاني:

أثر البحرية الجزائرية في العلاقات بين الجزائر وفرنسا من خلال المعاهدات المبرمة بين البلدين في القرن 17.

- لمحة عن العلاقات الجزائرية الفرنسية قبل القرن 17 ودور البحرية الجزائرية فيها:

إن أهم الأسباب الغريبة والعميقة التي تؤدي إلى تأزم العلاقات ونشوب الحروب المتكررة تعود أساسا إلى مشاكل البحر، من تعديات على السفن، إلى قضايا الأسر والتي كان تأثيرها على مجرى العلاقات[1] ونظرا للقوة البحرية للجزائر خاصة في القرن 17 كانت أهم العوامل التي أدت إلى بناء علاقات التقارب بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط عموما، والجزائر وفرنسا خصوصا، في ظل عجز السياسة الأوروبية على مجابهة الجزائر وبحّارتها.[2]

فبعد إمضاء سليمان القانوني لمعاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية مع فرانسوا الأول عام 1535، أمر السلطان خير الدين باشا بالتوجه لفرنسا ومساعدة فرانسوا الأول ملك فرنسا ضد شارل الخامس ملك اسبانيا.

فأبحر خير الدين مع أسطول بحري يتكون من 110 سفينة، من الجزائر مارا بمضيق ميسيني في 25 أفريل 1543، حيث وصل ميناء طولون في 12 جويلية وبعدها توجه إلى مرسيليا. ومن أهم ما قام به خير الدين تدمير شواطئ كالابرا، وأرسى أسطوله بمنطقة فيلا فرانكا، وضرب حصارا على نيس في السواحل الجنوبية لفرنسا، والتي كانت تحت سيطرة شارل الخامس ملك اسبانيا وفي ظل هذه الأثناء تلقى الأسطول الفرنسي هزيمة نكراء من طرف الإسبان.وهنا قرر خير الدين دخول "نيس" فدخلها وحررها من الحاكم الإسباني **دون سافوا "don safoua"** توجه لطولون وسيطر عليه وأقام فيه حتى أعاد علاقات البلدين إلى سابق عهدها وإبرام الملكين فرانسوا الأول وشارل الخامس اتفاقية الصلح والسلام سنة 1544.[3]

---

[1] عائشة غطاس: **المرجع السابق**، خلاصة الفصل الأول، ص، 47.

[2] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الحديث**، المرجع السابق، ص، 248.

[3] ابن أبي زيان ابن اشنهو: **المرجع السابق**، ص ص. 172-181

كما أنّ الأحداث التي طرأت على السياسة الخارجية للدولة العثمانية من جهة، واسبانيا وفرنسا من جهة أخرى كان لها الدور الحاسم في تحويل منحنى العلاقات بين الجانب العثماني الفرنسي وجود.وعموما فقد تميّز البيلربايات بتوجيه سياسة الدولة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط، وفي هذا العهد تحديدا عرقلة العلاقات الجزائرية الفرنسية عدّة أحداث و اصطدمت الجزائر في علاقاتها مع فرنسا بمسألتين مهمتين هما:

- التمثيل الدبلوماسي(اعتماد القناصلة)؛
- الامتيازات التي منحت للفرنسيين بالجزائر. [1]

فتمثّل موقف الجزائر في الرّفض مع البداية، وهذا ما وجدناه في رسالة **حسن فزيانو** [2] المؤرخة بتاريخ 28 آفريل 1579، حيث نجدها تشير إلى جانب العلاقات القديمة، إلى أمر رفض التمثيل الدبلوماسي في البداية، من طرف حسن فزيانو الذي رآى فيه بدعة. بالرغم م اصرار هنري الرابع الذي أرسل **"موريس سورون"** كنقصل للجزائر. انظر رسالة حسن فزيانو باشا الجزائر إلى قناصل و حكام مدينة مدينة مرسيليا. [3] ومن المؤكد أنّه حتى عام 1580، لم يكن لفرنسا قنصل معتمد في الجزائر، لكن بعد العام التالي، أصبح لهذه البلاد قنصلا في هذه المدين، مع العلم أنّ فرنسا هي الوحيدة التي ارتبطت بالدولة العثمانية بمعاهدة سلم قبل 1573. [4]

وإذا تكلمنا عن طبيعة منصب القنصل، فإنه كان يباع ويشترى في فرنسا، كغيره من المناصب، وكما اشرنا في طبيعة العلاقات العثمانية الفرنسية فإنّ الدولة العثمانية منحت

---

[1] جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا**، المرجع السابق،**ص**، 39.

[2] حسن فزيانو: أصبح بيلر ياي عل الجزائر في عام **1577**، أصوله إيطالية، احترف الكتابة في البندقية، ومنه جاءت تسمية"فزيانو"، أسر من طرف "دارغوث باشا" ثم أصبح عبدا لدى "العلج علي"، دخل الإسلام وكان ينسب للعلج علي، فيقال له: ابن القبطان علي، عرف بقوته وحزمه، وعقد في عهده معاهدة مع الإنجليز عام 1579، كما وقع في عهده هجوما على الجزائر من طرف فرسان مالطة وفرسان سان إتيان، ا ستدعي إلى اسطنبول، ثمّ عيّن مرّة ثانية عام 1583، شنّ هجوما على **بلنسيه** سنة 1584، وأنقذ من الموريسكيين 2300 موريسكي، وأستدعي مرة أخرى لاسطنبول،وأصبح قبوطان خلفا للعلج علي. انظر: عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج3، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص، 201.

[3] P ALANTET : **Correspondance Des Deys D .Alger avec LA Cour De France**. T1 (1579-1700). Op, cit, pp81-82.

[4] جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا**، المرجع السابق، **ص، ص**، 39-40.

حق احتكار التجارة الأوربية في أراضيها لفرنسا سنة 1604.

أمّا في خصوص الامتيازات فإنّ فرنسا مابين(1581-1604) حاولت تعميم الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية، على باقي مناطق الإمبراطورية بما فيها الجزائر، وبالرغم من المعاملة الحسنة التي كان يحضى بها البحارة الجزائريون في الموانئ الفرنسية.

إلاّ أن البحّارة الجزائريين لم يتوقفوا عن أسر الفرنسيين، وهو السلوك الذي استنكرته الحكومة الفرنسية، وهدّدت بردّها العنيف ضدّ الجزائر وقراصنتها، تصل إلى أمر عدم استقبالهم على الموانئ الفرنسية، بالرغم من تأكيد الدولة العثمانية عل احترام العلاقات بين البلدين. [1]

ليتبيّن مما سبق أن القباطنة الجزائريون، كانوا سببا في توجيه العلاقات بين البلدين، وفي نفس الوقت بدا الموقف الجزائري أكثر استقلالية عن موقف الدولة العثمانية، في ما يخصّ هذا الأمر، كما أنّه تبيّن من خلال دراستنا لرسالة حسن فتريانو، أن الالتزام لابدّ أن يكون مشتركا بين الطرفين، ويكون مبني على الصدق و حسن النوايا والإخلاص في التعامل، وهذا ما لم يبده البحارة الفرنسيين.

وإذا كانت الدولة العثمانية قد ميّزت فرنسا عن بقية الدول الأوربية، خاصة الاسبان والذين كانوا سببا رئيسيا في التقارب بين القوتين، لكن الصراع العثماني الاسباني بدأ يسير نحو التلاشي، حيث حققت الدولة العثمانية معاهدة فرقان عام 1598 وقضت بها على أهداف وحلم فرنسا في بقائها الحليف الاستراتيجي للدولة العثمانية [2]، وبدأ الصراع بين الدولة العثمانية واسبانيا يسير نحو التلاشي.

---

[1] جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا**، المرجع السابق، **ص**،45.

[2] غطاس عائشة، **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17**، **المرجع السابق**، ص، 31

وفي خضم هذا الجو عرفت العلاقات بين الجزائر وفرنسا أزمات خطيرة[1] أدت إلى تباعد وقطعية نحو ربع قرن من الزمن تقريبا [2].

وقد تأكد أخيرا أنّه تعيّن على الفرنسيين التوجه مباشرة للجزائريين، إذا أرادوا أن يبنوا معها علاقات متميزة، وقد سبق أول معاهدة بين الجزائر وفرنسا اتفاق سنة 1617، تبادل فيه البلدين إطلاق سراح الأسرى.

أما الدولة العثمانية كإطار عام للعلاقات الجزائرية الفرنسية، فإنها قد أمضت معاهدة امتيازات في عهد ملكها هنري الرابع بتاريخ 30ماي 1604 ومن خلال ذلك يظهر أن البحرية الجزائرية ساهمت من خلال مساعدتها لفرنسا في حربها ضد إسبانيا، وساهم خير الدين في التقارب بين البلدين، والذي لم يدم بعد طي سنوات القرن 16،

1 – أثر النشاط البحري في العلاقات بين البلدين في النصف الأول من القرن 17.

كما سبق وأشرنا أن العلاقات بين البلدين عرفت توترا وقطيعة دامت قرابة الربع قرن تعود أسباب هذه القطيعة إلى حادثتين مهمتين، كونهما متقاربتين زمنيا، الأولى حادثة حصن فرنسا [3]

---

[1] لعل هذه الأزمات التي ألّمت بالعلاقات الجزائرية الفرنسية هي أزمة "**حصن فرنسا** وحادثة **سيمون دونسا**".

[2] غطاس عائشة: **المرجع السابق**، ص، 32.

[3] **حادثة حصن فرنسا:** تفرع الجزائريون بمجاعة 1604: أنظر: ابن القسري محمد الصالح: مجاعات قسنطينة...**المصدر السابق**، ص، 45. وما يليها.

وهو الدافع الذي يراه المؤرخون في إقدامهم على تخريب الحصن، لكن الدارس لهذه الحادثة جيدا، يلاحظ أن الفرنسيين أنفسهم لم يحترموا أهم بند بحق بناء الباستيون على أراضي الجزائر والذي يقول: باختصار نشاط الشركة الفرنسية على صيد المرجان في الميناء فقط، لكن الشركة وسعت من نشاطها من خلال إقدامها على شراء الحبوب وبيعها بمرسيليا ما أكسبها أرباحا طائلة، متجاهلة وضع البلاد التي تعاني من مجاعة رهيبة، فعزمت الحكومة الجزائرية على وضع حد لهذه التعديات قامت بتخريب الحصن وحجز موظفيه فاعتبرت فرنسا الأمر اهانة لشرفها وتدخلت لدى الباب العالي الذي أمر الايالة الجزائرية بإعادة تصليح الحصن، وتعويض سائر الخسائر. للاطلاع على المزيد : أنظر: عائشة غطاس، **المرجع السابق**، الفصل الأول

ونقلا عن غطاس: أنظر:

-Xivry: **recueil des lettes**… tome VI. P.288
-Heinrich: l ' alliance… OP.cit. p. 188.

وحادثة سيمون دونصا.[1]

سممت الحادثتين العلاقات الجزائرية الفرنسية بالرغم من تدخل الدولة العثمانية لحل الخلاف، فالجزائريون تحججوا بكون أن الفرنسيين استغلوا الحصن لأغراض غير متفق عليها فهم حسب ايالة الجزائر، لم يدفعوا المبالغ المترتبة عليهم وأنهم يجوعون السكان، وأن الفرنسيين لا يملكون رخصة لتسليح المكان والمتاجرة في كل شيء. أما الفرنسيون فقد تحججوا بكون القراصنة الجزائريون، اعتادوا الإغارة على الحصن وتخريبه والسطو على مقدراته[2]وهذا تعبير واضح على استقلالية الجزائر بقراراتها عن الدولة العثمانية. أما حادثة "**سيمون دونصا**" فقد تركت انطباعا أكثر من سابقته، حيث تقدم الباشا بجملة من الاحتجاجات لدى ملك فرنسا " **هنري الرابع** " إلا الملك لم يأخذ الأمر بكل جدية و لم يولي أدنى اهتمام بكل تلك الاحتجاجات [3] فتصدعت العلاقات بين الطرفين وأصبحت الحرب سجالا بين البلدين.

– معاهدة 1619 ودور القرصنة في فشلها:

تدخل الباب العالي من جديد لحل الخلاف نهائيا بين الطرفين، تحت إلحاح الحكومة الفرنسية، فقبلت الجزائر وبدأت المفاوضات بين البلدين، حيث تمت المحادثات وانتهى المفاوضون إلى الاتفاق حول شروط السلام وتوجت بعقد معاهدة ثنائية جزائرية – فرنسية بتاريخ 21 مارس 1619، واجتمع الوفد الجزائري مع قناصل وحاكم مقاطعة "**بروفنس الدوق دوقيز**" ونص أهم بندين فيها على ما يلي:

-بند 5: لا يسمح جلالة الملك إطلاقا بتسليح أية سفينة لموانئ مملكته وثغورها لمطاردة الجزائريين

---

[1] **حادثة سيمون دونصا**: بحار من أصل فلامنكي، تجنس بالجنسية الفرنسية، ودخل الجزائر عام 1606 كرعية فرنسي، وعمل بالقرصنة، فزادت غنائمه وحضي بعلاقة متميزة مع الأهالي، و لم كسب ثقة الريّاس والباشا منح له الباشا مدفعين من البرونز ليسلح بهما مراكبه على أن يرجعهما لكنه بعد فترة قام بسرقة المدفعين وتوجه إلى فرنسا، مما أثار خفيضة الباشا وكل الايالة على هذه الفعلة الخبيثة، أنظر غطاس عائشة المرجع السابق، ف1)

[2] Roland. Courtinat. **La pirateriе barbaresque en méditerranée** … op. cit. pp. 69-70.

[3] غطاس عائشة: **المرجع السابق**، ص، ص، 37-39.

– **بند 6**: يتم إطلاق سراح جل الفرنسيين من أي منطقة كانوا، وكل اللذين قبض عليهم تحت راية فرنسا، كما يتم إطلاق سراح جل أسرى مملكة الجزائر بفرنسا، أنظر الملحق بنود المعاهدة كاملة.

كما نصّت المعاهدة على انّه لا يسمح لقراصنة أي بلد بإنزال الأسرى الفرنسيين في الموانئ الجزائرية، وبيعهم فيها، وفي حال ما حدث ذلك فإنّ البندين السابقين، الذين وردا في الاتفاقية، لا يصبح ملك فرنسا مجبرا على احترامها.[1]

– أسباب فشل هذه المعاهدة:

سببت عملية الغزو البحري للجزائر أو ما أسماه الفرنسيون بالقرصنة الجزائرية، في عرقلة سير هذه المعاهدة، وتعود حيثيات الوقائع إلى مدينة مرسيليا، حيث كان الوفد الجزائري المفاوض يستعد لمغادرة مرسيليا حين وردت أنباء للمرسليين تقول: بأن أحد الرياس الجزائريين والذي يدعى"**الرّايس رجب**" قد استولى على سفينة مرسيلية قادمة من مرسيليا، فقرر المرسيليون مثل كل أعضاء البعثة، إضافة إلى أربعين آخرين من الأسرى الجزائريين.[2] وهنا يتبين أن أعمال النشاط البحري الغير مسؤولة أدّت إلى عرقلة السلام بين البلدين إلى غاية 1628، وتدخل الطرفين في حرب دامت ثماني سنوات ونجح بحارتنا هذه المرة في محاصرة السفن الفرنسية ومضايقتها، مما أدّى بالتجّار الفرنسيين للضغط على حكومتهم من أجل وضع حد لأعمال القرصنة، والعمل على وقف هذه الحرب.[3]

وتشير أحد الرسائل التي وردت في المراسلات التي جمعها **بلانتي**، أنّ العلاقة بين الجزائر وفرنسا تأذّت كثيرا بفعل هذه الحادثة، وانعكس الأمر سلبا على التجّار الفرنسيين الذين ضغطوا

---

[1] جمال قنّان: **معاهدات الجزائر وفرنسا**، المرجع السابق، ص، 56.

[2] غطاس عائشة: **المرجع السابق**، ص، ص، 38.

[3] نفسه.

على ملكهم للبحث عن حل، ونظرا لما بذله سفراء فرنسا لدى الباب العالي، لإعادة الأمور إلى نصابها بين الجزائر وفرنسا، فقد أوفدت الدولة العثمانية إلى الجزائر المبعوث " **سليمان شاوش**" في 19 مارس 1923، وهذا بعد الشكاوي التي وصلت فرنسا م بحّارتها وتجّارها المرسيليين خاصة مابين سنتي 1620و 1625، لكن موقف الحكومة الجزائرية كان عنيفا ضّد المبعوث العثماني وضدّ الوساطة العثمانية .[1]

وتحول الأمر إلى حرب بحرية حقيقية بين القراصنة الجزائريين والفرنسيين، خاصة على التجّار، حيث أصبح التبادل التجاري بين الجزائر وفرنسا تشرف عليه الحكومة الفرنسية ذاتها[2] و لم يوّفق المبعوث العثماني في إعادة السلام، رغم طول الفترة التي استغرقتها إقامته بمدينة الجزائر، والتي كانت نحو ثلاث أشهر [3]،وفي هذه الفترة وإلى غاية 1628 ركز البحارة الجزائريون على السواحل الفرنسية فاستولوا على 80 باخرة والتي تعتبر من أهم البواخر الفرنسية، وقاموا ببيع 1636 فرنسي في سوق النخاسة أو ما سمي بـ: أسواق العبيد ونظرا لقوة الجزائريين وتسيدهم البحر المتوسط في هذه الفترة، فقد وصلوا إلى سواحل البريطانية واستولوا على 470 باخرة.[4]

فدفعت قوة البحارة الجزائريين بفرنسا إلى ضرورة فتح باب المفاوضات من جديد، قصد الحصول على امتيازات جديدة، وأكدت عدم قدرة حكومة لويس الثالث عن التصدي لنشاط البحارة الجزائريون.[1]

فعملت فرنسا على استرضاء لجزائريين بأي ثمن حيث قام المبعوث الفرنسي لحلال السلام بين البلدين، وفي ذلك حاول هذا المبعوث الفرنسي عن طريق جمعه لـ: **ألف ليفر** من التجّار

---

[1] Plantet : **Correspondance Des Deys D .Alger avec LA Cour De France.** T1 (1579-1700). Op, cit, pp92-93.

[2] محمد زروال: العلاقات الجزائرية الفرنسية(1791-1830)، م، و، ن، ت، الجزائر، 2009، ص، ص، 11-12.

[3] عائشة غطاس: المرجع السابق، ص، 50.

[4] Roland courtinat: **la pirateri**e … op. Cit. p. 69-70.

[5] عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص، 41.

المرسليين، لدفع فدية الأسرى الجزائريين المحجوزين لدى "**الدوق دوكيز**" وكذا محاولة استرجاع المدفعين.

- معاهدة سنة 1628:

استطاع " **سونسون نابولون** " المفاوض المحنك من إقناع الطرف الجزائري، وتشير الدراسات أن هذه الاتفاقية كلفت الطرف الفرنسي ما يقارب ثلاثين ألف فرنسي على شكل هدايا وفدية للأسرى الجزائريين. و في 19 سبتمبر 1628 عقدت معاهدة سياسية وتجارية وجاءت في اثني عشر بندا وكانت أكثر تسوية ووضوحا من معاهدة 1619 ومن أهم انعكاساتها ما يلي:

- حرمتها من حمل السفن الفرنسية البضائع التجارية الخاصة بالدول الأخرى.

- فرضت التفتيش على السفن التجارية.

لم تدم هذه المعاهدة طويلا، وكانت فرنسا أول من نقض المعاهدة بالرغم من المساعي التي بذلتها لإحلال السلام بين البلدين وكانت أعمال القرصنة السبب الرئيسي وراء بطلان هذه المعاهدة.[1]

حيث ردت السفن الجزائرية على ما أسمته اعتداءات الفرنسيين، وكان جل ما غنمه الجزائريون في أعقاب هذه المعاهدة ما يقارب: أربعة ملايين وسبعمائة واثنين وخمسين ألف ليفر"livers" واستولوا على ثمانين سفينة واسروا ألفا وثلاثمائة وواحد وثلاثين شخصا.[2]

و لم يتوقف البحارة الجزائريون عند هذا الحد بل وصلت عملياتهم إلى عرض المحيط الأطلنطي أين اتحدوا مع قراصنة سلا "sale" المغاربة الذين كانوا يقومون بالسطو على السفن الأوروبية.[3]

---

[1] عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص، 42.

[2] نفسه: ص،44.

[3] Roland courtinat : OP. Cit, PP.47-48.

نجح الفرنسيون في الحصول على معاهدة سلام في 1640 لكن بنودها اعتبرتها فرنسا مهينة لها و لم ترى هذه المعاهدة النور أبدا، ومنه يتضح انه من حادثة الباستيون ظلت العلاقات بين الطرفين تراوح مكانها و لم يتوصل الطرفان إلى صلح دائم، وبالرغم من ذلك سمحت حكومة الجزائر في عهد الأغوات للتجار الفرنسيين من مزاولة نشاطاتهم التجارية وأمر الريّاس بعدم التعرض لمراكب الفرنسيين بعد حصولها على ضمانات من حكام مرسيليا تتعهد فيها بإرجاع الأسرى الجزائريين.[1] وهذا ما يدل على أن إيّالة الجزائر هي الأخرى كانت لديها رغبة في العيش بسلام مع فرنسا.[2]

وفي ظل هذه الأحداث وصلت بعثة مرسيلية في نهاية شهر جوان 1659 يقودها "**لويس كامبون**" "**louis campon**" والذي كلفه الملك ليكون الحاكم الجديد والمدير العام للباستيون.[3]

وكما سبق وأشرنا فإن العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا، تمرّ بفترة من الفتور نتيجة الحرب العثمانية مع البنادقة، وموقف فرنسا لمساندة هذه الأخيرة، و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى حد اقتراح أحد السياسيين، تعين الوزير "**مازران** " في أكتوبر 1659 تنظيم حصار بحري على الجزائر وتونس وطرابلس.[4]ومع بداية حكم لويس الرابع عشر، مع بداية 1661[5]،

---

[1] Grammont : **relation**……, Op.cit., PP.279-281.

وأنظر: الملحق الخاص برسالة بارو إلى حكام مدينة مرسيلية والجزائر، سنة 1659.

[2] Plantet : **correspondance de dey**s…. op, cit, P.58.n.1.

[3] **أنظر**: الملحق: رسالة من الملك لويس الرابع عشر إلى إبراهيم باشا الجزائر، باريس. 14 جوان 1659.

[4] La ronciere, Ch.de : **histoire de la marine française**, T5, P 80-120.

نقلا عن: - charles-rouse. F **: France et Afrique des Nord avant 1830**, T.1, librairie Félix Alen, Paris, 1932, P.142.

[5] **لويس الرابع عشر**: ولد في سان جرمان أون لاي سنة 1638، وتوفي في فرساي سنة 1715، اعتلى عرش فرنسا في سن الخامسة، وتحديدا في عام 1643،نظرا لتوليه الحكم صغيرا، وضع تحت وصاية مازرا حتى عام 1661، تزوج من ماريا تيريزا عام 1660، لقبه الفرنسيون بالملك الشمس،نتيجة اهتمامه الكبير بالفن والأدب، كما عمل على توسيع مملكته، بالتوسع على حساب المناطق المجاورة. عرف بعدائه الشديد للبروتيستانتيين، الذين أطلق عليهم تسمية أعداء الدين، تعود أهم الأسباب التي ساهمت في ضعفه، هي حربه ضدّ آل الهابسبورغ1689-1697، وحروب الوراثة الإسبانية، التي أثّرت بشكل كبير على الملكية الفرنسية بسبب النفقات الباهظة.

أنظر: إبراهيم سعيود: **بعض جوانب العلاقات بين الجزائر وتوسكانيا خلال العهد العثماني**، مجلة الدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 12، الجزائر، 2007،ص، 310.

أجمع المؤرخون على اعتبارها بداية الحكم المطلق في فرنسا، ومناصبة العداء الصريح للجزائر· واستقر لدى الجزائريين قناعة من عدم جدوى عقد أي معاهدة مع النصارى، إلا أنهم أبقوا علاقتهم مع الباب العالي لكسب يد العون إذا تحالفت الدول الأوربية ضدها.[1]

2- أثر النشاط البحري في العلاقات بين البلدين في النصف الثاني من القرن 17.

- الحملة على جيجل وبداية القطيعة الطويلة الأمد:

اندلعت في منطقة القبائل ثورة ضد النظام المحلي، وهذا ما عول عليه الفرنسيون، إضافة إلى المشاكل الداخلية التي ألمت بالبلاد، يأتي في مقدمتها وباء الطاعون، وبالرغم من ذلك، فإن الجزائريون وحسب المصادر كانوا على دراية بهذه الحملة.[2]

دخل الملك الفرنسي في تردد كبير حول المكان الذي توّجه له الحملة وفي الأخير انتهى إلى اختيار جيجل بدل مدينتي عنابة وبجاية، ويعود هذا الاختيار إلى سببين رئيسيين هما: أهمية الموقع الاستراتيجي لجيجل، والسبب الأهم توفرها على عدد مهم من الرعايا الفرنسيين والأسرى.

أما عن أهم أسباب هذه الحملة فإنه يمكن إرجاعها إلى سبب مهم تجتمع عليه أغلب المصادر الغربية، حيث كانت كرد فعل انتقامي لنشاط البحارة الجزائريين، حيث وفي فترة لم تتجاوز سبعة أشهر وتمتد من أكتوبر 1660م إلى غاية آفريل 1660. قام الجزائريون بالاستيلاء على مايزيد عن مليونين من البضائع، وعلى حوالي ثلاثين سفينة، فضلا عن أسرهم زهاء خمسمائة أسير [3]

ومن خلال تفحصنا لهذا السبب نجد أن أعمال البحر فعلا من كانت وراء الاتفاق والعداء في حوض البحر المتوسط.- **سير الحملة:** عندما انتهت الاستعدادات، انطلقت الحملة من ميناء طولون في جويلية 1664 وتم اختيار أقدر الشخصيات لها وهو الدوق "دبوفورت"[4]

---

[1] Grammont : **relation**…, OP, Cit, P.292.
[2] Charle-rouse : OP, Cit, P.155.
[3] عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص، 71.
[4] غطاس عائشة: **المرجع السابق**، ص، 70-72.

وضمت القوات البرية 4650 رجل أضف إليهم كتيبة هولندية أخرى انجليزية، وقطع الأسطول البحري تكونت من 63 قطعة بحرية.

وصل الأسطول إلى مشارف بجاية في 21 جويلية[1] وبدأ الإنزال في 23 من جويلية، وهنا نسجل المقاومة الباسلة لسكان جيجل، لكنهم لم يستطيعوا الاستماتة في الدفاع، فتمكن الفرنسيون بفضل تفوقهم المدفعي من الدخول للمدينة، بعدما خرج منها كل أهلها، وضـــلوا يناوشـــون القـــوات الفرنسية، الذين لم يهنأوا بمقامهم نهائيا بالمدينة.[2]

وفي غمرة احتفال الفرنسيين بنصرهم، جهز علي آغا جيشا بلغ تعداده 3000 انكشاري، و500 من الأهالي[1] وفي طريق هذا الجيش انظم إليه عدد كبير من المتطوعين الراغبين في الجهاد، فوصل عدد الجيش قرابة 10000إلى 12000 مقاتل. [3]

فبالرغم من الاضطرابات التي كانت تعرفها الجزائر، إلا أن الأغوات استطاعوا هزيمة الجيش الفرنسي هزيمة نكراء، جعلتهم يفرون، تاركين خلفهم غنائم كبيرة، وجارين ذيول الهزيمة بلغ صداها ملك فرنسا لويس الرابع عشر، وسائر العالم المسيحي.[4]

انتهت هذه الحملة بعدما تركت أثرا كبيرا على الفرنسيين، وجعلتهم يدفعون جراء هذه الحملة ثمنا باهظا، خاصة بعدما أن كثف البحارة الجزائريون هجماتهم، ومداهماتهم لسفن التجارية الفرنسية، الأمر الذي دفع بلويس الرابع عشر إلى عقد معاهدة مع الجزائر.

---

[1] Waibed, E : **expédition du duc de beaufort contre djidjeli (1664) : in. R.A. 17**, 1873, PP. 218-219.

[2] Ibid. P.28.

[3] De castellan : OP, cit, P.27.

[4] عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص، 75.

– معاهدة 1666

في العام 1666 أبدى لويس الرابع عشر رغبة كبيرة في إبرام الصلح مع الجزائر، ولـــذلك كلف المفوض العام للقوات البحرية تروبير "Trubert" بالتفاوض مع الجزائر لإبرام السلام مع الجزائر.[1]

لم يجد تروبير أي صعوبة في إبرام اتفاقية مع الجزائر، رغم محاولة الانجليز الحيلولة دون ذلك، وانتهت حالة التوتر والحرب بإمضاء اتفاقية في 17 ماي 1666، والتي أقرها الملك[2] ومن جملة ما نصت عليه هذه المعاهدة ما يلي:

- اعتماد الطرفين نظام الجوازات؛
- عدم أسر رعايا وسفن الطرف الآخر؛

إطلاق سراح أسرى البلدين بالتبادل والافتداء. [3]

وهنا دائما نلاحظ، وفي كل المعاهدات، يتم التركيز على القرصنة ومخلفاتها، إما وقف التعـــرض المعاهدات السلمية لجزائر وبقية أمم أوربا.

ولكن هذا الوفاق لم يحظى بالاحترام من الطرفين، حيث أثناء دعوة رياس الجزائر من الشرق[4]، استولوا على سفن تجارية لفرنسيين، وفي شهر فبراير، أرسل مبعوث على رأس عمارة للشكوى.[5]

---

[2] D'arvieux : **mémoires de chevalier**, OP, cit, PP.209-217

[3] جمال قنان: **المرجع السابق**، ص 284-288.

[4] شارك الريّاس إلى جنب الدولة العثمانية في حربها ضد البنادقة في جزيرة كريت العام 1646 وإلى غاية 1669، راجع العلاقات العثمانية الفرنسية من هذا الفصل.

[5] Grammont H. D. de : **documents algériennes in. R.A.29**, 1885, PP.453-454.

هذا الاتفاق الذي حدث بين البلدين، والذي شابه العديد من المشاكل، ما لبث أن صار مشروطا بظهور فترة حكم الدايات من (1671-1830)، حيث تخلّى الدايات عن أيّة ليونة اتجاه الفرنسيين، وصل الأمر بالداي الحاج محمد بإرسال رسالة بتاريخ 23 سبتمبر 1674 إلى البلاط الفرنسي ضمنها الأسس التي تريد الجزائر لعقد أي معاهدة سلم مع فرنسا، وهذا نص الرسالة:

"... إن وسيلة تدعيم السلام بين بلدينا، هي أن تمنعوا رعاياكم من استقبال أكثر من ثلاث مسيحيين من أعدائنا على متن سفنكم، وأن لا يبحر رعاياكم على متن سفن أعدائنا، إن هذا سيكون سببا في القطيعة، وفي هذه الحالة خارجة عن نطاقنا ... كما أننا لن نسمح لكم بحجز رعايانا الذين يفرون من جنوة وليفورنة، ومن اسبانيا، ومن أماكن أخرى عندما يلجأون إلى مملكتكم بناء على السلام الذي بيننا..."[1].

ومع التقدم الزمني أصبحت فرنسا والجزائر في جرب التصادم الدائم، مما أدّى إلى تقليص نفوذ الريّاس في التدخل في قضايا النظام العسكري للدايات، وتشير رسالة مؤرخة في 02 أكتوبر 1673، أرسلها الحاج محمد داي الجزائر إلى الملك لويس الرابع عشر؛ يبيّن فيها سوء تصرفات أحد القباطنة الفرنسيين الذي يدعى "**داليراس** " والذي أقدم على استقبال 46 أسير وأخذهم معه منتهكا بذلك السيادة العامة للبلاد، حيث أدّت هذه الأحداث إلى المساهمة هي الأخرى؛ في تعكير العلاقات والقضاء على أي تقارب.[2]

و لم يتوقف تأثير البحرية في سير العلاقات بين البلدين، والتحكم في التقارب والتباعد عند هذا الحد، بل يمكن القول أنّه كان محرك العلاقة بنسبة كبير، فبعد القطيعة الطويلة الأمـــد، ازداد تعرض الجزائريين للمراكب الفرنسية في الحوض الغربي للمتوسط، وبدت ظاهرة ليونة الـــداي في

---

[1] غطاس عائشة: **المرجع السابق**، ص، 69.

[2] Plantet : Correspondance **Des Deys D .Alger avec LA Cour De France**. T1 (1579-1700). Op, cit, p.150.

التعامل معهم، فها بدأت فرنسا تفكر في سياسة الليونة من جديد بعدما كلّفتها الحملات العسكرية خسائر مادية وبشرية وحتى معنوية،

فقام الملك لويس الرابع عشر بإرسال رسالة إلى الداي الحاج محمد، يبلغه بقدوم قنصل جديد يدعى " **لوران دارفيو** "، بعدما فقد الدّايات ثقتهم في القناصل الفرنسيين مابين سنتي 1670 و 1674، وهذا يدل على ضعف البحرية الفرنسية وعدم قدرتها على تأمين الحماية لسفنها من جهة، وفشل قناصلتها في التعامل مع حكومة الجزائر، والتي كانت تتأثر غالبا بمشكل البحرية والأسر [1] .

من خلال الوثيقتين السابقين تبيّن أثر البحرية الجزائرية واضحا، في العلاقات بي البلدين؛ خاصة من الجانب الفرنسي، الذي كان دائما السبّق لتحقيق التقارب، بدافع حماية مصالحه التجارية تحديدا من البحّارة الجزائريين.

أما ما بين سنتي 1674و 1675، فإن العلاقات بين البلدين تميّزت بهدوء، وسلم ومصالحة ظرفيين، ورفض الجزائر لسياسة العداء والحرب، يمكن أن نرجع أسبابها إلى المشاكل التي عصفت بالبلاد في هذه الفترة، أو اهتمام الريّاس الجزائريين بمهاجمة سواحل كلابريا، و صقلية وإيطاليا ونابل وإسبانيا، وحتى السواحل البرتغالية، في فترة حكم الداي الحاج محمد الذي استأثر صهره بتسيير البلاد[2] ونستنتج هذا التقارب من رسالة الداي الحاج محمد، للملك لويس الرابع عشر،المؤرخة في 17 فيفري 1675 وجدناها تضمّنت عديد عبارات المودة و الاحترام، إضافة لذلك أشار الداي إلى هذه الفترة واصفا إيّاها بفترة السلم والإتفاق مع الفرنسيين، بالرغم من اعتقال الجزائريين لـ 25 أسير فرنسي، ورفض الجزائر إطلاق سراحهم[3]

وفي أواخر 1675 تمّ إستبدال القنصل " دارفيو " بالقس " لوفاشيه " لإدارة القنصلية الفرنسية بالجزائر، ممّا يدل على أنّ الوضع كان متذبذبا وحرجا، وقطيعة في العلاقات بين البلدين.

---

[1] Plantet : **Correspondance Des Deys D .Alger avec LA Cour De France**. T1 (1579-1700). Op, cit, p.150.p, 154.

[2] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830)**، ط4، دار هومة، الجزائر، 2007، ص، 139.

[3] Plantet : Op, cit, p, 155.

خاصة إذا علمنا أنّ الجزائر كانت في هذه الآونة تتعرّض للهجمات والغارات المكثّفة، من طرف الدول الأوربية [1] ، وظلت القطيعة بين البلدين، واستمرت سفن البلدين، تأسر وتغنم بعضها كلما سنحت لها الفرصة، وفي الفترة القادمة قامت فرنسا بإرسال حملة دوكين صيف 1682وقصف مدينة الجزائر [2] وكان عدد سفنها حوالي 60 سفينة وحدثت في عهد حسين باشا.[3]

وقد حدّدت فرنسا أهدافها من هذا القصف في :

- إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين في الجزائر، وخاصة الذين أسروا على طهر المراكب الفرنسية.
- تعويض الرعايا الفرنسيين عن الخسائر و الأضرار التي لحقت بهم.

و تحقّق لفرنسا أمر مهم؛ وهو إطلاق سراح ما لا يقل عن 57 أسير. لكن هذه الغلبة سرعان ما تحولت إلى اتجاه آخر بعد تولي " حسين ميزومورتو" زمام الأمور، والذي أصرّ على عدم إبرام صلح مع شخص ليس له عهد قاصدا بذلك " **دوكين** " [4]وفي ظل التباعد الجزائري فرنسي، بدأت التقارب بين الجزائر وانجلترا من جهة، وبين الجزائر وهولندا من جهة أخرى عام 1679 [5] ،وهذا ما دفع بفرنسا إلى السعي وراء إعادة العلاقات مع الجزائر إلى طبيعتها السلمية.

---

[1] **يحي بوعزيز: المرجع السابق ، 83.**

[2] جمال قنّان: **معاهدات الجزائر وفرسا**، المرجع السابق، ص، 89.

[3] التلمساني: **الزهرة النيرة: المصدر السابق**، ص، 23.

[4] جمال قنّان: **معاهدات الجزائر وفرسا**، المرجع السابق، ص، 89.

[5] اندلعت الحرب الهولندية الانجليزية (1665-1667) ما جعل الهولنديين ينسون سياسة الليونة وعدم التعرض للسفن الجزائرية، لكن الرياس كثفوا نشاطهم اتجاه الهولنديين وسفنهم وفي سنة 1668 هاجم الجزائريون بارجة هولندية، وستة سفن تجارية، ما أثار حفيظة الهولنديين وجعلهم يقنعون الانجليز للمضي جنبا لجنب، لوضع حد للجزائريين وهذا ما كان لهم فعلا بعد أن غنموا سبع سفن جزائرية عام 1680، ومنذ ذالك التاريخ وهولندا والجزائر في عداء دائم وحرب معلنة وسلم مؤجل إلى غاية عام 1679، أين أبرمت هولندا أولى معاهداتها مع الجزائر.و لم تدم هذه المعاهدة وفي عام 1686 أعلنت الجزائر الحرب على هولندا، لكن أمام قوة البحرية الجزائرية وقدرتها على فرض وجودها، حيث تمكنت من تدمير ثلاثين سفينة في فترة قصيرة 1686-1712 فاضطرت هولندا على استرضاء الجزائر وعقدت معها معاهدة عام 1712: .أنظر:

-Krieken : OP.cit,P.66-67-68

– معاهدة 1684: (معاهدة السلم المئوية)

في "25 آفريل 1684" تمكن دوترفيل من إبرام معاهدة صلح بعد مفاوضات دامت أيام تضمنت هذه المعاهدة 29 بندا، ونصت على أن يكون السلام لمدة مئة سنة[1].

نقل جمال قنّان أهّم بنودها في كتابه: "نصوص ووثائق"، وكان من أهم ما جاء فيها ما تعلق بالبحرية والأسر؛ ليدل مرّة أخرى على دور البحرية الكبير، في معادلة العلاقات الجزائرية الفرنسية، ومن بين البنود التي أورت أمر البحرية، البنود التالية على ترتيب ورودها في المعاهدة:

البند 04: للوصول إلى السلم المعني، إتّفق الطرفان على حرية شراء الأرقّاء دون تمييز؛

البند 07: عندما تلتقي السفن المجهّزة للحرب، سواءا كانت قد خرجت من ميناء مدية الجزائر، أو من أي ميناء من المملكة...، سوف يترك لها الحرية لمتابعة رحلتها بدون أيّة عرقلة...، ولا يرسل إلى المراكب لتفتيشها سوى شخصين، وطاقم القارب...، ونفس الإجراء تتّبعه السفن الفرنسية مع المراكب الخواص التابعين لمدينة ومملكة الجزائر؛

البند 08: تستقبل السفن الحربية والتجارية، على السواء في موانئ كلا البلدين، وتعطى لها كل أنواع المساعدة؛

البند 09: إذا هوجمت سفينة تجارية فرنسية، كانت راسية في ميناء مدينة الجزائر، أو أحد موانئ المملكة، من طرف سفن حربية معادية...، سوف يدافع عنها وتحمى؛ من طرف الحصون، وذلك نفس الالتزام الذي يتعهّد به إمبراطور فرنسا[2].

والملاحظ جليا من بنود هذه المعاهدة، أنّ أمر نشاط البحرية الجزائرية ونظيرتها الفرنسية، شكّل المحور الأساسي الذي دارت حوله المعاهدة، وحضي بدرجة اهتمام بالغة فاقت حتى الجانب

---

[1] جمال قّان: معاهدات الجزائر وفرنسا، المرجع السابق، ص، 97.

[2] جمال قنّان: **نصوص و وثائق**...، المرجع السابق، ص، ص، 158-159.

التجاري، بدافع أنّه لا تجارة دون سلام بين البلدين، خاصة السلام البحري، والذي من شـــأنه أن ينعكس إيجابا على مظاهر العلاقات الأخرى .

أما على العموم فإنّ المعاهدة لم تجد حلا هائيا، لنشاط البحرية المزدوج بين البلدين، وبالرغم من هدوء العلاقات بين البلدين و استقرارها نسبيا، وإطلاق بعض الأسرى، و تبادل الهدايا، لكن سرعان ما توترت العلاقات مرّة أخرى.[1]

بالرغم من استمرت هذه المعاهدة وكان أهم سبب وراء ذلك هو دخول فرنسا في حرب ضد الانجليز، وهو ما جعل فرنسا تسعى جاهدة للحفاظ على السلام بينها وبين الجزائر، و لم تقف عند هذا الحد، بل وصلت إلى حد محاولة إقناع الجزائر بقطع علاقاتها مع انجلترا.

لم تستمر معاهدة السلم المئوي سوى ثلاث سنوات، حتى قامت فرنسا بإرســـال حملـــة أخرى، يترأسها " **ديشري** " في 26 يونيو 1688، لكنها فشلت، ونتيجة لما آلت إليه الأحداث بعد هذه الحمـــلة وبعد تكبد الطرفين لخسائر كبيرة في عرض المتوسط، [2] انتهـــت هذه الحملة بإمضاء معاهدة في 24 سبتمبر 1689، لكن تسوية الخلافات لم تأخذ صورة نهائية إلا بعد سنة 1694[3].

وخلاصة القول في هذا الفصل أن شخصية الجزائر وهيبتها، في القرن السابع عشر أكسبتها مكانة سياسية مرموقة، وحددت مبادئ وأسس علاقاتها مع غيرها من أمم أوربا، هذه الشخصية التي ما كان للجزائر اكتسابها، إلا في ظل قوة بحرية و رياس كرياس الجزائر في هذه الفترة.إن كل معاهدات الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط، كانت انعكاس للنشاط المزدهر للبحرية الجزائرية

---

[1] جمال قنان: **معاهدات الجزائر وفرنسا**...، المرجع السابق، ص، 111.

[2] **ديشري وقصف مدينة الجزائر**: استغرق القصف نحو 26 يوما وبلغ عد القنابل 10420 قنبلة، أصابت مختلف المنشآت ،وبلغ عدد المباني المتضررة إجمالا نحو 9200 مبنى وفي هذا الصدد يقول أحد التجار الانجليز: "... إن عشرين سنة لن تجعل مدينتكم جميلة مثل جمالها السابق...." **أنظر**:عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص،71.

[3] عائشة غطّاس: المرجع السابق، ص، 72.

في القرن السابع، التي خلفت أضرار كبيرة بأمم أوربا، وخاصة الجانب التجاري لها، ما دفعها للهث وراء استرضاء الجزائر، وإبرام معاهدات الصلح معها.

شكلت العلاقات الجزائرية الفرنسية حجر الزاوية في العلاقات الخارجية للجزائر، لما كان لها من تداعيات، أثرت على السكينة العامة للمؤسسات الداخلية للجزائر عموما، والمؤسسات البحرية خصوصا، فالحملات التي قادتها فرنسا تباعا على الجزائر خلال هذا القرن تنم عن الحقد الصليبي والرغبة الجامحة في تحطيم قوة بحرية و رياسها.

كما أثبتت كل الحملات التي سيرت لاحتلال الجزائر، فشل دول الحوض الغربي للمتوسط سياستها الخارجية مع الجزائر، وأثبتت أمة قوية قادرة على مجابهة الأخطار طيلة 03 قرون كاملة، وأثبتت أن البحار الجزائري هو أعتى وجه جبار في عصره. [1]

تدل جل المعاهدات على أن الجزائريين لم يكونوا السباقين لإبرام هذه الاتفاقيات، أوهم من سعوا لإبرامها، بل على العكس، وهذا ما ينقد ما ذهب إليه المؤرخون الغربيون، كـــون ســـكان المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا لا يفقهون في الدبلوماسية شيئا. [2]

---

[1] وليم سبينسر: المرجع السابق، ص 221.

[2] عائشة غطّاس: المرجع السابق، ص، ص، 73-74.

الخـــــــــــــــاتمة

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا:إنّ البحر المتوسط شكّل نقطة الصراع، بين شعوب الضفتين، فهدفت كل شعوب الحوض الغربي للمتوسط ملامسة سواحله والعيش على المناطق المتاخمة له، والاستفادة من أهميته الجغرافية والتجارية، و شكل البحر المتوسط منطقة صراع ديني كذلك، بين الإسلام والنصرانيين، وكان هذا العامل محرك أساسي لهذا الصراع، فقد أظهرت الكنيسة تأثيرها المعنوي، والمادي في توجيه موازين القوى، إلى جانب المنافسات التجارية، واكتشاف أهمية الطرق البحرية ذات الأبعاد الإستراتيجية؛ فقد اكتسب البحر المتوسط أهمية كونه منطقة حضارية، وفي كونه أيضا طريقا عالميا للتجارة والعبور الدوليين، بين أجزاء العالم في العصر القديم والوسيط، وبين شعوب العالم في العصر الحديث و الجديد.

ثانيا: إنّ ميزان القوى مع أواخر النصف الثاني من القرن الخامس عشر، وتحديدا بعد استكمال إسبانيا وحدتها عام 1467م، بزواج فرديناند وإيزابيلا، تحول ميزان القوى، ولم يصبح في كفة المسلمين، بعدما تفرقت وحدتهم، و قلّ تعاونهم، فانكمش و انحصر وجودهم البحري، و ضاعت منهم قواعدهم البحرية، و جزرهم، و توطنوا متفرقين في المغرب الأوسط، و الأدنى، و الأقصى، و تحولت سواحلهم إلى معاقل دفاعية، و عرضتهم إلى الخطر الإسباني الذي استولى على أهم مراكزهم البحرية، كالمرسى الكبير، و وهران، مما استدعى بعث جديد لحركة جهادية بحرية، الذي انتظر وصول آل بربا روس ؛ لبعث الجهاد البحري من جديد، في الحوض الغربي للمتوسط.

ثالثا: عرفت منطقة شمال إفريقيا، أو ما درج عند المؤرخين في كتاباتهم بالمغرب الإسلامي، أحداثا سياسية و أوضاع داخلية غاية في التداخل و التشعب، فمع مطلع القرن السادس عشر تأزمت الأوضاع الداخلية، خاصة السياسية منها لشمال إفريقيا عموما، و هذا نتيجة لأحداث تعود زمنيا للقرن الثالث عشر، بسقوط الموحدين و انقسامها إلى ثلاث كيانات سياسية، مما عجل في قدوم الإخوة بربا روس، الذين قدموا خبرتهم البحرية لخدمة السكان، وساهموا كما – يرى المؤرخين –

في الحفاظ على شمال إفريقيا كمنطقة إسلامية، هذا من جهة، و الوقـــوف في وجـــه الحمـــلات الصليبية التي هدفت لتمسيح شمال إفريقيا، عملا بوصية الملكة إيزابيلا.

رابعا: ساهمت خبرة الأتراك بالبحر، والغزو فيه، على تقديم يد العون والمساعدة للإخوة النازحين، من الأندلس، بعدما عانوا من بطش الإسبان، والتعميد القسري، وحافظوا على التوازن في الحوض الشرقي للمتوسط، وتواجد المسلمين فيه، بالمقابل ساهم الأندلسيين في تطوير هذا النشاط، بما لهم من خبرة فيه.

خامسا: تبين أن القرصنة؛ كمصطلح لها دلالاتها وتختلف تفاسيرها، بـــاختلاف الإيـــديوليجيات والأهداف، ورست على ثلاث مفاهيم هامة؛ فهي حرب القرصنة، وهـــي اللصوصـــية، وهـــي القورصو، لكن لكل مفهوم دلالاته وأبعاده، فالجزائر تبنت حرب القرصنة باعتبارها حربا معترف بها دوليا، ويقرها الطرفان، الإسلامي والمسيحي.

سادسا: ساهمت عدة عوامل في ازدهار الغزو البحري للجزائر في العهد العثمـــاني، وفي القـــرن السابع عشر تحديدا، وهنا نشير إلى طبيعة الأتراك، كونهم أمة بحرية، دون إغفال عوامـــل مهمـــة أهمها الموقع الهام للجزائر، وثانيها المساهمة الكبيرة والدعم التقني، الذي قدمه عرب الأندلس بعـــد نزوحهم، وخبرتهم في صناعة السفن، والتجارة، وغيرها من النشاطات التي أعطت دفعا كبيرا لهذا النشاط.

سابعا: عرفت عائدات البحرية، من غنائم وأسرى تطورا وتزايد في المداخيل، وأصبحت البحريـــة الجزائرية من أهم القوى البحرية في المتوسط، من النصف الثاني للقرن الســـادس عشـــر، وحـــتى النصف الأول من القرن السابع عشر، وبدرجة أكبر في الثلاثينات منه، وعرفت غنـــائم البحريـــة مراحل اختلفت عائداتها من مرحلة لمرحلة؛ حيث نرى أن القرن السابع عشر يقسم لثلاث مراحل

لكن وبالرغم من تدني مستوى نشاط البحرية الجزائرية، في نهاية القـــرن الســـابع عشـــر، إلا أن عائدات سنوات الركود، فاقت سنوات العطاء، في القرن الموالي والمثال التالي يبين ذلك:

كما سبق و أشرنا أنه في غضون عشرين يوما في عام 1656، غنم الجزائريون ستة عشر مركبا في المياه البرتغالية وحدها، كان على متنها حوالي 500 رجل و امرأة، في حين أنه في سنة 1727، لم يغنم البحارة الجزائريون سوى 25 مركبا، و 249 أسيرا في عام كامل.

ثامنا: شكلت ظاهرة الأسر في الحوض الغربي للمتوسط، ظاهرة بالغة الأثر على الوضع الاجتماعي، لشعوب الضفتين في العصر الحديث، بانتشار ظاهرة القرصنة –النشاط البحري- في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، من الجانبين الإسلامي و المسيحي، حيث أصبح الأسر آفة عالمية، ونشير إلى أن الأوربيين في هذه الفترة، أسروا وباعوا مايقارب خمسون مليونا، في ظروف جد قاسية، بالمقابل مارس الجزائريون الأسر كرد فعل، لكن ظروف الأسر كانت أرحم من تلك التي كانت في أربا، والدليل على ذلك الكتابات التي تركها بعض الأسرى أمثال: Aranda، **آروندا**، الذي ترك مؤلفه الشهير حول الأسر، فهل كان لآروندا التأليف، لو كانت ظروفه لا تسمح، ورسالة الدكتوراه التي قدّمها الأستاذ إبراهيم سعيود: حول الأسر في المتوسط، بينت بدرجة أكبر المعاناة التي عاشها الأسرى المغاربة عموما.

وهذا لا يمنعنا أن نشير، إلى أن عائدات الأسر تأثرت في السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر، حيث تراجع عدد الأسرى من نحو 8000 أسير، سنة 1650، إلى ما يقارب 2600 أسير فقط سنة 1698.

لكن بتراجع عدد الأسرى، ارتفع ثمن الافتداء لتعويض النقص، في مداخيل الإيالة، حيث نشير إلى أن ثمن الافتداء، كان ما يقارب 155 ريال، أي حوالي 465 ليرة فرنسية، عام 1644، لكنه ارتفع إلى 800 ليرة أي حوالي 720 ليرة فرنسية عام 1685؛ مما دل فعلا على ترجع نشاط الغزو البحري.

تاسعا: بدأت البحرية تعرف تراجعا، متدرج بوتيرة بطيئة نحو التقهقر، وساهم في هذا الضعف عدة عوامل؛ منها من كان انعكاسا لأحداث سياسية عرفتها الجزائر؛ نتيجة عدم استقرار نظام

الحكم فيها طيلة القرن السابع عشر، والتي عرفت ثلاث أنظمة حكم في قرن واحد، مما أثر على الاستقرار العام عموما، والنشاط البحري خصوصا.

عاشرا: لم يقتصر النشاط البحري على فئة الأتراك، أو حتى السكان المحليون، بل ننوه بالدّور الكبير لفئة الأعلاج، التي ساهمت في دفع عجلة الغزو البحري، والمساهمة في تطويره تقنيا، لمعرفتهم بالملاحة الأوربية، ونقلهم لعديد الخبرات الأوربية للبحرية الجزائرية.

إحدى عشر: تقلصت عائدات الغزو البحري تباعا، و شكلت معاهدات السلام، التي أبرمتها الجزائر و دول أوربا، عائقا كبيرا لها، فالصراع القائم في الحوض الغربي للمتوسط، كان نتيجة النشاط البحري للأمم المتاخمة لضفافه، وكان هدف كل أمة التسيد والتزعم، للحفاظ على مصالحها التجارية، وتأمين خطوط النقل البحري لتجارتها خارج أوطانها، ولما كانت البحرية الجزائرية قادرة على فرض وجودها، تسببت في خسائر كبيرة لشعوب أوربا تجاريا، مادفع أمم وممالك أوربا، التودد لحكام الجزائر، لإبرام معاهدات واتفاقيات السلام، في بعض الأحيان، ولما أضرت بها هذه المعاهدات، لجأت لكسر شوكتها؛ عن طريق الحملات والتحالفات عليها.

اثني عشر:عرفت الجزائر وفرنسا صراعا محتدما، ولعبت القرصنة دورا كبيرا في تحقيق التقارب والتباعد، فمنذ 1619 وإلى 1700، عقدت خمسة عشر معاهدة تقريبا بين الجزائر وفرنسا، ما بين تجارية وسياسية، المطّلع على بنودها، لا يكاد يجد أي معاهدة لا تذكر القرصنة والنشاط البحري، مما يدل على أن البحرية كانت دافعا قويا لإبرام الاتفاقيات والمعاهدات، وتحقيق التقارب. وشكلت سببا لفك هذه المعاهدات، نتيجة الاعتداء من جانب أحد الطرفين على سفن الثاني.

وأخيرا نتمنى أن نكون قد وفقنا في الإجابة على الإشكاليات التي طرحناها آنفا، وأن نساهم ولو بالشيء القليل في إثراء المكتبة الوطنية، بهذا العمل المتواضع، الذي سيكون بإذن الله فاتحة تساؤلات جديدة، ذات أبعاد أوسع وأشمل، وأكبر مجالا، حول موضوع القرصنة في المتوسط، لكي لا يقتصر العمل على الجزائر وفي فترة موجزة، بل التساؤل حول واقع القرصنة البحرية في الحوض الغربي للمتوسط بضفتيه في العصر الحديث، فنتمنى من الله عز وجل التوفيق.

الملاحـــــــــــــــــق

الملحق رقم1: "رتب أطقم الرياس"

1-**القبطان رايس**: هو قائد السفينة، ويعتبر الرايس القائد الأوحد على متن السفينة التي يقودها سواء كان موريسكيا، أو سودانيا أو تركيا عثمانيا، أو من العنصر المحلي العربي، أو الأمازيغي، أو كرغليا، الجميع يخضع له حتى الإنكشاريون، الذين على ظهر السفينة.

2-**الباش رايس**: وهو نائب قائد السفينة، ومساعده الأول، ونحصر مهامه في توزيع المهام على البحارة، والسهر على الانضباط داخل السفينة.

3-**مورصو رايس**: وهو نائب ثاني لقائد السفينة.

4-**رايس العسة أو الورديان باشي**: وهو مفتش المركب والمشرف على صيانته والعناية به.

5-**باش دومنتجي**: وهو ضابط الأشرعة في المركب يشرف على كيفية استعمالها في الحرب.

6-**باش طبجي**: وهو ضابط الأشرعة في المركب، يشرف على صيانة المدافع وتجهيزها للحرب.

7- **الخوجة**: وهو كاتب السفينة ويعمل كمحاسب، وموثق إذ يسجل المداخيل ومصاريف السفينة، في دفتر خاص بالغنائم.

8-**الخزناجي**: وهو محافظ خزينة الذخيرة الحربية، والأموال اللازمة للصرف والأغذية.

9-**باش جراح**: وهو الطبيب الجراح الذي يرافق المركب لمعالجة المرضى والمعطوبين خلال السفر والمعارك.

10-**باش الطريق**: وهو رئيس فرقة الأنكشاريين المرافقين للمركب:، ومهمته الإشـــراف علـــى المجذفين، والهجوم على مراكب الأعداء خلال المعارك والمواجهات، ويبقى المجذفون مربوطـــون في أماكنهم ولا يتحركون منها في السلم والحرب.

11-**الآغا**: أعلى رتبة في الجيش البري.

12- **الإمام** : ومهمته إقامة الصلوات وتلاوة القرآن، على متن السفينة والدعا ء للبحارة بالنصر، مما يدل على التمسك بالشريعة الإسلامية، ويضفي البعد الجهادي على الغزو البحري.

13-**قلفاط**: مسؤول على دهن المراكب بالقطران، حتى لا تتشقق وتتكسر.

14-**الصندل رايس**: وهو المسؤول عل معدات القارب أو السفينة.

الإدارة البحرية: وتتكون من:

1-**وكيل الحرج**: وهو الرئيس الأعلى لكل المراكب والسفن الجزائرية، ويعتبر بمثابة وزير البحرية حاليا، وله سلطة الإشراف على:

- رئاسة دار صناعة السفن(الترسانة)

- يهتم بكل ما يتعلق بالشؤون الخارجية للتجارة والنقل البحري

2-**قائد المرسى**: هو المسؤول عن الميناء وشرطته، والمخازن والمراكـــب الداخليـــة والخارجيـــة، التجارية والحربية.

3-**خوجة قائد المرسى**: وهو الكاتب الذي يتولى تسجيل كل شيء مما يدخل ويخرج.

4-**الورديان باشا**: وهو مفتش الميناء الذي يراقب ويحرس كل شيء، من رجال وسلع وكل ما يجري في الميناء.

5-**القبودان**: يعد القبودان من أبرز ضباط البحرية الجزائرية فهو القائد العام للأسطول عند خروجه لعرض البحر.

6-**المزوار**: وهو رئيس شرطة الأخلاق العامة ومستخلص الضرائب المومسات، وقد جرت العادة في الشتاء أن يتراعى سلاح السفن ويتفرغ للبحارة، إلى إصلاح السفن وإعداد التجهيزات المختلفة لها، أما في الربيع فيشرع الرياس والبحارة في الخروج إلى البحار للتجارة والصيد والحرب، ويستمر ذلك إلى نهاية فصل الخريف، وربما يتوقف الرياس لفترة وجيزة على الخروج للبحر.

أنظر:

- إبراهيم بك الحليم: **تاريخ الدولة العثمانية العلية**، دار المعارف الإسلامية، ط1، لبنان، 1988، ص، 120- 200.

- إسماعيل سرهنك: **حقائق الأخبار عن تاريخ دول البحار**، مطبعة بولاق، إصدار جديد، ص، ص، 25-60.

- مصطفى بركات : **الألقاب والوظائف العثمانية**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، " الباب الثاني الألقاب والوظائف"

- يحي بوعزيز : **المرجع السابق**، ص، 172.

- moulaybelhamissi : op , cit, p77.

-كورين شوفاليه: **المرجع السابق**، ص، ص،51.

الملحق رقم 02: قائمة بأسماء المبعوثين إلى البلاط الفرنسي:

اســـــــم المبعوث	المهمـــة
كينان آغـــــــــا روزان بـــــــاي .	كلفهما الديوان بالتفاوض بعد قطيعة 1608 . تمكنا من ابرام معاهدة 1619 . تم اغتيالهما بمرسيليا بعد ما انتهيا من المفاوضات في 14 مـــارس 1620 . وبقيت معاهدة 1619 بذلك حبرا على ورق .
الحـــــــاج جعفر (سفيـــــــــــــــر)	جاءت هذه السفارة بعد معاهدة 1684 . تشكلت أساسا من الحاج جعفر آغا وشاطر باشا . كان وصولها الى مدينة باريس في 29 جوان 1684 . وتحادثت بقصر قرساي مع الملك لويس الرابع عشر . يسجل علـــى المبعـــوث الجزائـــري اللهجة الصارمة التي خاطب بها ملك فرنسا . أتاحت هذه الزيارة لإفراد البعثة التعرف على أشهر الأماكن بباريس . كما التقى الحاج جعفر بالأميرة كونتي . دامت إقامة هذه الـــــسفارة عدة أشهر من نهاية يونيو إلى نهاية سبتمبر .
الحـــــــــــاج محمد (سفيـــــــــــــــر)	– كلف من طرف الداي الحاج حسين لاسترجاع الأســـرى الجزائـــريين الذين تأخرت فرنسا عن إطلاق سراحهم . – رافقه ابنه محمد شلبي .
محمد الأميـــــــــن (مفاوض)	عهد اليه بعد قنبلة دسترى لمدينة الجزائر 1688 ، بالتفاوض حـــول شـــروط السلم . وهو الذي وضع شـــــروط المعاهدة انظر نص المعاهدة .

عائشة غطاس:المرجع السابق. الملاحق. النسخة المعتمد عليها في البحث لا يوجد بها ترقيم للملاحق

الملحق رقم03: ملحق الرسائل

الرسالة رقم 01:

حسان فتزيانو ، باشا الجزائر.

إلى السادة : قناصل وحكام مدينة مرسيليا .

الجزائر ، بتاريخ 28أفريل1579م.

السـادة، أصحـاب الفخامـة.

جاء إلى هنا ، المسمى فرانسوا قيقيتو مسؤول بعثة القنصل، والمكلف بمهمة تمثيل النقيب مـوريس سورون الذي سيكون العوض للقنصل ، لكن نحن الذين نريد أن نبقى مـتفقين ، للاعتبـارات القديمة ، والتنازلات التي نكنها لجلالة الملك هنري الثالث ، صديقنا العزيز الذي هو ملككم .إذ لا نجد أي وسيلة من أن نضع في الحسبان شيئا فوق طاقتنا يضر بروح تجارة الشعب والجميع ، إذ لا يقبلون إطلاقا السلطة الجديدة التي أنتم بصدد فرضها عليهم، والتي تلقى اسـتنكار الجزائـر .وفي حال إذا أسندت بالقوة سنكون متفاجئين من أنكم سمحتم بذلك ، مع العلم أن الذين سبقوكم لم تكن لهم الجرأة لفعل ذلك ، وهذه الفعلة ستلحق بكم وبنا الضرر .فعندما تطلبون منا أشياء تتوافق وعاداتنا وواجباتنا ، لا نتردد في أن نسفر لكم عن إرادتنا الصادقة التي سترضيكم . ليحفظكم الله ويرعى نجاحاتكم .

(الختـــم)

P ALANTET : Correspondance **Des Deys D .Alger avec LA Cour De France**. T1 (1579-1700). Op, cit, pp81-82.

ملاحظة: تعريب الطالب بمساعدة أستاذة الفرنسية: السيدة عرابي، ونفس الملاحظة على بقية الرسائل

الرسالة رقم 02:

من حسن باشا الجزائر

إلى السادة: قناصلة وحكام مدينة مرسيليا

الجزائر، 15 جوان 1620م.

"تحمل هذه الرسالة التي أرسلت إليكم كل معنى الصداقة والتي بعثت من الجانـــب الآخر،لأجـــل شؤون الصداقة،وكذلك لأجل " كنان أغا" ... بحيث لم يحدث شيء يمكن أن يظهر بوضوح،و لم نستلم أي رسالة من طرفكم منذ ستة أو سبعة أشهر ولا سفينة من موانئكم. ولأنه لم يصـــلنا أي جديد،لهذا كتبنا وبعثنا هذه الرسالة الحالية،وهذا لتكتبوا بإسهاب حول شأن " كنان أغا " وبكل عناية (وسرعة) ، والذي شاع النبأ بأنه بدون سبب ولا ذنب قتل المسمى " كنان أغا " . كذلك لتيقننا بأنه لا يمكننا أن تفعل أي شيء،لأنه وكما هو معروف لا يمكن إلحاق الضرر بالســـفراء في كل الأمم.وإذا أحدث لنا بعض الخائنين سوءا (ضررا)، سيلقى الذنب عليهم ... والسلام عليكم أجمعين ... " حرر في الخامس عشر من جوان 1620م.

(ختم) حسن،باشا الجزائر.

P ALANTET : Correspondance **Des Deys D .Alger avec LA Cour De-France**. T1 (1579-1700). Op, cit, pp87-88.

الرسالة رقم 03:

سليمان ، شوكس الجزائر .

السادة : قناصل وحكام مدينة مرسيليا .

الجزائر ، في 10أفريل1623م.

السادة ،

بوصولي إلى هذه المدينة والذي صادف 19 مارس ففور وصولي إلى هناك قابلت باشا هذه المدينة حيث نقلت إليه موضوع زيارتي وأطلعته على المنشور الخاص بحكم.فأجاب بأن أمر هؤلاء سكان المدينة لا يعود إليه هو ، بل يجب عرضه على ديوان الميليشيا ، وهو ما جعلني أمثل أمامهم في اليوم الوالي والذين أبقوني عندهم إلى غاية يوم السبت وهو يوم الذي تم فيه عرض التوصيات المذكورة والتي تم قراءتها علنا وبصوت عالي وتم الإجماع عليها . بعدها أجابو بأنهم يبتغون الأمثال للحاكم ولكن بما أن الحاكم استمع إلى شكاوي الفرنسي دون سماع شكاويهم ، فإنهم قد انتدبوا وراسلوه ليجيب ، وفي نفس الوقت ليطلعوه على موت لآغا كينان ومسلمين آخرين قتلوا معه بالأضافة إلى تسابق السجون بحيث تم سلبهم أراضيهم ومطاردة كل المسلمين سواء برا وبحرا وهو ما أحدث ضجة عظيمة أوضح لهم بأن إيفادي إليهم ليس من أجل شكاويهم ولكن من أجل جعلهم يقتلوا لأوامر حاكمي . وبعد جملة من الاحتجاجات أكدت على الديوان ما تم إرسالي لأجله وأخيرا ترجوني لكي أبقى في هذه المدينة حتى عودة نوابهم (موفديهم) . وبوصولهم حملوني ردا موسعا . وكل ما شهدته لم يكن له أي داع وبذهابه إليهم وجد صعوبة كبيرة وبأن حاكمي تتمتعون بهذه الرفاهية ، والتي يجب أن يضمنوا بأن لا تضع . وأن يضمنوا بأن يستدعوا من جديد القيادات ، وأن أعلمهم بأنني سأتوقف حتى مجيئهم ، لكي نحاول من جديد ، كذلك أرجوا وبتوفيق من الله أن أنجز وأتمم ما يريده سيادته العظمى . وهذا لأنني خلال 12إلى 13يوما تقريبا كنت متشائما ، وكذا أنني لم القى حسن العاقبة ، لكن الآن أرى أن الأمور في أحسن حال وكذا متغيرة كثيرا.

في الواقع انضم الباشا إلى جنود القراصنة ، الذين قاموا بمقاومة كبيرة ، والذي منحوني حمولات جيدة لكي أتوقف عن متابعتهم ، ومثال عن سلفي (سابقي) الذي أتى من أجل عمل مع الإنجليز لكنهم كانوا يختبرون جلدي (استقراري)، لكنهم وجدوني صلبا كصخرة...وقد أعلن أمر قيادة الديوان من طرف المدينة .هذا ما بين نوايهم الحسنة وبأن لهم الرغبة في طاعة أوامر سيادتكم العليا ، وبأن أضمن لهم السلام معكم ...و نرجوا من الله أن يعطينا حسن المثاب .

سادتنا أرجوا منكم بأن ترسلوا لي 63 هدبا ،وبعض الأقمشة الخضراء الجيدة ، وبصبغة جيدة، 18بنفسجية داكنة لكي نصنع منها سراويل وهذا للباس رجالي ،وبأن تفعلوا كل ما يمكن .وهذا ما يلزمني بخدمتكم .

حرر بالجزائر ، في اليوم 10 من أفريل1623.

صديقكم المخلص وخادمكم.

سليمان ،شوكس الجزائر .

Plantet : Correspondance **Des Deys D .Alger avec LA Cour De France**. T1 (1579-1700). Op, cit, pp92-93.

الرسالة رقم 04:

رسالة لويس الرابع عشر إلى إبراهيم،باشاالجزائر

باريس، 14 جوان1659

السيّد المجيد والعظيم لتقليدنا بمنصب حاكم وقنصل باستيون فرنسا في" بلاد البربر "السيّد لويس كامبون،حارس مدينتنا مارسيليا،لأجل إعادة تجارة هذا المركز إلى نصابها،وددنا حقًّا أن نكاتبكم بهذه الرسالة،لنقول لكم أنّه سيسرّنا غاية السرور أن ترعوه بنفوذكم وحمايتكم،وأن لا تقبلوا بأن يفعل أو يوضع أو يسبّب له أيّة بلبلة أو عرقلة،لكن على العكس أن يمنحك لّالعونوا لمساعدة الّتي سيحتاجها،كما كنا سنفعل في حال مماثل،لو طلب منّا ذلك.الحال أنّنا ندعو الربّ أن يجعلكم،السيّد المجيد و العظيم،في رعايته المقدّسة .

كتب في باريس،اليوم الرابع عشر من جوان 1659 .

- E. Plantet : Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France. Tunis, éd. Bouslama,1981, T. 1, p. 56.

الرسالة رقم 05:

رسالة القنصل بارو إلى حكّام مدينة مارسيليا .الجزائر، 26 نوفمبر1659

رسالة السيّد بارو إلى السّادة قناصل وحكّام مدينة مارسيليا

الجزائر، 26 نوفمبر1659

سادتي:

لقد تلقيت بكلّ ما أمكنني من احترام من الموّقر الأب هيرون الرسالة الّتي طاب لكم أن تكتبوها لي،ولم أقصّر لذلك في إسداء مختلف الخدمات له،ليس ما وددت حقًّا،بل على الأقلّ ما أتاح لي الزمن و المكان القيام به،مثلما يمكن للأب الموّقر المذكور أن يخبركم به مشافهة .ستعرّفكم حملته للافتداء المكلّلة بالنجاح بصدق السيّد خليل والديوان،الّذين بذلوا له من الحماية و المجاملات بقدر ما أملتم به من وثوق مبني على الرسائل الّتي كان لي الشرف بمكاتبتكم بها من قبلهم لأجل حريّة التجارة ،وقد كانت لكم إثباتات عنها.وليؤكد لكم زيادة هذا التوافق الحسن،أمرني السيّد خليل المذكور أن أعلمكم بالعدالة الّتي طبّقها إزاء قبطان وضبّاط سفينة قرصنة من هذه المدينة ،الّذين بلغت بهم الجسارة عند ملاقاتهم قاربًا عائدًا من هذه المدينة إلى مارسيليا،الصعود على متنه ومعاملة الطاقم والركاب كأعداء؛ وبناءً على الشكوى الّتي تقدّمت بها إلى السيّد المذكور وإلى الديوان،قاموا بتكبيل القبطان المذكور بالسلاسل في القصر و،أوّل يوم انعقاد الديوان،تمّت معاقبته ضربًا بالعصا، ومعه البلوكباشيّة الّذين لم يقفوا في وجه معاملته السيئة.وإضافة لذلك،قاموا بإعادة غطاء أخذ من القارب المذكور،ولطلب تقدّمت به عن بعض المال الّذي قيل أنّه أخذ أيضًا، لم يمض قدمًا لعدم التمكّن من التحقّق من ذلك .هذا الشكل من الترضية هو دليل كافٍ عن رغبتهم الأكيدة بالحفاظ على حريّة التجارة،وبوسع أزيد من مائة شخص ينتقلون على هذه السفينة أن

نقلاً عن:

- Grammont, H.D. de « Relations entre la France et la régence d'Alger au XVIIe siècle »**in Revue Africaine** 28 (1884), pp. 281-282.

يؤكدوه لكم؛وعليه أفوّض أمري إليكم،مؤكدًا لكم علانيةً بأن أكون طيلـــة حياتي،بالقلـــب و بالروح،سادتي،بصدق خادمكم المتواضّع والمنصاع.

ختم

الرسالة رقم 06:رسالة حاج محمد: داي الجزائر

إلى لويس الرابع عشر.الجزائر: 02أكتوبر1673م.

يا عالي المقام وجلالة السلطان. نحن نعلم جلالتكم انه في حوالي نهاية شهر أوت جاء أحد من ربابينكم وهو " م.د المراس " مع محلته مصحوبا بثمانية سفن حربية ملقية مراسيها مباشرة قبالة ميناء ومدافع الجزائر . هذا ما أخبرنا على إرسال قنصل فرنسا الذي كان هنا وهذا لطلبنا منه بأن لا يوقف هذه السفن تحت مدافع المدينة وبأن يبتعدوا قليلا لأنه كان فصل الصيف والذي يكون فيه عبيد المسلمين مشتتين هنا وهناك هؤلاء ذاهبون وأتون للبساتين والآخرون للحدائق والروضات ويرون بأن السفن تحت مدافع (الشعب) ما نتيجته قربهم من المدينة والذي لا يمنعهم من الهروب والداخل لهاته السفن كما أنها وصلت من قبل بعض السفن والتي جاءت للإرساء تحت المدفع .لقد رمى 46 من العبيد الأقوياء أنفسهم في الحرب ،منهم من غرق في الماء ومنهم من وصل إلى السفن، ومنهم من يدخل إليها ،وفي نفقس الوقت حملت هذه السفن المراسي وذهبت . هذا الحادث وصل للمسلمين والذي اغضب كل البلاد وهو ما أصل لنا شكاوي كبيرة ضدنا .لهذا الأمر السيئ أمرنا القنصل الذي يصل بعد بإقناع السيد ألميراس بالابتعاد مدافع المدينة وبعد ابتعادهم بعثنا سفينة ضامنين بأننا متحققين تحديدا مما تريده (تتمناه) منا منحن سنرضيكم لكن كلامنا لم يلقى أي أثر عليه (معه) ومنذ نفس الليلة هرب كثير من العبيد المسلمين ورموا أنفسهم في البحر وأنقذوهم في السفن هذا العمل السيئ الذي قمنا به، والذي يمكنه أن يحطم (يلغي) السلام الذي بيننا . ليس لدينا شك في بعض النوايا السيئة يمكن أن تكون ، إذا لم تبتعد السفن ، وإذا لم نرسل العبيد، هذا ما جعلناه مرة أخرى نقول للقنصل أنّه إذا أراد استمرّ الأمر هكذا، هو

نفسه ليس له خيار إلاّ أ يرجع، وأن يأمر السفن بالرحيل فورا، وأن يرفعوا المراسي ويذهبوا، كما أنّ هذا القنصل يذهب معهم أيضا.

ختم حاج محمد داي الجزائر حرر بـــ: 13 أكتوبر 1673م، في مدينة الجزائر الإفريقية.

الرسالة رقم 07:

رسالة لويس الرابع عشر .

إلى الحاج محمد ، داي الجزائر .

سانت جرمان .في 23سبتمبر 1674م.

يا عالي المقام وجلالة السلطان.

لقد وصلتنا رسائلكم والتي كتبتموها لنا في نهاية شهر سبتمبر ، وكما أننا كلفنا السيد الفارس "دارفيو"، قنصلنا في مدينتكم الجزائر ليعلمكم بكل نوايانا حول كل النقاط المحتواة في رسائلكم ،ونحن جد مرتاحين بأن نقول لكم بأنه يمكنكم إعطاء كامل الثقة لكل ما يقوله عنا . ونحن لا نشك بأنكم تحافظون على مواد المعاهدة التي أبرمناها معكم ، وباسمنا ،من طرف ابن عمنا الدوق "دوبوفورت"سنة 1666م، وكذا سنة 1670م من طرف المركيز "دومارتال"فريق جيشنا

-Plantet : **Correspondance Des Deys D .Alger avec LA Cour De France**. T1 (1579-1700). Op, cit, p.150.

البحري . على هذا نطلب من الإله أن يحرسكم ، يا عالي الرفعة وجليل المقام ، وأن تكونوا في حفظ القداسة .

حرر في قصرنا الملكي بـــ: سانت جرمان في 23سبتمبر 1674م.

الرسالة رقم 08:

رسالة حاج محمد: داي الجزائر

إلى لويس الرابع عشر.

الجزائر: 17فيفري1675م.

إلى الأكبر قوة بين أكابر المسيحية، ملك فرنسا الذي كان دعما وسندا للجلال والرفعة في الدّين المسيحي، سهر الله (هداه) على توجيهه لدروب العدالة بعد التوصل لجلالتكم للموافقة على تقبل تحياتنا المتواضعة جدا، وإذا كانت هي مرتاحة لمعرفة الحالة التي نحن عليها، نقول لها بأننا نتمتع بصحة ممتازة بفضل الله العليّ .أيضا نقول لكم بأنه بفضل الله نحن عليها نتمتع بالسلام معها. ولا سمح بعد هذا السلام المنعقد حتى الآن، أن يحصل أيّ أمر بيننا بإمكانه أن يضر هذا السلام .ونح نأمل أن يحفظ الله هذا السلام في المستقبل ، في هذه الأثناء يتواجد 25 فرنسيا في سفن أعدائنا. والتي استدرجتها سفننا للجزائر، وقمنا بتوقيفها وذلك ليس بنيّة بيعها لأنّ لدينا معاهدة سلام معكم. لكن تعرفون جلالتكم بأن البلد محكوم من طرف الميليشيات، والتي تخدمه برا وبحرا...وهم يقولون " بأنّ هناك إخواننا المسلمين المستعبدين في فرنسا، ونحن نرغب في الإفراج عنهم. وبأن

-Plantet : **Correspondance Des Deys D .Alger avec LA Cour De France**. T1 (1579-1700). Op, cit, p.150.p, 154

نجلبهم إلى هنا،وكذا حرير الفرنسيين." وهذا لأجل زيادة صداقنا، وكذا توثيق السلام بيننا أكثر. ولهذا علينا أن نعلم فخامتكم بهذه الرسالة المتعلقة بالصداقة.

ختم الحاج محمد داي الجزائر.

الرسالة رقم09:

نص الاتفاقية الموقعة بين حسين باشا داي الجزائر والكونت ديبورمون في: 05 جويلية 1830[1]

1- تسلم قلعة القصبة وكل القلاع الأخرى المتصلة بميناء هذه المدينة، إلى الجيش الفرنسي، هـــذا الصباح على الساعة العاشرة

2-يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي، أمام سعادة باشا الجزائر؛ أن يترك له الحرية وكل ثرواتـــه الشخصية؛

3-سيكون الباشا حرا، في الذهاب هو و أسرته، وثرواته الخاصة، إلى المكان الذي يقـــع عليـــه اختياره، فإذا فضل البقاء في الجزائر فله ذلك، فهو أسرته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي، وسيعين له حرس لضمان أمنه الشخصي وأمن أسرته

4- يتعهد القائد العام لكل الجنود الانكشاريين بنفس المعاملة ونفس الحماية؛

5-سيظل العمل بالدين الإسلامي حرا، كما أن حرية السكان مهما كانـــت بقتـــهم و دينـــهم وأملاكهم و تجارهم وصناعتهم، لن يلحقها أي ضرر، وستكون نسائهم محل احترام؛

وقد التزم القائد العام على ذلك بشرفه

---

[1] نص الاتفاقية موجود في كتاب المرآة، ص ص، 195-196.وأنظر عمر سعد الله: **المرجع السابق**، ص365

وسيتم تبادل وثائق هذا الاتفاق قبل الساعة العاشرة هذا الصباح، وسيدخل الجيش الفرنسي حالا بعد ذلك إلى القصبة، ثم يدخل كل القلاع التي حول المدينة، كما يدخل الميناء.

التوقيع : الكونت ديبورمون ختم حسين باشا

داي الجزائر

الملحق 04: الرسوم البيانية و الخرائط

1-تطوّر عدد سكّان مدينة الجزائر من**(1500- 1725)**

- أنظر مقال الأحوال الصحّيّة، والوضع الديموغرافي في الجزائر أثناء العهد العثمانيّ"،ص78.

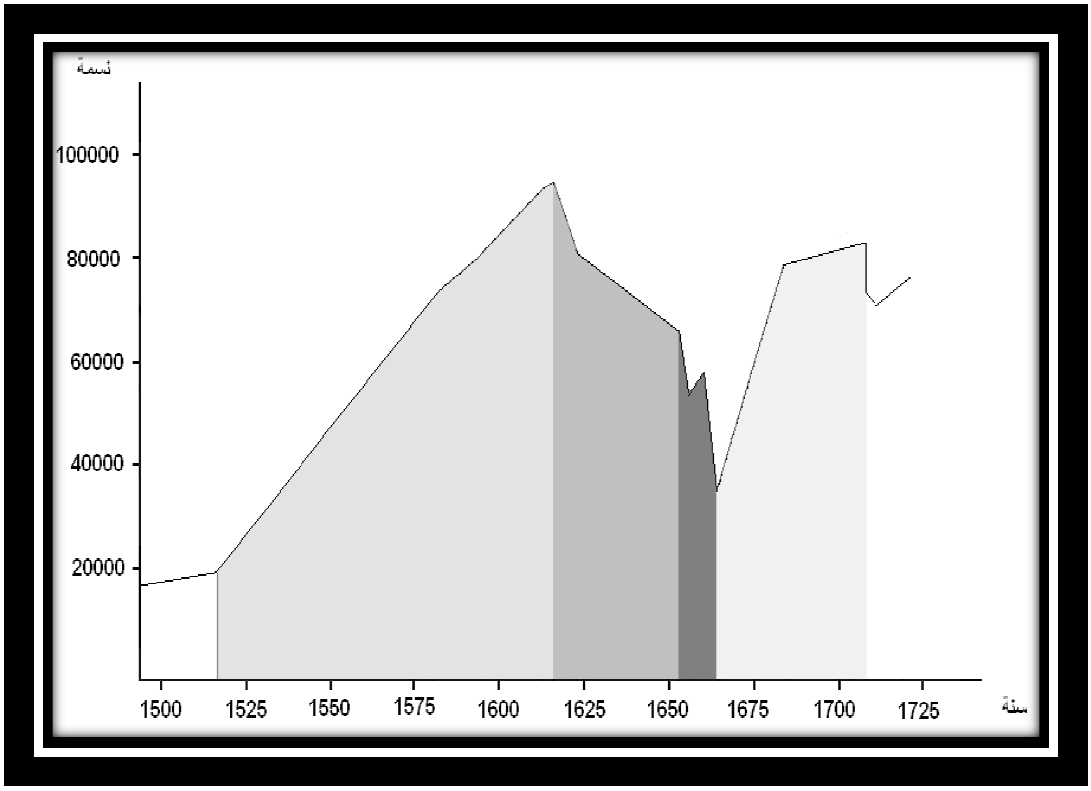

2- مساهمة الجزائر في الصراع البندقي العثماني **(1638- 1657)**

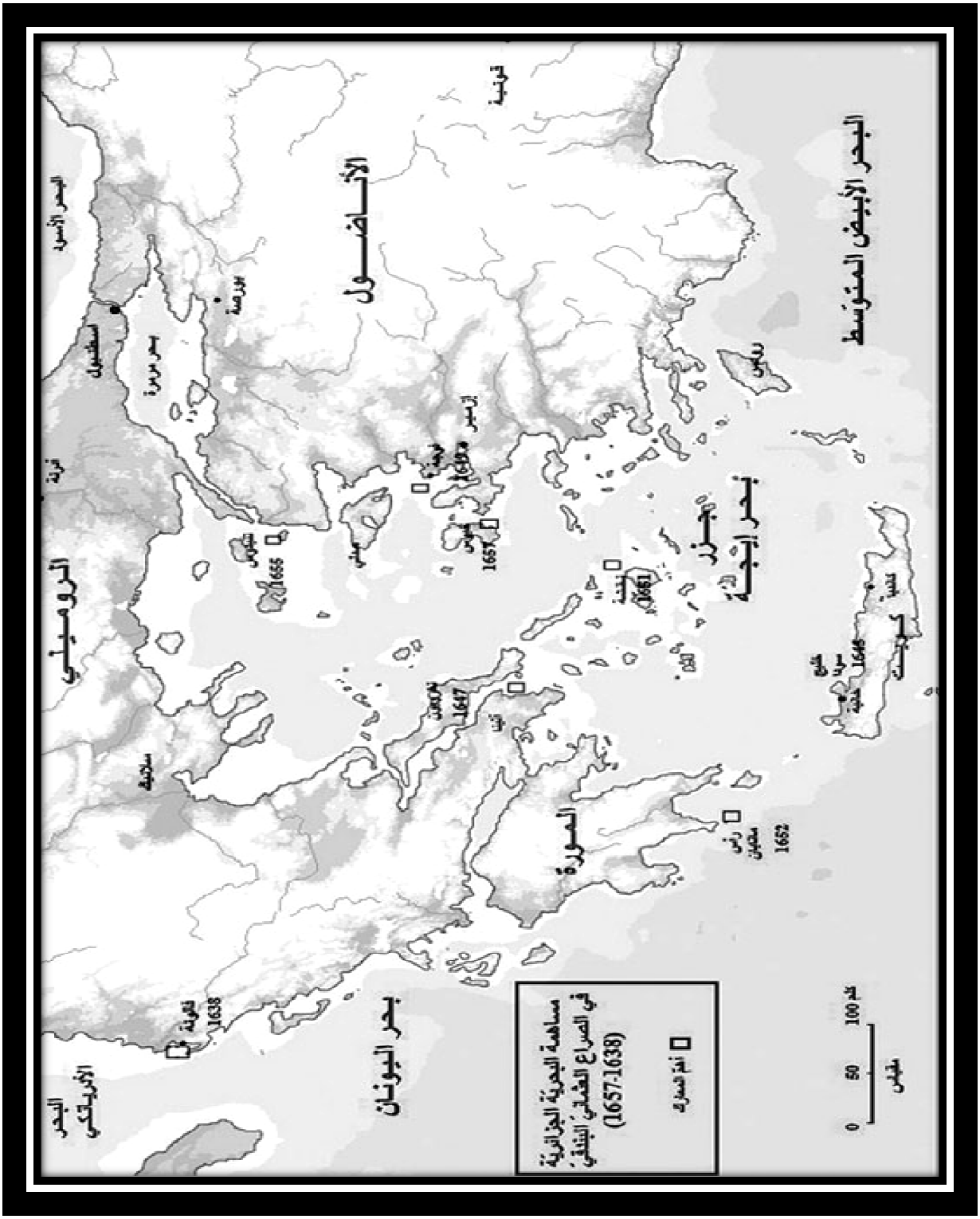
البحر الأبيض المتوسط
الأناضول
تونس
الجزائر
بجاية
1664
1665
1666
1667
1671
1672
1638
1644
1647
1661
1662
البحر الأسود
أسطنبول
أدرنة
سلانيك
قونية
البحر الأدرياتكي
بحر البوغان
الموريا
الروميلي
مساهمة البحرية الجزائرية
في الصراع العثماني البندقي
(1657-1638)
أهم معركة
0 50 100 كلم

الملحق رقم 05: الصور الجغرافية:

الجزائر في القرن السابع عشر

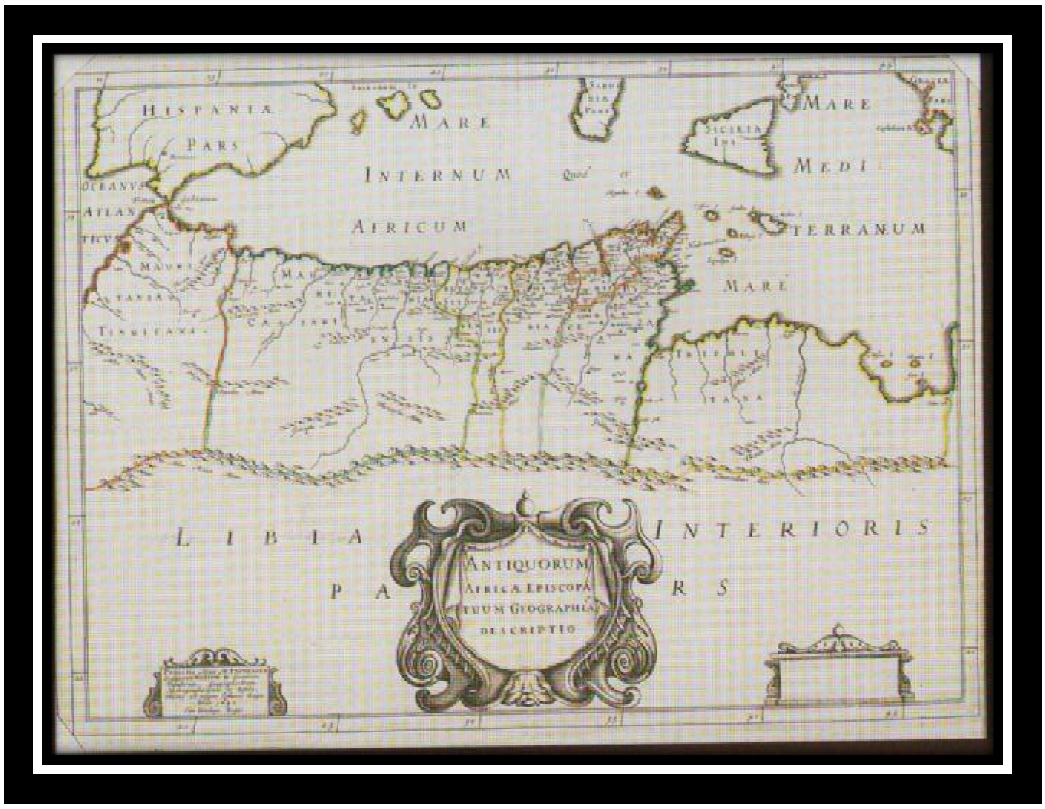

ميناء الجزائر في القـــــــرن السابع عشر

الأرشيف الوطني الجزائري: معاهدات سلم وتجارة، ص، ص، 69-70. (كلا الصورتين)

الملحق رقم06: ملحق الصور

مجسم لسفينة من نوع قادرغة(متحف البحرية العثمانية بإستانبول)

نموذج آخر لسفينة قادرغة

مذكرات خير الدين، المرجع السابق، ترجمة: محمد دراج، ص، 223.

نماذج لسفن من نوع قادغة على اليمين والغليوطة على اليمين

الأرشيف الوطني الجزائري: معاهدات سلم وتجارة، ص، ص، 72-71.

سفينة من نوع قالير

Roland cortina :op, cit, p,96

سفن قادرغة و قالير

-Roland cortina :op, cit, p,96.

سفن أخرى مستعملة.

أحمد مفيد صالح باشا: **البحرية**. أنظر: موقع" http://www.arabency.com"، يوم 29- 08- 2011م، على الســـاعة 15:00.

رسم يبين ثلاث سف من نوع قادرقة و البقية ن نوع شبك.

قادرغة عثمانية

– أحمد مفيد صالح باشا: **البحرية**. أنظر: موقع" http://www.arabency.com" المرجع السابق.

قادرغة بثلاث صواري

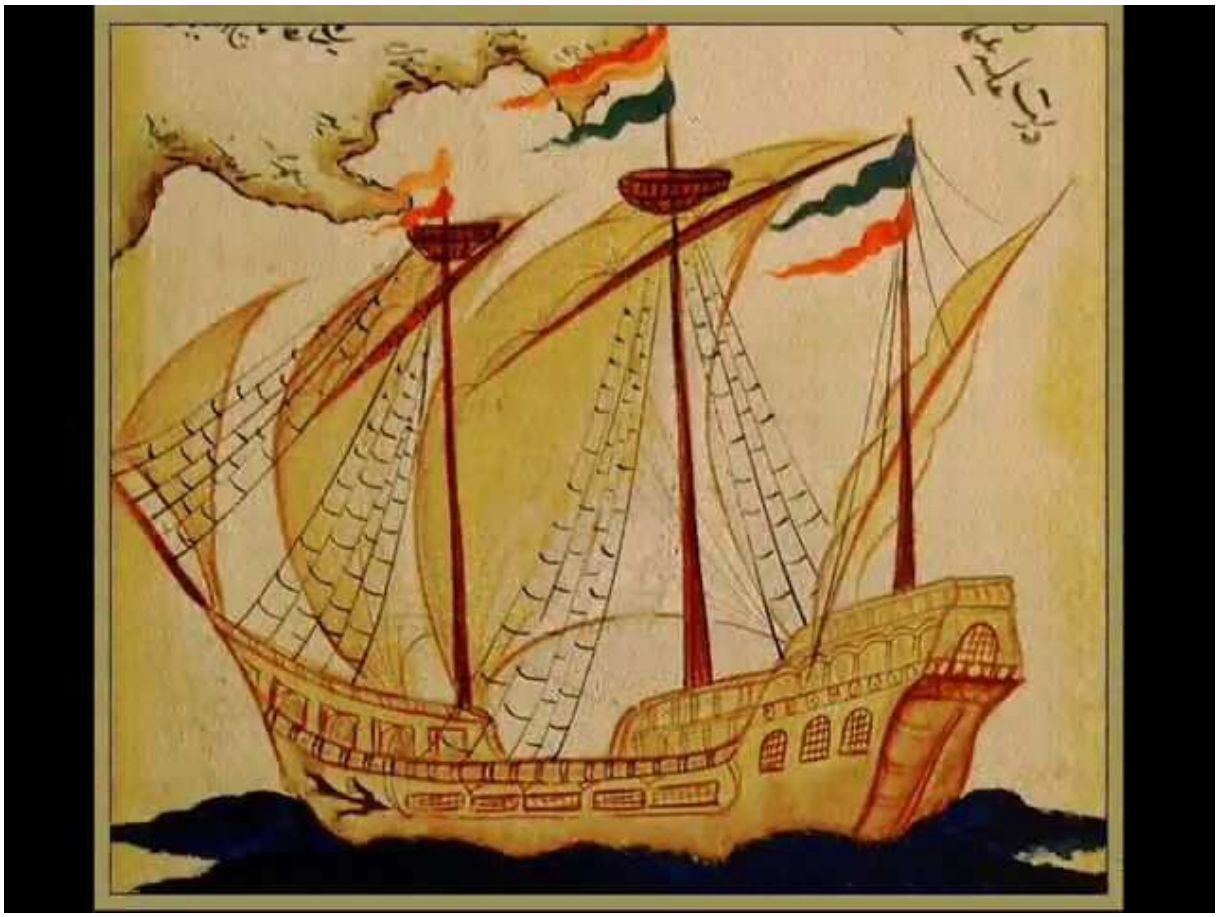

– أحمد مفيد صالح باشا: **البحرية**. أنظر: موقع " http://www.arabency.com" المرجع السابق.

سفن ومعداتها

– أحمد مفيد صالح باشا: **البحرية**. أنظر: موقع " http://www.arabency.com" المرجع السابق.

– أحمد مفيد صالح باشا: **البحرية**. أنظر: موقع" http://www.arabency.com" المرجع السابق.

صورة لسوق النخاسة(الأسرى) في مدينة الجزائر

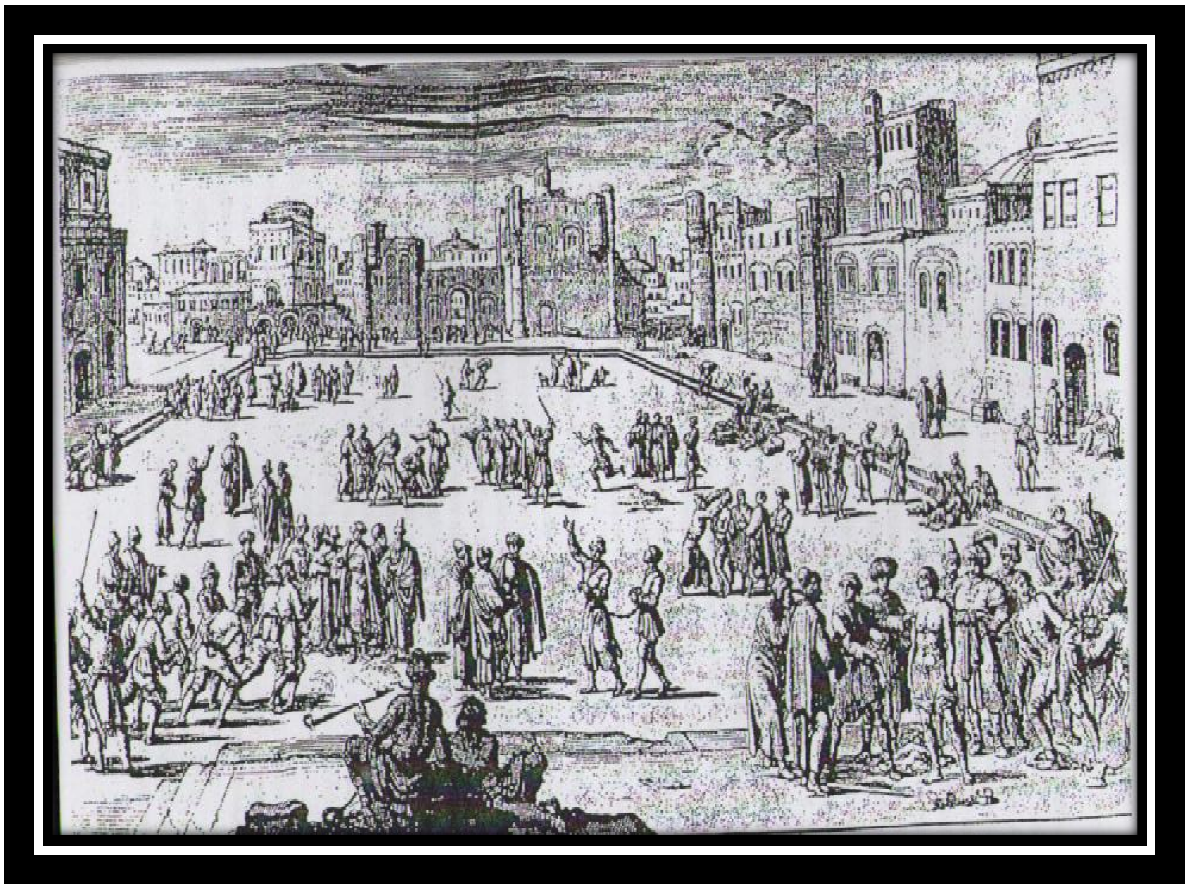

مصنع البارود

Roland cortina: op, cit, pp., 46-77.

البيبليوغرافيا

قسمت بيبليوغرافيا موضوعي إلى:

1- المصادر والمراجع العربية والمعرّبة

2- المصادر والمراجع الأجنبية

3- المقالات والدوريات العربية

4- المقالات والدوريات الاجنبية

5- الرسائل الجامعية

6- المعاجم والمناجد

7- الوسائط الإلكترونية

بيبليوغرافيا الموضوع:

1/المصادر والمراجع العربية والمعربة:

- الزهار أحمد الشريف: مذكرات نقيب الإشراف، الحاج أحمد شريف الزهار، نشر و تقديم أحمد توفيق المدني، ط. ح، ش و. ن. ت، الجزائر 1980.

- المالكي: رياض النفوس، طبقات علماء القيروان و إفريقية وزهادهم ونساكهم، و من أخبارهم وفضائلهم، وأوصافهم، ج1، تحقيق، بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، 1983.

-ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج2،تحقيق: مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998.

- ابن خلدون: المقدمة،ج1، مراجعة الدكتور: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001.

-ابن أبيدينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرها المحلية، 1236.

-أبي شهاب الدين:نهاية الارب في فنون الأدب، تحقيق حسن نصار و عبد العزيز الاهواني، ج24، لتاريخ المغرب الإسلامي منذ الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن الهجري، الهيئة العامة للكتاب، 1983.

-ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، طبع الرباط،

-ابن العنابي محمد بن محمود: السعي المحمود في تنظيم الجنود، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- الفتح بن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، ط1، مطبعة التقدم، 1360هـ

-القاضي النعمان: دعائم الاسلام، تحقيق: آصف على قبطي، ج1،القاهرة، 1951

-ابن قتيبة:الإمامة و السياسة، مطبعة محمود الحلبي و شركاه، ج2، ط1، 1388هـ/ 1969م، لبنان.

- القشري محمد الصالح، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، س،و،ن،ت، الجزائر، 1974

-محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، شرح وتعليق: حقي ممدوح، ط2، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964

-المراكشي عبد الواحد بن علي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة القاهرة، 1949،

-النحاس أبو زكرياء : مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام في الجهاد وفضائله ، ج1، تحقيق إدريس محمد علي ومحمد خالد اسطنبولي دار البشائر الإسلامية، ط3، 1423 / 2002 ، الفصل الخاص بالغزو البحري.

- وليام شالر : مذكرات وليم شالر القنصل الأمريكي بالجزائر(1816-1820م)، تعريب إسماعيل العربي، ش، و، و،ت، الجزائر.

المراجع بالعربية :

- آرشيباللد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى و مراجعة محمد شفيق غربال، طبع القاهرة، 1981.

-إسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، دار المعارف، الإسكندرية.

-اشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، القاهرة، 1958بيروت.

- الجيلالي عبد الرحمان، والميلي مبارك: تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج2، مطبعة العصر، بيروت.

-الحمودي محمد خلدون : تاريخ الأسطول العربي ، دمشق 1945.

- أماري ميخائيل: المكتبة العربية الصقلية، نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم، ج1، طبع مكتبة المثنى، بغداد،1957.

-أومان :الإمبراطورية البيزنطية ، تعريب مصطفى طه بدر، القاهرة، 1957.

- باشا نجاة: التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري، منشورات الجامعة التونسية 1976.

- بالحميسي مولاي: الجزائر من خلال الرحالة المغاربة في العهد العثماني،ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

- باهي أحمد: السياسة المتوسطية للأغالبة عند سوسة والساحل في العهد الوسيط ،محاولة في الجغرافية التاريخية، مركز النشر الجامعي تونس، 2004.

- بربروس خير الدين: تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر، 2009، ص، 07.

- بركات مصطفى : الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، " الباب الثاني الألقاب والوظائف"

- بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريف نبية فارس ومنير البعلبكي، ط.11، بيروت، 1988.

- بك الحليم إبراهيم: تاريخ الدولة العثمانية العلية، دار المعارف الإسلامية، ط1، لبنان، 1988، ص، 120-200.

- بل ألفرد: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، من الفتح العربي حتى اليوم، تعريب: عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي.

- بل فريدرك وليام: الصراع البحري والقرصنة العالمية، ترجمة السيد: فؤاد، ج1، ط1، مطبوعات الجامعة، القاهرة، 1977.

- بن آشنهو ابن أبي زيان: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1986.

-بوسلطان محمد، القانون البحري الدولي "تطوره ومجاله"، دار النهضة العربية، بيروت.

- بوعزيز يحي : علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوربا (1500-1830) ،الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ،1985.

- بونار رابح: المغرب العربي وثقافته، لشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

-التميمي عبد الجليل : " الشكل الإداري والجغرافي السياسي للأيالات العثمانية بالجزائر وتونس وطرابلس الغرب (1557-1588)، في كتاب تحية تقدير للأستاذ الساحلي أوغلو جمع وتقديم : د. عبد الجليل التميمي " تونس : منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، أكتوبر ، نوفمبر 1997-1998.

- جوليان شارل أندري: تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب : محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978.

- جون ب وولف : الجزائر وأوروبا : ترجمة وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1996.

- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000.

- حسن إبراهيم: دراسات في جغرافية أوربا وحوض البحر المتوسط، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1999.

- حسن أحمد حمود: الإسلام في حوض البحر المتوسط ، دار الفكر العربي ، ط1 القاهرة ، 1995.

- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، ط،1965، القاهرة.

- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1956.

- حسين إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، دار الأندلس، ج4، ط1، بيروت، 1967.

- حقي إحسان: تاريخ العثمانية العلية، تحقيق، حقي إحسان ، دار النفائس، ط.2، بيروت، 1983.

- حمادي عبد الإله حمادي: مساءلات في الفكر والأدب، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

-بن خروف عمار ، العلامات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي ج2 دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع 2008.

- خنوف محمد: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، منشورات الأنيس ، الجزائر. 2000.

- خير فارس محمد: تاريخ الجزائر الحديث، من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط2، مكتبة الشرق، بيروت، 1979.

-الدعيم محمود السيد: تاريخ البحرية العثمانية، حتى نهاية عهد الخليفة العثماني سليم الثاني 1574، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1994.

- رجاء العودي عدوني، الجهاد البحري المشترك بين إفريقية و المغرب في المجلة المغربية لتاريخ البحرية الإسلامية.

- الزبيري محمد العربي: مدخل إلى تاريخ المغرب العرب الحديث، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1975.

- سرهنك إسماعيل: حقائق الأخبار عن تاريخ دول البحار، مطبعة بولاق، إصدار جديد، ص،

- سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الحديث.

- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، من القرن 10الى14 هـ/ القرن16/ 20م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

- سعد الله أبو القاسم: شعوب و قوميات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

- سعد الله عمر: القانون الدولي الإنساني والاحتلال الفرنسي للجزائر، دار هوية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

- سعيدوني ناصر الدين "الجزائر في التاريخ العهد العثماني"، ج4: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1984، الجزائر.

- سعيدوني نصر الدين ، و الشيخ المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

-السيد سالم عبد العزيز: تاريخ مدينة المرية، طبع الإسكندرية، 1984.

-السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس، بيروت، 1962.

-شبارو عصام محمد: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية بيروت 2002.

-شبارو عصام: تاريخ المشرق العربي الإسلامي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1999.

-تشركوكيلياسارتلي: مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غربي المتوسط، دار نخبة البيان العربي، ط،1961.

-الشريف أحمد إبراهيم : دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة ، دار الفكر العربي بيروت 1968.

-الشناوي عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ح1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1984.

-الصلابي على محمد : الدولة .ع .عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار ابن الجوزي القاهرة 2001.

-طقوش محمد سهيل: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط، 1، دار بيروت المحروسة، 1995.

-العبادي احمد مختار: في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية بيروت 1971

- عثمان فتحي :الحدود الإسلامية البيزنطية، 2ج،القاهرة،1957.

- عقاد صالح: المغرب الحديث، دراسة في تاريخه الحديث، وأوضاعه المعاصرة، ط5، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، 1985.

- عنان محمد عبد الله: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط4،القاهرة، مكتبة الخانجي، 1987.

- غانم محمد الصغير: التوسع الفينيقي في الحوض الغربي للمتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائرط1، 1989.

-الغنيمي عبد الفتاح: موسوعة تاريخ المغرب العربي ، ج4، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1994.

- فارس محمد خير: تاريخ الجزائر الحديث ، من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي ،ط2،بيروت مكتبة الشرق،1979.

- فركوس صالح: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2005.

- فرنان بروديل: البحر الأبيض المتوسط، المجال و التاريخ، تقريب يوسف شلب، التام، دمشق ، 1990.

- قنان جمال: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر،م، م، و، ج، 1994، الجزائر.

- كعك عثمان، محاضرات في المركز الثقافية في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، معهد الدراسات العربية العالمية ، جامعة الدول العربية، 1958.

- كورين شوفاليه : الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

- لقبال موسى : دور كتامة في الخلافة الفاطمية من تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري (11 م)، الشركة الوطنية للنشر والإشهار – الجزائر- 1979.

- لقبال موسى: عقبة بن نافع، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، 1989.

- لوي كارداياك: المورسكيين الأندلسيون و المسيحيون، المجابهة الجدلية (1492-1640)، تعريب و تقديم "عبد الجليل التميمي"، الجزائر، الدار التونسية للنشر و التوزيع، المؤسسة الوطنية للكتاب 1989.

- ليفي بروفنصال: حضارة العرب في الأندلس،ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

- مؤنس حسين: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 1993.

- ماهر سعاد البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربي مصر.

-المبارك زكي: الجهاد البحري في الغرب الإسلامي ، المفهوم الإسلامي والمفهوم المسيحي ، رحلة البحث العلمي السنة الإحدى والثلاثون ، عدد -45- جامعة محمد الخامس ، الرباط 1998.

- مجهول : كتاب الغزوات عروج وخير الدين ، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر ، المطبعة الثعالبية 1934.

- مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتعليق: محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي.

- المدني توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.

- مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

- مقيس بشير: مدينة وهران : دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة للكتاب، الجزائر، 1983.

-المنور مروش : دراسات عن الجزائر في العهد العثماني،ج2 : القرصنة الأساطير والواقع، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

-المنور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة، الأسعار، المداخيل،ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

-الميلي محمد مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1976.

- نايت بلقاسم، مولود قاسم: شخصية الجزائر وهيبتها العالمية قبل سنة 1830،ج1، ط1، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1985.

- نور الدين عبد القادر : صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث قسنطينة.

- نورالدين فهمي : التنظيم السري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر ميلادي، ترجمه قاسم عبده قاسم، دار الوحدة، بيروت، 1980.

- هاملتون جون: دراسات في حضارة الإسلام، تعريب إحسان عباس ، دار العلم للملايين بيروت ط3، 1979.

-هوبكتر : التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، 1998.

-ياتسيكما خوفسكي : تاريخ القرصنة في العالم ، ترجمة أنور محمد إبراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة،2008.

2/المصادر والمراجع الأجنبية:

المصادر باللغة الفرنسية:

- Arvieux, Chevalier L.L. d’. Mémoires du chevalier d’Avrieux, mis en ordre par le R.P. Jean-Baptiste Labat, T. 5, Delespine le fils, Paris.
- Aranda, E. d’. Relation de la captivité & liberté du sieur Emanuel d’Aranda, jadis esclave à Alger ; où se trouvent plusieurs particularités de l’Afrique, dignes de remarque. 3ème édition,

augmentée de treize relations, & autres tailles douces, par le même Auteur, Jean Mommart, Bruxelles, 1662.
- Dan, R.P. P. Histoire de Barbarie et de ses corsaires, 2e éd., Paris, 1649.

- Dapper, O. Description de l'Afrique contenant les noms et la situation… Avec des cartes des états des provinces et des villes, traduite de flamand, Wolfgang, Amsterdam, 1686.
-Haëdo, D. de, "Histoire des Rois d'Alger", trad. et annotée par H.D. de Grammont, in R.A. 24, 1880.
- Haëdo, D. de, Histoire des Rois d'Alger, trad. par de Grammont, Éditions Grand-Alger Livres, Alger, 2004.
- Haëdo, D. de, La vie à Alger les années 1600. Topographie et histoire générale d'Alger, trad. par Monnereau et Berbrugger, Éditions Grand-Alger Livres, Alger, 2004.
- Hamdan ben Othman Khodja. Le Miroir ou Aperçu historique et statistique sur la Régence d'Alger, 2ème éd., Sindbad, Paris, 1985.
- Mascarenhas, J. Esclave à Alger. Récit de captivité de João Mascarenhas (1621-1624), trad. du portugais et présenté par P. Teyssier, 2èmed'Éditions Chandeigne, Paris, 1999.Wolfgang, Amsterdam 1686.

المصادر بالإنجليزية:

- G.P., The present state of Tangier in a letter to his Grace the lord Chancellor of Ireland and one of the lords justices there, to which is added The present state of Algers, H.Herring man, London, 1676.
- Knight, F. A relation of seven years slavery under the Turks of Algiers, suffered by an English captive merchant, London, 1640.

الوثائق المنشورة:

- Chaillou, L. Textes pour servir à l’histoire de l’Algérie au XVIIIe siècle suivis de la guerre de quinze heures, Toulon, 1979.

- Chaillou, L. Textes pour servir à l’histoire de l’Algérie au XVIIIe siècle suivis delà guerre de quinze heures, Toulon, 1979.
me Collègue International D’histoire Maritime ; é- Dans Actes du 4 Paris, 1959
- Dumay, L. "Projet pour l’entreprise d’Alger", in Recueil historique contenant diverses pièces curieuses de ce temps, Christopher van Dyck, Cologne, 1666.
Expéditions et traités de divers pays d’Etrope, précis des traités la "- France et Alger et des Expéditions entreprise contre cette régence, par , paris, le ; 10 Juin 1827, copie 89, in A.N.P ? AE.BIII"Des granges
- Jobel.G. G, Les Génois en Méditerranée occidentale (fin 10(e) - début 14(e siècle) Paris.
- Mathew Carey,A Short Account of Algiers Containing A Description of the Climate of the Country of the Manners and Customs of the Inhabitants …with a concise View of the Origin of the Rupture between Algiers and the united states, Philadelphia, January 8, 1794.
- Plantet, E. Correspondance des deys d’Alger avec la cour de France. 1er vol,
- Tachrifat. Recueil de notes historiques sur l’administration de d’Alger, publié par A. Devoulx, Imprimerie du l’ancienne Régence Gouvernement, Alger,1852.(1579-1700), éd. Bouslama, Tunis, 1981

المراجع باللغة الفرنسية:

-Badie (Bertrand), "L'impact de la révolution française sur les sociétés musulmanes ; évidence et ambiguïté", in Revue internationale des sciences Bas 1604-1830, Éditions Bouchée, Paris, 2002.

- Belhamissi, M. Alger, la ville aux mille canons, ENAL, Alger, 1990.

- Belhamissi, M. Histoire de la marine algérienne (1516-1830), 2ème éd., ENAL, Alger, 1986.

- Ben Mansour, A.H. Alger : XVIe-XVIIe siècle, Journal de Jean-Baptiste Gramaye «Évêque d'Afrique», CERF, Paris, 1998.

- C. LAMOUCHE, Historique de la Turquie depuis les origines jusqu'à nos jours, Payot, Paris, 1953.

- Cardiallac (Y) Hermossilla: la magie en Espagne morisque et vieux chrétiens XVIe et XVIIe siècle bordeaux, T1, 1994.

- Denise Brahmi : quelques jugements sur les maures sur les maures andalous dans les régence turques , R.H.E.M., N9, juillet, 1970.

- Encre, lopedie de l'islam, Paris، Nelles édition T. VII.1993

- F. Braudel: la Méditerranée et le monde méditerranée a l'époque de Philipe II, paris arm and colin, 2ed, 1966.

- Fisher, G. Légende barbaresque : Guerre, commerce et piraterie en Afrique du

- G kay the shamefile trad.- cité par vekrouf : une amitié orageuse Ed. A. Michel 1987.

- Heers, J. Les Barbaresques. La course et la guerre en Méditerranée, XIVe-XVIe Siècles, Éditions Perrin, 2001.
- James Wilson Stevens: on historical and Geographical Account of Algiers: comprehending. A novel and interesting detail of events relative to American captives Philadelphia, August, 1997.

- Khiari, F. Vivre et mourir en Alger. L'Algérie ottomane aux XVIe-XVIIe siècles : un destin confisqué, l'Harmattan, 2002.
- Khiari, F. Vivre et mourir en Alger. L'Algérie ottomane aux XVIe-XVIIe siècles :un destin confisqué, l'Harmattan, 2002
- Krieken, G. van, Corsaires & marchands. Les relations entre Alger et les Pays-
- laugies de tassy : histoire de royaume d'Alger, paris, éd, laysel, 1992.

- Saidouni, N. L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830), Dar algharb al-islami, Beyrouth, 2001.
- Turbet-Delof, G. La presse périodique française et l'Afrique barbaresque au (1776-1824), Paris, 1910.
-Charles-Roux, F. France et Afrique du Nord avant 1830, T. 1, Librairie Félix Alcane, Paris, 1932.
-Damas laterie: Traités de paix et de commerce et document divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen - âge. Paris.
-De Castellan, "Relation contenant diverses particularité de l'expédition de Gigery, in Recueil historique contenant diverses pièces curieuses de ce temps", Christopher van Dyck, Cologne, 1666.

-Det .Sourdel : la civilisation et l'islam classique, ARTHAND, 1968.

-Dupuy, Emile, Etudes d'histoire d'Amérique, Américains et Barbaresques

-Emmanuelli René: Gènes et L'Espagne dans la Guerre de Course (1559-1569), Ed, Société, Médiévales, Méditerranéenne, paris, 1964.

-Georges Marsais ; L'architecture Musulmane d'occident, Paris.

-Goudforiy : le monde musulman et byzantine jusqu'aux. Croisades, paris.

-HEINRICH (H.), L'alliance franco-algérienne au XVIe siècle, imp. Maugan, Russand, Lyon, 1898.

-Héré Coutau Bigarie: l'Emergence d'une pensée Naval en Europe au XVI et au début du XVII e Siècle, Ed, la mère, paris, 2000.

-J. FREMEAUX, La France et l'Islam depuis 1789, 1er édition Presse universitaire de France, France, Paris, 1911.

-joy.Edward.A complete history of Algeria, vol.cool/Brest, University, 1982.

-Kaddache (m): l'Algérie durant la période ottomane, o.p.u. Alger. 1991.

-Mantran, R. Histoire d'Istanbul, Librairie AR thème Fayard, 1996.

-Mascarenhas, J. Esclave à Alger. Récit de captivité de João Mascarenhas (1621-1624), trad. de P. Teyssier, 2e éd., Éditions Chand igné, Paris. Nord de 1415 à 1830. Trad. et annoté par Farida Hellal, O.P.U., Alger, 1991.

-olivier seigneur : Novelle relation de l'intérieure de sérail du grand, varennes, paris, 1675.

-Panzac, D. La peste dans l'empire Ottoman 1700-1850, Ed. Paters, Louvain, 1985.

-Roland Courtinat:La piraterie barbaresque en méditerranée, XVIe-XIXe siècle, Editions Jacques Gandini, Paris, 2003.

-Rouard de carde: traites de la fronce avec les pays de l'Afrique du nord, paris, 1906

3/المقالات والدوريات العربية:

- قداش محفوظ : الجزائر في العهد التركي، في ، مجلة الأصالة، العد،52، مطبعة البعث، الجزائر، ديسمبر 1977.

- التلمساني محمد بن عبد الرحمان: الزهرة النيرة، لما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جند الكفرة، في ، مجلة التاريخ وحضارة المغرب، العدد3، جويلية، 1967.

- اللجنة المغاربية للتاريخ الاسلامي ، الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي ، ندوة دولية ، سلا، ماي ،جوان 1997.

- بلحميسي مولاي: صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية الاسبانية، في مجلة، تاريخ وحضارة المغرب، العدد 11، ش و ن ت، الجزائر.

- تابست علي: ترجمة مذكرة سدني سميث: مجلة الدراسات التاريخية، العدد السابع، 1993، جامعة الجزائر

- التميمي عبد الجليل : الخلفية الدينية للصراع الإسباني – العثماني على الإيالات المغربية في القرن السادس عشر " المجلة التاريخية المغربية ، العدد 10-11 ، تونس جويلية 1978

- التميمي عبد الجليل : أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519، المجلة التاريخية المغاربية، العدد، 6 جويلية ، تونس، 1976، ص، 116-120 .

- حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر المتوسط إلى الحروب الصيلية، في، المجلة التاريخية المصرية، المجلد4، العدد1، 1951

-الساحلي خليل: الصراع بين قراصنة الجزائر وتونس والبندقية في القرن السابع عشر في المحلين التاريخية المغربية 4، 1975

- سعيدوني ناصر الدين: الأندلسيون المورسكيين بمقاطعة الجزائر. (دار السلطان)، أثناء القرنين السادس عشر و السابع عشر، حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، الجزائر،1993.

- سعيود إبراهيم: القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة- القرصنة الايطالية نموذجا- في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 11، المطبعة العربية 11 رجب 1432هـ/ جوان 2011م، غرداية، الجزائر

- السيد عبد العزيز سالم: بحوث إسلامية، " وسائل الدفاع في العصور الوسطى"، في مجلة الجيش، عدد 82، 1958

- شويتام أرزقي:" التنافس الدولي في البحر المتوسط، خلال القرنين، 18-19م، وموقف الجزائر منه"، في ، مجلة حولية المؤرخ، تصدر عن إتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد، 3-4، الجزائر، 2005.

- مجلة المصادر: جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق الأسرى الإسبان، عدد،6، 2002

- مجلة هنا الجزائر، العدد 19، ديسمبر 1953

- محمد أمين : القرصنة وشروط افتداء الأسرى الاسبان بالجزائر في القرن الثامن عشر ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد -21- مؤسسة التصميم للبحث العلمي والمعلومات دار غوان تونس ، سبتمبر 2000

- مصباحي حسونة: البحر المتوسط حسب بريدراج ماتفيجيفيتش، في ، مجلة العرب الثقافي ، الخميس،31، جويلية،2008.

- هلايلي حنيفي: التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني،في، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- العدد 24- دار الهدى للطباعة و ن، و، ن. عين مليلة ديسمبر، 2007،

4/المقالات والدوريات الأجنبية:

- Abbé Bombard : Les vicaires apostoliques de Tunis et d'Alger, in R.T., 1, 1894

- Arvieux, Chevalier L.L. d'. Mémoires du chevalier d'Arvieux, mis en ordre par le R.P. Jean-Baptiste Labat, T. 5, Delespine le fils, Paris, 1735.

- Boyer, P. "Des Pachas Triennaux à la révolution d'Ali Khodja Dey", in R.H. 244,1970.

- Boyer, P. La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française,

- Cresti. F : Notes sur le développement urbain d'Alger des origines à la période turque", in Contributions à l'histoire d'Alger, Edition du Centro Analisi Sociale Progettis.r.l. Roma, 1993

- Delphin, G. "Histoire des Pachas d'Alger de 1515 à 1745", in J.A., avril-juin

- Devoulx, A. "La marine de la régence d'Alger", in R.A. 13, 1869.

- Emerit, M. "Un document inédit sur Alger au XVIIe siècle", in A.I.E.O. 17.

- Emerit, M. "Un mémoire sur Alger par Pétris de la Croix (1695)", in A.I.E.O 11,1958.

- Grammont, H.D. de, "Documents algériens", in R.A. 29, 1885.

- Grammont, H.D. de, "Documents algériens", in R.A. 29, 1885.

- Grammont, H.D. de, "Études algériennes : la course, l'esclavage et rédemption

- Grammont, H.D. de, "Relations entre la France et le régence d'Alger au XVIIe

- Grand champ, P. "Une mission délicate en Barbarie au XVIIe siècle. Jean Baptiste Salvago, drogman vénitien à Alger et à Tunis (1625)", in R.T. 332,1937.

- M.de Epalza : l'identité anosmatique et l'linguistique des morisque, ln, Actas du II symposium international du C, I, E, M, sur (religion, identité, et sources documentaires sur les morisques, andalous), études réunies et présentés par A, Temimi, Tunis 1984, T1, pp, 269

- Planhol, X. de, "Références sur le commerce de la neige en Afrique du Nord", in Maghreb & Sahara, études géographiques offertes à Jean Desbois, Société de1624, trad. du portugais et présenté par P. Teyssier, 2ème éd., Éditions Chand igné, 1922.1959.À Alger", in R.H. 25, 1884.

-A. temimi : l'automatisation des régences d'Alger de Tunis et tripoli a la lumière des muhimmo Defterie 1559-1995, in, arab historial review for ottoman studies.

-Amoura Amar: Résume de L'histoire d'Algérie, traduit par, Maaradji. Ali, Edition, Raihana, Alger, 2002.

-Boubakar, S : la peste dans les pays du Maghreb : attitude face au fléau et impacts sur la relation commerciale (XVI^{ème} – XVIII^{ème} siècles) in R.H.M.79-80,1995.D'Alger, trad. par Monnereau et Berbrugger, Éditions Grand-Alger Livres, Alger, 2004.

Feraud : les ben djellab sultans de touggourt.in.R.A. N 2. 1879.--Feraud .Charles. Conquête par les Espagnoles. In. R.A. N12, géographie, Paris.

Grammont, H.D. de, "Relations entre la France et le régence d'Alger au XVIIe Hachette, Paris, 1963.

- Haëdo, D. de, "Histoire des Rois d'Alger", trad. et annotée par H.D. de Grammont, in R.A. 24, 1880

Edition. Geuthner.Paris.-Yahia : Tradition de Slan. Tom.Khaldou Ibn--Laroui. Abdallah. : Histoire de Maghreb. Maspero. Paris. 1970.

-Lutsky.V.: modern history of Arab countries. Progress publishers Moscow. 1969.

-Panzac D. : Les corsaires barbaresques : la fin d'une épopée (1800-1820), Éditions du CNRS, 2000. Paris, 1999.

- Grammont, H.D. de, "Relations entre la France et le régence d'Alger au XVIIe Siècle. 4ème partie : Les consuls lazaristes & le chevalier d'Avrieux (16461688)", in R. A. 28, 1884,

-Waibed, E : expédition du duc de beaufort contre djidjeli (1664) : in. R.A. 17, 1873.

5/الرسائل الجامعية:

الرسائل الجامعية بالعربية:

- الناصر عبد الجبار: بنو حفص والقوى الصليبية، في غرب البحر المتوسط، ق 08-09هـ، 14-15م، رسالة ماجستير، 1990.

-بلغيت محمد الأمين: "الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 30-09-1987.

- جبار عبد الناصر،بنو حفص والقوى الصليبية في الحوض الغربي للمتوسط-في القرنين الثامن والتاسع للهجرة، 14و 15 الميلادي، رسالة ماجستير في الآداب، قسم التاريخ،جامعة القاهرة ، ص، 105.

- حمّاش خليفة إبراهيم: العلاقات بين الجزائر والباب العالي(1798-1830)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الحميد عبد العال، 1988.

- غطاس عائشة: العلاقات الجزائرية الفرنسية في القرن 17، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.

-هيصام موسى : الجيش في العهد الحمادي – إشراف موسى لقبال – رسالة ماجستير (مخطوطة)، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2001.

الرسائل الجامعية بالأجنبية:

- Marchika, J. La peste en Afrique Septentrionale. Histoire de la peste en Algérie De 1363 à 1830, Thèse de Médecine, Alger, 1927

6/ المعاجم و المناجد:

-Dictionnaire Robert : Matière corsair, grand format, France, 2005.

- Encyclopedia alphabétique, Hachette volume. « 6 » colemanite a crosnematière corsaire 815.

-Le petit Larousse : grand format, France matière corsaire

– الموسوعة العالمية الغربية: مؤسسة أعمال الموسوعة، المملكة العربية السعودية 1996، مادة قرصنة.

7/الوسائط الإلكترونية:

- ابن عساكر المشقي :الحافظ أبو القاسم على بن أبي محمد الحسن هبة الله، تاريخ دمشق، مركز الأبحاث العليا للأدب، قرص مضغوط

- موقع ويكيبيديا للمعارف.

الفهارس

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس القبائل والجماعات
- فهرس المحتويات

– فهرس الأعلام :

(أ)

إبراهيم بن يخلف التنسي:66.

آل بربا روس:43.

أبي بكر:28.

أبو العباس:28.

أبي العباس أحمد:44.

إسحاق التنسي:66.

الأميرال هاري:82.

إيزابيلا:57.

إبراهيم عرباجي:72.

إبراهيم الأول:109.

(ب)

البيهقي:53.

بربا روس:03. 18. 49. 64.

بيدرو نافارو:29.

البابا بيوس الرابع:63.

الباشا محمد بوريشة:107.

(ج)

جيمس الأول:20.

جعفر باشا:26.

جون دوريا:63.

جعفر جنويز:84.

(ح)

حسن فتزيانو:128. 129.

ابن حمو الثالث:43.

الحاج حسين:44.

حمدان خوجة:83.

الحاج علي آغا:99.

حسين ميزيمورتو:79. 141.

حسين باشا:141..

(خ)

خير الدين:43. 44. 45. 47. 48. 55.

.59. 69. 71. 127. 130

خليل آغا:124.

ابن خاقان:28.

(د)

داماس لاتري:25.

دارغوث:67. 145.

دوبوفور:63. 137.

الدوق دوكيز:131.133.

دون سافوا:144.

دارفيو:126. .

ديشري:143. .

دوكين:141. .

(س)

الحاج سليمان المريني الجلابي:47.

سالم التومي:29.

السلطان الحفصي:60.

سليم الأول:44. 69.

سنان رايس:67.

سليمان شاوش:133.

سليمان القانوني:127..

سليم الثاني: 140.

(ش)

شارل آنري جوليان:45.

شارل الخامس:51. 61. 127.

شارل السادس:38.

شارلكان:63.

(ص)

صالح باشا:48.

السلطانة صفية:126.

ابن الصخري:124.

(ع)

علج علي:48.

عروج:30. 42. 43. 55.59.

الملك بن عبد العزيز:28.

عبد الرحمان الثعالبي: 29.

علي بتشيني:59. 72. 84.

عرب باشا:71.

عثمان الثاني: 109.

(ق ف)

ابن القاضي:30.

قيوم دي فيلبارات:32.

فيليب الثاني:61.

فرديناند:57.

فيليب لوفاشي:99.140.

فرونسوا الأول:127..

(ك)

السلطانة كوسم:109.

(ل)

لويس كامبون:135.

لويس الثالث:150.

لويس الثامن:124.

لويس الرابع عشر: 118. 125. 137. 138. 139.

لوران دارفيو:140. 141.

لوفاشي:157.

(م)

مراد باشا:27.

مارتن دوروتيريا:30.

محمد صلى الله عليه وسلّم:52. 53.

مامي أرنوط: 59. 84.

محمد الثالث:126.

مراد الرابع:126. 140.

ماسكاريناس:116.

موريس سورون:145.

الداي الحاج محمد:139. 140..

(هـــ)

هنري بيران:20.

هنري الرابع:141.

(و ي)

ويليام شالر:54. 102.

يحي بن سالم التومي:43.

يحي بن سعيد:53.

2- فهرس الأماكن والبلدان:

(أ)

إفريقيا الغربية:17. 19.

إسبانيا:21. 26. 26. 57. 115. 130. 139. 140.

الأندلس:25. 54. 56. 60. 61.

إنجلترا:19. 107. 141. .

إيرلندا::20.

إيطاليا:21. 140.

إشبيلية:22.

أوربا:16. 20. 22. 51. 55. 58. 68. 73. 117.122. 138. 143. 144.

الإمبراطورية الرومانية:24. 25.

آشير:28.

إفريقيا:16 .18.20.21. 26. 47.

آرغون:42. 76.

الإقليم الزابي:28.

إمارة كوكو:30.

إقلقيلي:60.

إسطمبول:43. 68. 69. 107. 124.

الأناضول:67.

الإسكندرية:67.

آسيا: 16. 68.

البحر المتوسط:48. 50. 57.58. 136.

(ب)

بوجي: 28.

البينون:50.

بلاد الاندلس:63.

بومرداس:66.

بلاد مغراوة:66.

بلغاريا:68.

بيزنطة:54.

بنغازي:79.

برقة:50.

بندقية:109.

بروفانتس:107.

البلاد الالمانية:107.

باب عزون:89.

باب الواد:89.

برج المول:71..

بلاد الكرخ:109.

البحر الروسي:122.

بلطيق:122.

باب استان:120.

باب الجزيرة:120.

البرازيل:110

بجاية:26. 28. 30. 37. 41. 44. 68.

البحر الهيليني:17.

البحر الفلسطيني:17.

البحر الكبير:17.

البحر الداخلي:17.

بحر الروم:17. 18.

البحر الأبيض المتوسط:19. 98. 104.

البلقان:17.

باليرمو:22.

برشلونة:29.

برتغال:29. 31. 76.

البحر الرومي:37. .

باري:31.

بيت المقدس:32.

بلاد المغرب:34.

بونة:40.

(ت)

تنس:41. 65. 66.

تلمسان:44. 45. 108.

تقرت:28.

(ج)

الجزائر:14. 15. 16. 22. 24. 25. 26. 28. 29. 30. 34. 35. 38. 39. 40.
43. 45. 46. 47. 48. 55. 56. 58. 60. 63. 64. 66. 67. 69.70. 70.
71. 72. 73. 80. 81. 82. 98. 104. 107. 110. 111. 113. 117. 118.
119. 120. 121. 122. 123. 127.128. 130. 131. 132. 133. 135.
137. 138. 140. 141. 143. 144.

جبال البابور:70.

جبال الظهرة:70.

جنوة:139.

جبل طارق:.20.16. 27. 48.

جيجل:46. 136. 137.

جبل زلدوي:28.

جربة:29. 31. 34.

الجزر الرومانية:30.

جزائر بني مزغنة: 41. 60.

الجزيرة الإيبيرية:45. 76. 79.

جزيرة مالطا:67.115.

(ش)

شرشال:46. 68. 114.

شمال إفريقيا:76. 79.

شرق ليبيا: 69.

شريعة:88.

شواطئ كلابريا:144.

(ق)

القالة: 40.

القيروان:22.

القل:29. 48.

القسطنطنية:87.

قرطبة:22.

قناة السويس:18.

قشتالة:29. 42.

قبص:31. 32.

قابس:34.

قسنطينة:28. 29.

قلعة وهران:63.

قلعة بني راشد:66.

قشتالة:76.

(ص ط)

صقيلية:22. 28. 74. 157.

طنجة: 26.

صربيا:68.

طرابلس: 25.

طرطوس:50.

(ع غ)

العاصمة:47. 48.

عين بلاد حمّاد:40.

عنابة:47.

غرداية:28.

غابة بني صالح:88.

(ف)

فاس:22. 48.

فرنسا:73. 79. 117. 119.122. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128.
129. 130. 132. 133. 139. 141.

(ك ل)

كورسيكا:29.

كريت:73. 125.

كلابريا:140.

ليبانت:67. 126.

(م)

المرسى الكبير:26.

ميناء طولون: 127.

مملكة الجزائر:159.

المغرب: 22. 25. 54.

المغرب الأقصى:25. 26. 31.

المغرب الأوسط:25. 26. 29. 31.

المغرب الأدنى:25. 26.31.

المغرب الإسلامي: 22. 25.

مصر:44.

مستغانم:66.

مضيق جبل طارق: 17.22

مدية الجزائر:86. 159.

المحروسة:77.

مرسيليا:127. 132.

منطقة القبائل:70.

المحيط الأطلسي:17. 104.

مالطا:48.

(ن هـــ)

نابولي:115.

هولندا:19. 33. 107.

هامبورغ:113.

الهند:125. . 111. 112.

(و ي)

وهران:26. 44.

اليونان:31.

3- فهرس القبائل والجماعات:

(أ)

الأتراك:45. 46.

آشوريون:16.

إغريق:32. 24.

الإسبان:25.20. 28. 30. 43. 47. 48. 55. 62. 68. 73. 129.

الإنجليز:19. 114. 115. 124. 138. 143.

الاوربيون:24.

الأعلاج:81. 110.

الأندلسيون:31. 55. 58. 62

الأسرى:66. 74. 79. 101. 110. 130. 135. 136. 143.

الأسرى المسلمين:29.

الأسرى المسيحيين:33. 81.

الأمويون:38.

الإيبيريين:25.

الإفرنج:38. 51.

الأسرى الإسبان:59.

الإخوة بربروسة:41. 45. 46. 50. 59. 64.

أعيان الجزائر:61.

أهل الجزائر:61.

الاسرى الأوربيون:85.

آل بربروس:78.

الأتراك العثمانيون:30. 59. 68. 78.

الإيطاليون:55.

الإنكشارية:81. 106. 107.

الأغواطيون:110.

الأسرى الهولنديون:98.

الأسرى البرتغاليون: 116.98

الأسرى الجزائريون:150. 151. 152.

الأسرى الفرنسيون:158.

(ب)

البابليون:.17

البيزنطيون:.17

البرابرة:.17

بني دانس:31.

بنو مرين:44.

بنو زيان:44. 47. 66.

برتغاليون:46.

بنو جلاّب:28.

بنو عثمان:87.

البحارة الجزائريون:69..

البلجيكيون:103.

بنو مزاب: 127.

البساكرة:127.

البرّانية:110.

البنادقة:142.

(ت)

التونسيون:104.

التجّار اليهود:102.

(رز)

الرومان: 17..18

الرياس:79. 80. 81.83. 83. 106. 108.

رفاق بربا روس:67.

رياس الجزائر:23. 84.

رياس البحر:55. 59. 63.

الزيانيون:47.

(ك)

الكراغلة81..

(س)

السوماريون:17.

(ص ط)

الطوبجية:81.

طائفة الريّاس: 81.

(ع غ)

العرب:24. 37.

العثمانيون:70. 139.

العالم المسيحي:73.

(ف ق)

الفينيقيون:.17

الفرنجة:.17

فرسان القدّيس يوحنا:32. 55.

الفرس:54.

الفاطميون:38.

فرسان رودس:40.

فرسان مالطا:55. 63.

القراصنة الأوربيون:19.

قراصنة هولندا:20.

قبائل البربر:69.

القباطنة الجزائريون:145.

فرسان سان إيتيان:145.

(م)

المسلمين:55. 54. 56. 57. 83.

المسيحيين:55. 57. 61.

المغاربة:44. 134.

الموريسكيون:61. 62.

(ن)

النصارى:60.

فهرس المحتويات

*الإهداء

* الشكر و التقدير

* مقـــــــــــدمة

الفصل الأول(المدخلي): الصفحة

الظروف العامة لبداية النشاط البحري الجزائري في العصر الحديث. **16**

المبحث الأول: تأثير البحر المتوسط و موقع الجزائر في العلاقات بين الضفتين

1- البحر المتوسط كمؤثر جغرافي و حضاري واقتصادي في العلاقات بين الضفتين: 19

2- تأثير موقع المغرب الإسلامي و الجزائر في العلاقات بين الضفتين 26

المبحث الثاني :الوضع السياسي العام في المغرب الإسلامي ودوره في بعث النشاط البحري للجزائر في القرن 16.

الفصل الثاني:

النشاط البحري الجزائري، بعد وصول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، وواقعه بين القرصنة والجهاد **35**

المبحث الأول :مفهوم القرصنة البحرية، وبداية النشاط البحري للجزائر في القرن السادس عشر

1- القرصنة البحرية بين المفهومية والتعريف 37

2- بداية النشاط البحري للجزائر في القرن السادس عشر: 42

المبحث الثاني :البعد الجهادي للنشاط البحري الجزائري وعوامل ازدهاره

1- البعد الجهادي للنشاط البحري الجزائري: 51

2 - عوامل إزدهار النشاط البحري من منصف القرن 16 و إلى غاية النصف الأول من القرن17 .. 58

الفصل الثالث:

واقع البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر **66**

المبحث الأول:البحرية الجزائرية في القرن 17 (هياكلها)

1- صناعة السفن والأسلحة في القرن 17: 69

2 - حجم الأسطول الجزائري (عدد سفنه). 73

3- ديوان البحرية:..... 79

4- طائفة الرياس: 82

المبحث الثاني :غنائم البحرية الجزائرية وعائدات الأسرى في القرن 17

1- غنائم البحرية الجزائرية :..... 87

2- عائدات وعدد الأسرى في القرن 17: 100

3- طريقة التعامل مع الغنائم:..... 103

المبحث الثالث: عوامل ضعف البحرية الجزائرية في نهاية القرن 17

1 - ظاهرة شراء المناصب وتدخل الانكشارية: 106

2- المشاكل المالية و الثورات والانتفاضات الشعبية: 107

3- تراجع دور الدولة العثمانية وتبعاته على الجزائر:..... 109

4- الانعكاسات السلبية لواقع المجتمع الجزائري خلال القرن 17:..... 110

5- معاهدات التقارب بين الجزائر ودول أوروبا: 114

الفصل الرابع:

أثر البحرية الجزائرية في العلاقات الخارجية بين الجزائر وفرنسا في القرن 17، من خلال المعاهدات السياسية المبرمة بين البلدين. **116**

المبحث الأول: أسس العلاقات الخارجية للجزائر في القرن17

1- أسس العلاقات الخارجية للجزائر 119

2- لمحة عن العلاقات العثمانية الفرنسية في القرن 17م. 122

المبحث الثاني: أثر البحرية الجزائرية في العلاقات بين الجزائر وفرنسا من خلال المعاهدات المبرمة بين البلدين في القرن 17.

1 – أثر النشاط البحري في العلاقات بين البلدين في النصف الأول من القرن 17. 130

2- أثر النشاط البحري في العلاقات بين البلدين في النصف الثاني من القرن 17..... 136

* **الخـــــــــــاتمة**

* **الملاحـــــــــــق**

* **البيبليوغرافيا**

* **الفهارس**